دار الشروق

الأعمال الشعرية

محمد عفيفي مطر








احتفالات المومياء
المتوحشة

الطبعة الأولى

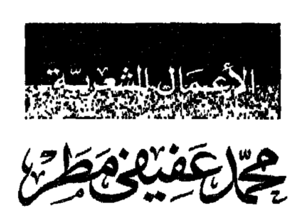
١٤١٩ هـ - ١٩٩٨م

© دار الشروق

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصرى - رابعة العدوية - مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما - تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت . ص.ب : ٨٠٦٤ - هاتف ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)



احتفالات المومياء المتوحشة

دار الشروق

والنهر يلبس الأقنعة

سهرة الأشباح
«محاكمات وانتظارات»

١٨/٧/١٩٧٠

- ١ -

تخرج من دفاترِ الأعمالِ والأقوالْ
أشباحُها المرْصُودَةْ
ترفع لي رءوسَها المجوَّفَةْ
أمارسُ الدفاعَ والموتَ، تمارسُ الأشياءْ
طقوسَها الليْليَّةَ المكثَّفَةْ :
كلٌّ جدارٍ معبرٌ، كلٌّ زوايا الأرْصفَةْ
أقدامُ شرطيٍّ يسيرُ سَيْرَهُ المنْتظما
دخينتي تصبح في أصابعي المرتجفَةْ
جرْحًا ومُدْيَةً وقلمًا ونارُها دما
دخانُها يصبح خيمةً معْقودَةْ
يصطفُّ فيها البشرُ المدجَّجُونَ بالعيونْ . .

ـ ٢ ـ

وقفتُ بين النِّطْع والسيافْ
مُسْتَجْمعًا مملكتي الخفيَّةْ
وارتعشتْ في جسدي مواسمُ القطافْ
وانفجرتْ خليّةً خليَّةْ
تحَجَّرَتْ وارْتَعَدَتْ مفاصلي من خوفِ أن أخافْ . .

- ٣ -

أرى عيونَ الشرطة السرِّيَّةْ
تلمعُ من وجه إلى وجه،
وتسكبُ الوجوهَ في الشوارع الخلفيَّةْ
كلُّ قفًا وراءَه عينان تخْرقان ظلمةَ النخاعِ،
تسألان عن هواجسِ الهُوِيَّةْ
وإرْثنا المكتومِ بين الشفَة الخرساءِ والشغافْ
وعن حوارنا الضائع بين البحرِ والضفَافْ
وعن توقُّع الزواج بين الحمأ المسنونِ والشرارة الكونيَّةْ
أرى عيون الشرطة السرية
أصبحُ شرطيّا أكابدُ القمعَ لما يَنْبُتُ في الأعماقْ
من صرخات الشعر والقصائد المشْويَّة
ومن طقوس الدمع والعناقْ
ورقصةِ التَّداخُلِ الحميمِ بين جسدي
وجسد البكارة الليْليَّةْ . .

ـ ٤ ـ

كان دفءُ المخدع الرَّطْب رباطًا حول قلبي
كلما فكرتُ في السير المنوَّمْ
شدَّني خوفُ هبوبِ العاصفةْ
كلما فكرتُ في الأرضِ التي أسْكَتَها الليلُ الطويلْ
وانقسامي كلما أبصرْتُ في الأعين تاريخَ الجراحِ الرّاعفَةْ
شَدَّني وجهُكِ يا طفلةَ روحي الواجفةْ
شدني ـ في فمكِ الضاحكِ ـ طعمُ الأرغفَةْ . .

- ٥ -

حوائطُ الحواجز الوهميَّةْ
تَحْجُبُ إيقاعَ الصدى الذي يجيءْ
من صرخةِ القتلى وقعقعاتِ العُدَّة الحربيَّةْ
وشهقةِ البيوتِ حينما تُخْلَعُ من جذورِها ،
وألَمِ المَغاوِرِ السَفليَّةْ
حين يجيئُها المخاضُ كلَّ ليلةٍ . .
نَظَلُّ في الدائرة الشرعيَّةْ .
(أفتح الآن زجاجَ النافذةْ
عَلَّني ألْبَسُ من لحم الظلامْ
جسداً يسْتُرُ منفايَ المقامْ
بين جِذْرِ الأرضِ والزهرةِ في فَرعِ الغَمامْ .

أفتح الآن زجاجَ النافذة

عَلَّني أسمعُ ميراثَ الحقولْ
وتواشيحَ الدخولْ
ومراسيم انفتاح الشيء للشيء . .
وأسرارَ الفِطامْ) .

أفتحُ الآن زجاج النافذة
علّني أطْلقُ عصفورَ الهواجسْ
علّني أتركُ وجهي صرخةً في
عَذَبات النخلِ أوْ وشْمًا على حائطِ مَبْكى
أوْ دَمًا مشْتعلاً فوق وسادةْ
أوْ سياجًا مُشْرَعًا من زَهَراتِ الشوْكِ
في وجه الرياح المسْتَعادَةْ

حصارنُا يبدأ لو تَفَتَّحَتْ نافذةٌ ليلية
تحت خطى البرقِ . . فتدخُلُ الأشباحْ :

أربعة أشباحٍ في صوتٍ واحد:

«أتَيْنا من سماء السحْرِ والتَّعْزيمِ والتَّنْزيلْ
نُبَشِّرُ بالحقيقة في زمانِ القَحْطِ والتَّضْليلْ
نبشِّر في زمان الحقِّ بالتَّهْديم والتعطيلْ
ونرفَعُ في المحافلِ شارةً وعلامةً
لقُدومِ «ظَلْمائيلْ» .

ظلمائيل.. صورةٌ وَصْفيَّة:

لظلمائيلَ عينانِ
مُرَمَّدَتانِ بالشمسِ القديمة والسَّديمِ الأوَّلِ
المحْمولِ في نَقَّالة الخلْقِ
مُفَتَّحتَانِ في الأرض التي لَمْ تَخْتَمِرْ طَمياً
ولَمْ تَخضَرَّ صَحْراءَ
وتائهتان تحت مَجَرَّة الفوْضى
ومُعْتمتَانِ تركضُ فيهما نارُ الدُّهورِ

وتمطرُ السحبُ القديمةُ ظلمةً ورؤًى وأضْواءَ
له شفَتان من شجرِ اللغاتِ ومن جُذورِ الشّعرِ والصمتِ
له قلبٌ تفجِّرُهُ خيولُ الحبِّ والمقْتِ
فَيَنْفُضُ في ترائبه دمًا مُستَقْطَرًا من
غيمة التعزيم والكيمياءْ
به ماءُ العناصرِ ، فيه سرُّ المزْجِ والخَلْطِ
وفيه المعجمُ الأبديُّ للأسماءْ .
له نعلان من طين الشَّرائعِ والوصايا المطفآتِ ،
وشَعْرُهُ الأسْوَدْ
كُرُومٌ غَلْغَلتْ أصْلابَها في رأسه المعْطاءْ
لتشربَ من عطاياهُ
وتحملَ من عناقيدِ التذكُّرِ كلَّ ما سيجيءُ من أحياءُ
وفي رِئَتَيْه روحُ الماءْ
وأشجارُ التناسلِ والدمُ الدوَّارُ في دوامةِ الأبناءْ .

شبح:

كان يمشي مسرعًا، كان يطيرْ

خالعًا وجهًا نباتيًا، ومملوءَ الخلايا

بتواريخ اللقاحْ

عابرًا خَضْخَضَةَ الموجِ.. له ألفُ ذراعْ

تقطفُ الجنْسَ المشاعْ

في كهوفِ الليلِ والفُسْفُورِ، يعلو ويطيرْ

في انفجارِ البيض عن أفْراخهِ،

يدخُلُ في عرسِ القبيلةْ

شبَقًا أو لغةً بكرًا ورؤيا مستحيلةْ

تصبُح الأرضُ له أمًا وزوجًا، ويُشيرْ

شارة الدهشة.. تمتد الفروع

يرقصُ الآن أمامي

خالعًا وجهَ البدايات القديمةْ

صارخًا كيْ تصبح الأرضُ له أمّا

وزوجًا

وقبيلةْ . .

شبح:

دَقَّ فى الليل زجاجَ النافذهْ

وتَدَلَّى رأسُه من قُفْلها . . ثم تَجَسَّدْ

قال : «فَلْتُلْقِ على كَفَّيَّ ما تحملُ من إرْثِ الشكاوَى

فأنا أصعدُ من جوعك للخبز الخرافيِّ

وللشمسِ التي تطلعُ من

آنيةِ الحِبْرِ العتيقْ

وأنا أصعدُ من ليل السجونْ

وانتظاراتكَ للخيل وفرسانِ المطرْ

وأنا أصعدُ من صَهْدِ السَّفَرْ

وبكاءِ الريحِ في بابِ المواني الموصَدَةْ . . » .

مدَّ كفَّيْهِ إلى جُمَّيْزةِ الحزنِ القديمْ

في دمي ، هَزَّ الفروعْ

فارتمتْ منها وُرَيْقاتُ الدموعْ

وانتظَرتُ الفرحَ الطالعَ من نسغِ الأغاني المعتمةْ

قال : «هَبْني صوتَكَ الدافِئَ كيْ أنعسَ فيه

وأرِحْني من شِقاقِ الكلماتْ

كلُّ آتٍ سيجيءْ . . » .

كانت القافيةُ الصعبةُ والليلُ البطيءْ

متَوَدِّدًا حول عظامِ القدمينْ

وأنا أحملُ في ثلجِ اليدينْ

تاجَهُ حتى ينامْ

رُمْحَهُ حتى ينامْ
وانتظارَ الشمسِ من عامٍ لعامْ.

شبح:
كانت الليلةُ سُورًا، والمدينةْ
حائطًا ينتظِرُ الباكين في جوْفِ الشقوقْ
وسراجًا معْتِمَ الضوء يغطي الكائناتْ
باسْتدارات السطوحِ الفارغةْ
ومراسيمِ الثبَاتْ.
وأنا أغْلي انقسامًا فوق أسْفارِ الدم الحيّ
وأسفارِ المماتْ.
أقبلَ الموتُ الذي كان صديقي
في رؤى الرعْب القديمْ
وانتظارِ الزمن الطالع كالزهرةِ من فوْضى السَّديمْ

أقبل الموتُ بوَجْه وقناعْ
ضَمَّني وهو يغنيّ بالوداعْ
لزمان اليأس بالأندلس :
(جادَكَ الرعبُ إذا البرقُ رمى
رُمحَهُ بين الضحى والغَلَسِ
فأحالَ الصمتَ ناراً ودَما .

آه ياليلاً زجاجيَّ العيونْ
أطْفِئ الآن عيونَ الحَرسِ
علَّني أهربُ في نَعْش الجَنونْ
هَرَبَ الطينِ بجذْرِ النَّرْجسِ

أوْ أرى الشِّعْرَ الخرافيَّ الظنونْ
جالَ في النفْسِ مَجَالَ النَّفَسِ

سدَّدَ السَّهْمَ فَأصْمى إذْ رَمى

طائرَ الخوف وعصْرَ العَسَسِ
وأحالَ البرقُ أطلالَ الحمى
بئْرَ نارٍ في هشيمِ اليَبَسِ.)
وأنا أغْلي وأغْلي .. أتبخَّرْ
تصبح الظلمةُ أقدامي وعنفُ الريحِ في
البحرِ خُطايا
آخذُ النار التي خَبَّأها البرْقُ بأوْتادِ الخلايا.
تصبح النارُ عطايا
تحرثُ الأرضَ فَتَنْشَقُّ البكارةْ
عن تواريخِ الزِّنا، تَنْقَلبُ الأسْطُحُ،
يَهْوي كلُّ ما قامَ،
وفي قلبِ الحطامْ
كنتُ مَدْفُونًا أرى دائرةَ الأفْقِ تضيقْ
وغبارَ الهدْمِ يَصَّاعَدُ، والشمسَ بقايا
من دمٍ يُعْقَدُ في بطْنِ السديمْ..

-٦-

هذه الأرضُ الخَلاءْ
بعد أن قَاءَتْ بنيها أخْرجَتْ أحشاءَها
وانتظرتْ أغْربَة الليلِ : وباءً فمجاعةْ
وانْدحاراً تحت خيلِ الغزْوِ أوْ خَيْلِ الحَرَسْ
وانكساراً صامدًا تحت لثام اللَّغْوِ أو صمتِ الفجيعةْ

(هذه جوهرةُ الخضرةِ تغْلي
تحت عَيْنَيَّ وتعلوها المياهْ
كلُّ شيءٍ زَبَدٌ يطفو ورعدٌ ودُخانْ
وسماءٌ تَتَخلَّقْ
وإطارُ الفَلَك الدائرِ يدنو ويضيقْ
وأنا - كائنُ أيامِ الحريقْ -
طينةٌ في بيضةِ الأرض وإيقاعٌ عميقْ

يَتَخفَّى صوتُه في أبْجَديَّات الحريقْ .)

فاطلُعِ الآن . . ففي كلٍّ رماد وسقوطْ

أسمعُ الطينةَ تغلي بنَشيشِ الإخْتمارْ

وأرى كلَّ تواريخ القنوطْ

غابة تبدأ منها الصرخاتُ الحجريَّةْ

وأساطيرُ العصورِ الذهبيَّةْ

وأرى شيخوخةَ الدهرِ البطيءْ

برعُمًا تصعدُ منه الشجَّرَةْ .

(عرفَ الأسماءَ من قبل المسَمَّى

عرف الفعلَ عبورًا من نقيض لنقيضْ

لبسَ الصمتَ البدائيَّ قناعًا وانتظرْ

رعْشَةَ الدهشة و الصوتَ الحِواريَّ الخفيضْ .)

فاشربِ الآن عصيرَ الثَّمَرَةْ

وابْدأ العُرْيَ البريءْ

طأطئِ الرأسَ . . فقدْ أثْقَلكَ التاجُ المليءْ

ببقايا الشُّهُبِ الأولى وأفلاكِ المطرْ
وتواريخِ الرؤى المُندثِرَةْ
وحوارِ القَبْضَةِ البكْرِ وإزْميلِ الحَجَرْ
وتَقَدَّمْ بالشِّعارِ المُلتهبْ
تاركًا في صخرةِ الأرضِ الخَلاَءْ
من خُطى الثورةِ والخلقِ علامةْ
للقيامَةْ . .

١٩٧٠/٧/١٨

وشم النهر على خرائط الجسد

«الوشم الأول»

/ وطنُ السرِّ الذي يطلعُ مني
خُطُوتي تاريخُهُ
راسي فَضَا أنْجمه
لحمي علاماتُ التخومْ
و..أمدُّ الجسرَ حتى يقتلوني./

- ١ -

ظَلَّلتْني من جناحيْها سحابةْ
وَصَلَتْني بالدَّمِ الهاربِ من شقٍّ لشقٍّ،
وَضَعَتْني في الرَّبابَةْ
وَتَرًا ممتلئَ الصوتِ بكنْزِ الصَّرخاتْ
فَتَحتْ قلبي فأطْلَقْتُ حمامَةْ
لَبِسَتْ من زَغَبِ الصوتِ تواريخَ الظَّمأ
وتواشيحَ الكآبةْ
وأنا أنتظرُ الناقَةَ من فَتْقِ السماءْ
عَلَّها تُلقي عن الرَّحْلِ كتاباتِ المطرْ
ومن الضِّرْعِ حكاياتِ السيولْ

(ما الذي تَخْتَمِرُ الأرضُ بِهِ !!
ما لي أراها

فَتَحَتْ من ظمأ الشَّهوةِ أرْحامَ النُّجوعْ
وميادينَ المدينةْ
وانْفراجات الشقوق المسْتكينَةْ
بين طَمْي العالَمِ الرّخْوِ وأجسادِ البَشَرْ !!)

طائرُ الصَّرْخَة ـ إذْ نَقَّر منْديلَ السَّحابَةْ ـ
شَقَّهُ البرقُ فألقى دَمَهُ ورْدًا على كلّ ردَاءْ
أحْرَقَتْني وردةُ البرقِ وَعَرَّتْني أمامَ الغرباءْ

(وأنا فَزَّاعَةُ الطيرِ بأرضِ الفقراءْ
كنتُ في قلبِ العراءْ
مُسْتَحمًا بعراك الطير في الريحِ ،
ومَحْشُوًا بأوراق التقاويمِ وأسْلابِ السَّفَرْ .)

كنتُ في الأرض الغريبةْ

أحرُثُ القلبَ لأيام العناقيد الحُبالى
كلُّ أحلامي كرومٌ، طُرُقي قِنِّينَةُ السُّكْرِ الخُرافيّ،
وفي بحر الجسدْ
سمكُ القرْشِ وصوتُ السفن المشْتعلةْ
واغْتلامُ الليلِ والريحِ وقرصانُ الحوار المنْفَرِدْ
والتَّشَهّي للرَّدى الراقص في بَرْق المرايَا
من شَظَايا الكأسِ إذْ يسقُطُ ما بيني وبين الكائناتْ
قلتُ: فَلأَبْدَأْ زماني

(جئتُ محمولاً على نَقَّالة الرَّعْدة والخوفِ
وفي فوضى الجسدْ
كان خبزُ النَّفْي يَغْلي،
كانت الصرخَةُ رِجْلي ومكاني.)
فَتَمَشَّيْتُ على النهرِ..
أرى فوق مرايا سطْحِهِ الرّاكدِ وجهي

رَغْوَةً من عُشُبِ الشَّطِّ، خليطًا من خيوطِ الشجرِ
الذابلِ والموتى وأطلالِ البيوتْ
وخطوطًا من ملايينِ الوجوهِ السّاغبَةْ.
(وأنا فزّاعَةُ الطيرِ بأرضِ الفقراء
كنتُ في قلبِ العراءْ
واقفا، يَسْتَألفُ الطيرُ ذراعي ـ الخَشَبَةْ
وكُراتِ القشِّ في رأسي الغريبِ المسْتَبَاحْ.)

وأرى في الشاطئِ الثاني جنودَ الملكِ القاسي
يَدُقّونَ الرِّماحْ
بيننا نهرٌ من الماءِ ونهرٌ من مساحاتِ الوجوهْ
بيننا أرضُ أمُومَةْ
وفطامٍ، بيننا أرضُ الأذلاءِ المهانينَ،
وأيامُ العروشْ
ومماليكُ الدمِ الواحدِ، والخبزُ النحاسيُّ،

وتاريخُ السجونْ.

وأنا ـ آه من الكُرْه ـ أمدُّ الجسْرَ حتى يقتلوني

أجْعَلُ النهرَ دمًا يلْفُظ أسماكَ الجرائمْ

أرفعُ القُمَّلَ والسّوسَ غمائمْ

وأولِّي وأهاجمْ

وأمدُّ الجسرَ حتى يقتلوني

عَلَّني أغسلُ وجهي،

علَّني أبدأ في نهر دمي عُنْفَ السِّباحَةْ

(وأنا فزاعة الطير بقمح الفقراء

أغرس القامةَ في طين المجاعةْ

قـدمي سـاخَـتْ. فَـيَلْتَفُّ بهـا الطحْلُبُ

والُعشبُ،

وفي جُمْجُمني عَشَّشَت الغربانُ،

في مملكة القشِّ وأوراقِ التَّقاويمِ ـ الجسَدْ

وطنٌ تسكنهُ الريحُ وأطيارُ العراء
وأنا فزّاعة الطير بأرض الفقراء . .)
علّمني آخذُ رأسي بعد أن يَضْرِبَهُ السيفُ وأمضي
خارجًا من ملكوت الخوف، من أرض مماليكَ
الدمِ الواحدِ أطوي في خلاياهُ بساطَ الأرضِ،
أبْني وأقيمْ
وَطَنًا، أنشرُ من كَنْز النقوشِ الدمويَّةْ
أطْرُدُ العالمَ، أمحو زمنَ الصوت، وأمحو
طينةَ الموت وشوْكَ الأَبجديَّةْ
أنْشئُ القلعةَ بين الشفتَيْن
أشْحَذُ الرمحَ على تقطيبة الجبهْة، أرمي ظَبْيَةَ
الشهوة والذّكْري وأرمي بُومةَ الرؤْية،
أنْشَقُّ على الرأس عدوا وصديقًا
أحفرُ الغابةَ في الشَّعْرِ خباءً وطريقا
أرسلُ الرأس إلى كلِّ الجهاتْ

طائرًا يرقصُ في بَوْتَقَةِ النار العميقةْ
قمرًا في نهر أعماقي ، وصَقْرًا في سموات الجسدْ ،
مَطْلَعًا للشمس ، شُبّاكًا علي بَدْءِ الخليقةْ
في انْفتاقِ الأرضِ والماءِ وظلماءِ الجَمَدْ . .

-٢-

كنتُ وحدي . . أشربُ الظلمةَ والطَّلَّ وأغفو

في خلايا قامتي المنْغَرِسَةْ

تاركًا وَجْهِيَ ينحلُّ وأعضائي تَذوبْ

في اختلاطِ الحُلْمِ

(في بوتَقَةِ الدهشة عند العَتَبَةْ

أدخل البابَ . . أرى شهوةَ أيامِي خيولاً

وأرى الأشياءَ في لون العيون الشرسَةْ

وأرى ـ قبل ابْتداء الأرض ـ غَيْمًا مُثْقَلاً

تحتَ سماءٍ مُشْمِسَةْ

وأرى الساحةَ منْديلَ دمٍ مشتعلٍ

يطفوُ ويطفُو في كتابات الغرقْ

وانتظارِ السنةِ الكبرى لكَيْ تبدأ في

رقصتها المزْدَوَجَةْ .)

وأنا أسمعُ صوتَ الغَلَيانْ

(في دمي أمْ في دم الأرض؟) وأمشي في الهواجسْ

كلُّ يوم بيضةٌ تفْقسُ في أعْشاشِ أحزاني مدينةْ

كلُّ ظلٍّ عابرٍ يُنْبِتُ في وهمي كُوًى للحسِّ والرؤيا،

وأصواتي السجينةْ

وردةٌ داميةٌ تَفْتَضُّها شمسُ المخاضات الدفينةْ

وأنا أسمعُ في الظلمة صوتَ العابرينْ

فأرى عوْرَةَ أحزاني تَعَرَّتْ

أنْحني، أسقطُ، أرْمي للفضا الأسوِدْ غربانَ الأغاني

وعصافيرَ البكاءْ..

كان سِرْبُ الطيرِ يَسَّاقَطُ في فسقيَّةِ العالمِ

صيفًا وشتاءْ

كان يقْتاتُ خبايا الحركةْ

في جذور الأرض ما بين خريفٍ وربيعْ

كان إرثُ الفقراءْ

خَاتَمًا ، كان زَفافُ الملكةْ

نَفْخَةَ البوقِ ليمتدَّ سماطُ الأرض بين الأمراء

بعناقيد الشواءْ

وطقوسِ الصمتِ والرقصِ وأيامِ الحِدادْ . .

ـ ٣ ـ

سُرَّةُ الأرضِ قِصاعٌ مُلِئَتْ من دَمِنا حتى الحَوافْ
وعلى بُؤْسِ الضِّفافْ
كانت الوحشةُ شمسًا في سماء المدن الصُّغْرى،
وكانتْ أعينُ الأجْلافِ ليلاً دامسًا،
والموتُ ميعادَ غِراسٍ وقِطافْ
وأنا أهْوي إلى النهر الذي يحفُرُ مجْراهُ الخرافيَّ بلحمي
فاتحًا نبعًا مصبّا
غارسًا نخلاً وزيتونًا وقَضْبا
طارحًا في موسم الزَّهرِ على طَمْيِ الشغافْ
شوكةَ الدهشةِ والصمتِ المفاجئْ
وتُوَيْجَاتٍ من الهجرةِ في اللون وخبزًا من
لِقاحِ الشِّعْرِ والبحرِ وأعشابِ المرافئْ

يحفرُ النهرُ بلحمي وطنَ السرِّ

ويَخْضَرُّ نخيلُ الإغْترابْ

(وطنُ السرّ الذي يطلع مني

خطوتي تاريخهُ، رأسي فَضَا أنجُمِهِ،

لحمي علاماتُ التّخوم

وطيورُ البَرِّ إذْ تأكلُ لحمي وتطيرْ

جعلتْ لحمِيَ تاجًا، جَعَلتْني ملكًا تمتدُّ

من تحتي حدودُ المملكةْ

أدخَلَتْني زَمَنَ النهر المسافرْ

أرْجَعَتْني بعد أن هاجرتُ من مملكتي

قطرةَ ماءٍ ودمٍ، كان السريرْ

مَرفأَ الليلِ وسورَ المملكةْ..)

وأنا ـ تحت نخيل الإغْترابْ

آخذُ الطين، أسَوِّيه بكَفَّيَّ خيولاً،

وأسَوِّي ملكةْ

فأراها انتَفَضَتْ تَسْعى . . على جبهتها

من دمِ الفكرةِ شمسٌ ومجاعَةْ

وبعينيها من الشهوةِ أطيارُ دمٍ مشْتَبكَةْ

واسْتغاثاتُ القرونِ الهالكة .

كنتُ في زحمة أعضائي وفي دَهْشَتِيَ المرْتَبكَةْ

أتملّى وجهها، أشْهَقُ :

هيا . . كَثّريني وانْشُريني

عَدَدَ الذّرِّ ورملِ الصحراءْ

كَسِّريني كرغيفِ الفقراءْ

واحفُري النهرَ على صدريَ وَشْمًا دَمَويّا

واجْعليهِ ـ بين أبنائي وبيني ـ لقبَ الإِسْمِ

وإرْثَ البَرَكَةْ

ومراسيمَ التعارُفْ

جَسِّديني سَمكًا في نهر أعماقي وصوتًا في شفاه

الآخرينْ

واجعلي من طينتي آنيةَ الغُسْلِ وحِنَّاءَ الزَّفَافْ

وانثُريني تحت أعْتاب البيوتِ الصامتةْ

رُقْيَةً داميةً

وانْتظِريني . .

١٩٧١/٦/٦

مُهْرَةُ الحُلم

مهرةُ الحلم كانت تُحَمْحِمُ تحت سماءِ البراري

ومن فوق صهْوَتِها أتوحَّدُ بالسَّرْجِ:

ساقايَ هُدَّابَةُ الصُّوف، لينُ الأصابعِ

خَيْطُ الحريرِ المحيَّرُ في تمنمات الفتوحِ القديمةْ

أنا فوق صهْوتها راجعٌ من جراحي البعيدة،

والجرحُ نافذةٌ ودمي قمرٌ يَتَوقَّدُ في شَجْرَةِ الأفْق،

كنتُ على سَرْجِها ميّتًا. أتَوَحّدُ بالسرج شيئًا فشيئًا،

دمي فوق غُرَّتِها وردةٌ في مكاحلها جَرَسٌ يتأرْجَحُ ما بينَ

صوتي الذي غَزَلَتْهُ الرياحُ بأصْبُعِها خاتَمًا ثم

وَلَّتْ به في البراري البعيدة

وبين صدى صرختي وهْيَ تطلع في آخر الأرض

جُمَّيْزَةً للعصافيرِ.

وجْهي ـ فُتوقٌ من الطمي ينْهمِرُ الليلُ فيها

وتهوي السمواتُ . .

أحْتَفِنُ الماءَ أملأ يُنْبوعَ جوعي دنانيرَ من

ذهبِ الوحشة المتساقطِ أشْرِي بها

كفنًا وبلادًا أكون لها ملكًا

وأنا أتوحَّدُ بالسرج شيئًا فشيئًا ،

دمي خطوةٌ نحو مملكتي . .

مهرةُ الحلم ترعى وتَخْتَضِمُ العشْبَ ،

والعشبُ رائحةٌ من قميص الحبيبةِ . .

أنظرُ حولي :

أرى في تراب المواقدِ ليلاً من الرحمةِ السابغَةْ

وأنظرُ نَقْشَ الكلاكلِ في الرملِ . . هلْ

كان عرسًا هوادجُه رَحَلَتْ أمْ هو

الشِّعْرُ يبني لعينيَّ مملكةً ثم يهدمُها ؟!

مهرةُ الحلم تخطوَ بطيئًا بطيئًا

ويمتدُّ ليلُ البراري

أنا فوق صهوتها ميِّتٌ أتوحَّدُ بالسرج ،

تحملُني للبلاد التي انتظرتْ ألفَ عامٍ . .

وكلُّ اقترابٍ مسافةُ هجْرةْ

وكلُّ رحيلٍ إليها اغترابٌ وكلُّ مشارفِها تتوغَّل في

جسدِ الليلِ

تحملني مهرةُ الحلم تخطو بطيئًا بطيئًا . .

وأنظرُ وَشْمَ القرى في ذراع البراري وَقَدْ

رَحَلَ العشبُ، أقْوَتْ مرابطُها ،

كَتَبَتْ تحت ليل البراري بأظْلاف قُطعانها

- وهي ترحلُ - مَرْثيَّةً لقدورِ الطعامِ وماءِ

السواقي وخبزِ الأمومةِ

تحملني مهرةُ الحلم . . تحملُ وردةَ جرحي وأجراسَ
لحمي المفَتَّت . . أهلي بعيدونَ . .
وهْيَ ترى طرقًا للزيارة،
تحملني لسريرِ التذكرِ والنومِ في قريةِ الأهلِ . .
أهلي بعيدون،
تحملني مهرةُ الحلم تحت سماء البراري وترعى
وتختَضِمُ العشبَ والعشبُ رائحةٌ في قميص الحبيبةْ . .
١٩٧٣/٩/٣٠

وشم النهر على خرائط الجسد

« الوشم الثانى »

/تعرَّى الحيُّ عن جيفته وغَيْلانُ يفتحُ
الساحةَ بدمهِ المتكلّمِ والجموعُ لا تسمعُ
ولا ترى مراسيمَ قتْلِ الملكْ./

بين عينيَّ دمي ، فوق جبيني

موعدٌ بيني وبين الساحةِ الممتلئةْ

ببطونِ الأمهات

ومحاريثِ العيون المطفأة

(أنتَ في هوة أعماقيَ غابة

طلعتْ نارًا من الصخر ، ينابيعَ فَراش مشتعلْ

ونوافيرَ طحالبْ

دَوَّمتْ تحت انفراط الطيف بدءًا

من تواقيع النهاية . .)

وأنا كنتُ بأخلاطِ المشيمةْ

هاربًا نحو جذور الشمسِ فى لحم الظلامْ .

كانت الساحةُ ملأى بالعظامْ
ربما يأتي البدائيونَ من ليلِ الفروعْ
يحملونَ العالمَ الطالعَ من همهمةِ الخوف
وأعراسِ القبيلةْ
(آه يا مختبئًا في قشرة العالمِ
يا منكشفًا بين الضلوعْ)
يَقْلبُون القمرَ الصامتَ أنثى ، والسحابةْ
مهرةً تصهل في الأفق فتنْشَقُّ المدائنْ
(أنتَ تأتي . . شبحًا يلبس من ماء المرايا
جسدًا ، تخطو إلى الساحة ما بين الشهودْ
كلما نَقَّلْتَ أقدامَك . . فَرَّتْ في الزوايا
صورةُ العالمِ ، وانشقَّ القناعْ
فَتَعَرَّى الحيُّ عن جيفته واخترقتْ ليلَ العيونْ
صرخةُ الموتى على الموتى . . وما كان يذوب
بين عينيّ أراهُ يتجسَّدْ

وهو يمضي هاربا في جسد الليل العظيم . .)

وأنا أبصر ظلي ساقطًا بين العيونْ

يفتح الساحةَ كالشفرةِ ، يَنْصَبُّ بأعتاب البيوت

وأنا أرقص فوق الخشبةْ

رقصة الذاكرة الحبلى بعرس الماء والنارِ

وأيام الحوارْ

(حين كان الموتُ يأتي كل عام

في خطى قابلة القريةِ يرمي كعكَهُ المرَّ

وإكليلَ الفطامْ

كنتَ في موْعدِ ميلادكَ تبكي وتغني .

عاقرُ القرية تُعطي بيتَكَ الخائفَ سبعًا من

كُرات الخبزِ . .

في كل رغيفْ/ طبقاتُ الأرضِ

كي يمنحهَا قطعةَ ثوبٍ وجديلةْ

يبدأ الحمَلُ الطقوسيُّ المخيفْ

بعبيرِ الجسد الظامئ إذْ تدخُلُ من طوقِ القميصْ
ساقطًا فوق الزوايا والنتوءات إلى الأرضِ
فيلْقاك فراغُ القدمين
سبْعَ مرات . . وفي كل عبورْ
كرةُ الأفق ارتمتْ بين يديك
يومها كان الردى يرتدُّ عنك
تاركًا زهرتَه الخضراءَ وشمًا بارزًا في ساعديك .)
وأغني بأكاليل الدمِ النازفِ : آهْ
من تُرى يَعْذرُني ممن رأوني جائعًا
واكتنزوا/ طُرَفَ العالمِ ، أنسابَ الإمامةْ
فانظروا يا فقراء الأرضِ . .
هذا دمكُمْ
في سروج الخيل أجراسٌ وفي شال العمامةْ
مدنٌ يَمْسخُها النقشُ رسومًا شجريَّةْ
وانظروا يا فقراء الأرضِ . .

هذا الحمكم

حينما يُنْضِجُهُ الرعبُ الخرافيُّ يجيءُ الأمويُّونَ

ويأتي الفقهاءْ

في لغات العصرِ . . تمتدُّ المسافةْ

بين كفي ولساني ،

نطفةُ العالم تَنْصَبُّ سيوفًا ، والمسافةْ

بين رأسي وفروع الشمس تمتدُّ حبالاً

كرةُ الأفق تضيقْ

وتلفُّ الريح أنشوطتَها ، تنسجُ حول الرقبةْ

عُقْدةَ الصرخةِ .

ظلِّي كان في الساحة يبكي ويغني للقيامة :

انظروا . . في جسدي فرحةُ ينبوعٍ مفاجئ .

(كان جرحي غربةً مكتوبةً فوق جبيني

يومها . . حطَّ على صدريَ صقرٌ معدنيٌّ من

لغات الأرض من أجناسها

يَنْقُرُ القلبَ . . تَعَرَّفْتُ بعينيهِ على موتي الصديق

حُجةَ الله على صمت الملايين المدانة

يومها . . كان كتاب الذاكرة

برعمَ النار رمادَ الحطبةْ

قطعوا رأسي . . فأبصرتُ به يهرب مخْبوءًا

بأسرار الكهانة

فابحثي عن جسدي الضائع في أزمنة الهدم ،

خذيني لك طفلاً يقطع الغربةَ شعرًا وبكاء

علّميني رقصةَ الموتِ الرشيقْ

وخذيني لك زوجا وإماما . .)

انظروا . . في جسدي فرحةٌ ينبوعٍ مفاجئ

انظروا . . في جسدى تختبئ الأرض وتصحو

كلما طَوَّحَني العالمُ في دائرة الموت الرشيقْ .

(أنتَ في هُوَّةِ أعماقيَ غابة

طلعتْ نارا من الصخر، ينابيعَ فراشٍ مشتعل

ونوافيرَ طحالب

دَوَّمَتْ تحت انْفراطِ الطيف . .

ثم انتظرتْ

جسداً يمنحها مملكةَ الأفق العميق . .)

١٩٧١/٩/٣٠

أكتبُ نافذةً على مملكة
الموت الآخر

هو الماءُ:

جرحُ الينابيع، بوابةٌ تترجّلُ منها

فلولُ الغمام إلى ساحة النهرِ،

والماءُ مخطوطةٌ تترجّلُ منها وجوهُ القبيلة

نسلاً فنسلاً، وعينايَ في شاطئيه الوسيعين

صوتُ المحاريثِ، صوتي انفتاقُ القشور عن

الحَبّ،

صوتي انفلاقُ النّوى وامتلاءُ العناقيد.

والماءُ نافذةُ الحلم:

هذا هو الماءُ يطلع من عطش الحلم مملكةً

للفضاء المقبّب.

ينتظم الشمسَ في غليان الخليقة والقمرَ

المتأرجحَ

(في جسدي مطْلعُ الشمس من جسدي يتقوَّسُ
خَطٌّ الفراغِ ويبزغ وجه القمرْ .)
وشعبٌ من الماء يَمْرُجُ تحت رمال البدواةِ
أصرخ فيه لعل نوافيره تتشقّقُ عن غابةِ
الفقراء وأرجوحة العنف (يملؤها
القمحُ تلمع فيها المناجلُ)
أبكي له في غواشي الرؤى ،
جسدي يتوهج بالشمس خلف نوافذه الموصدةْ
أغني وأكتب أقمارَ عشبٍ مجنحةً وشموسًا معلقةً
بالشبابيك ، أكتب إكليلَ فاكهةٍ وأضفِّرهُ في
زواج المواويل والماء والطمي ،
أكتبُ فجرَ المواني وقُبَّرةَ الموج والسفنَ العائدة
وأكتبُ شالَ الصبايا الملونَ أكتبُ أجسادَهن
المليئةَ بالرعدة الموقدةْ
وأكتبُ أغنيةَ الريشِ والقشِّ أكتبُ تاجَ

العصافيرِ للرحمِ الواعدةْ

وأكتبُ جوعي على واجهات المتاجرِ، أكتبُهُ في

الرياحِ الثقيلةِ بالغيمِ، أكتبُهُ في احتلام

التلاميذِ وقتَ البلوغِ، وأكتبُهُ في سروجِ الخيول

ووشمِ الرصاصِ على قبةِ الجامعةْ

وأكتبُ جوعي مظاهرةً تستحمُّ بدمعِ الشوارعِ تكبرُ

تحت الهراوات تدخل أروقه السرّ

تحلم بالثورةِ الغامضةْ

يحاصرني الليلُ..

ألبَسُه، أكتبُ الليلَ جنيّةً تتمدد في

فرشة الأفق دافئةَ الفخذين وناضجةَ

الثمر المتفجِّرِ بالعشق، أرقد بين يديها

وأسكنها وطنًا أتكشّفُهُ

(وجُهك الحلو يا أول الحلم يا آخر الحلم تفاحةٌ

نضجتْ وتقاسمها صدأ السيف والرعبُ،

وجهكِ يا أول الحلم يا آخر الحلم خيمة .)
وتحت الضفائرَ كانت خطى قمر الجرح تدنو ،
يفتِّق جلبابه الدمويَّ وينسج من جرحه
عنكبوتُ الفضاء مناديلَ حمراءَ .
هذي هي الأرض تنشقُّ طينتُها والفضا مطرٌ أحمرٌ ،
وجهكِ الحلو يا أول الحلم يا آخر الحلم مغتسلٌ
والدما تَتَفجَّرُ أمطارُها شجرًا شجرًا . .
وجهكِ الطفلُ غابة
تُسَيِّجُها صرخةُ الموت
أكتب جوعي رغيفا ورمحًا وشمسًا أخَبِّئُها
في قميصي وأدخل . .
هذا هو الشجر المَعْدنيُّ يمدُّ فروعَ
الشظايا مسنَّنَةً ويمدُّ عناقيدهُ القُنْفُذِيَّةَ
ينتصب العشبُ كالشَّفَرات الصديئة
(أدخل أمْ تدخل الغابةُ المعدنيةُ في جسدي؟ !)

وأواجه وحشَ الكلام المدجَّجَ، وحشَ
السكوت الخرافي . . أبصر موتي المضيءَ
يلوِّحُ لي ضاحكا في مرايا العناقيد والعشب،
يقطف لي زهر خشخاشه ويقاسمني النومَ والحلمَ
(هل أنتِ واقفةٌ في الشبابيك تنتظرين بريدي الذي
لن يجيء؟!)

١٩٧٣/١٢/٢٢

وشم النهر على خرائط الجسد

«الوشم الثالث»

إلى غيلان الدمشقي
وهو يجدد شهادته على مفترق الطرق
بين النوم الألفيّ والثورة المغدورةِ
والموتِ الملغوم!

-١-

هي الشمسُ..

هل كانت الأرضُ رمَّانةً تتخلّق فيها أجنتُها الخضرُ،

هل كان ما في عروقي غمامة

تفتقها الريحُ، تَجْدِلُها موسمًا يتفتح في سُرّة الأرض،

تنسجِها حمرةً تتكثف

تنسجِها رَحِمًا ومشيمة؟!

هل الأرض رمانةٌ جسدي جذرُها الشبكيُّ،

هل الشمس كانت رصاصا يُثَقّبُ أفرعَها (جسدي)

مانحًا جسدي شكله بالفراغات والكتل

المستحمةِ في قزح الدمع

والدمعُ قوسُ الأفق؟!

هي الأرضُ..

هل كنتُ أنشوطةَ الصيد بينهما

أم أنا السمك المتحجّر في مائها المشتعل؟!

هي الشمسُ والأرضُ . . رأسي الفضا، قدمايَ الممالكُ،

بين الأصابع كانت قرى النوم والمدنُ المستحمةُ

بالليل، بين الأصابع كانت رمالُ الظهيرةْ

سقوفًا تُدَرْدِبُ أوطانَ موتٍ وأكفانَ جوعٍ وغربة

تبعثر أجناسَ أرصفة ولغاتٍ، تبعثر حَبَّ المواريث،

تُنبت نخلَ الحجارة

تمد موائدها . . كل شيءٍ مضيءٌ . . وليمتُها أرؤسٌ تتخابثُ

بالهمس، يقْطر منها دمٌ يتخاصرُ فوق الصحافِ

ويلتفُّ أقنعةً وكلامًا ـ كلامًا

يخثِّره الخوفُ.

كانت رمال الظهيرة

تكوِّرُه شجرًا حجريَّ التفرع . . يا ساعةَ الرمل . .

هل أنتِ آنيةُ الغضب المتفتّت هل أنتِ رمانةُ الأرضِ

يُختَضُّ فيك الفراغُ ـ الرمالُ ـ الكلامْ
وهل أنتِ موعودةٌ للهُويِّ حطامًا على ركبة الصرخات
القديمة
وهل أنتِ منذورةٌ للتخلُّق أرغفةً ووجوهًا وأحصنةً ودما
تتخاصَر فيه العداواتُ والخوفُ والقهرُ،
يرقص في شهوة العنف، يكشف ليل الغرائز
والشهواتِ الصريحة،
يلبس كنزَ هواجسه جسدًا ويمد يدَ الخلق بين
الرماد ويخطو خطى الشكل بين هيولى القيامة أم أنتِ
ياساعة الرمل كراسةٌ للمواقيت . . في كل سطرٍ
تصاريفُ أرضٍ يُغَمِّسُها البحرُ بالملح يأكلها
لقمةً لقمةً ثم يكتب :
«هذا شتاءُ المطر
أتى كرغيف الطحالب . . هل يغسل الماءُ أطرافهُ
أم يجيء دمًا من فساد العناصر والوقتِ،

هل يغسل الماءُ ما خَلَّفَتْه اليدُ البائدة
وهذا ربيعُ المواقيت أم موعد للشجر
يفتق من قشرة الوقت أكمامَهُ الهامدة ! ! »

ـ ٢ ـ

نافذةٌ من الزجاج المعَشق:

هى الشمسُ . . سَمَّرَها عنكبوتُ الشظايا،

سفينةُ نوحٍ على الأرض،

وجهُكِ يا طفلة الحلم والرعب منقسمٌ

مستريبُ المساحات، أثوابُكِ امتلأتْ

بعطايا التناقضِ:

من تحتها سرةٌ تتشقق،

هذي جيوشُ السلاطين هامدةٌ في السكون الملون

(لا تعبري النهرَ يا طفلتي يا غزالةَ رعبي

وحلمي المكثف . .

يأتي زمانُكِ . . يأتي زماني . . فنعبر في

جسد الرقص، نخترق الصرخة الحجرية)

هي الأرضُ . .

هذا الدمُ المتخثّر ، وجهُ الحسين ،

وعيناهُ كأسا دمٍ ،

والشهادةُ بين ذراعيه : طفلٌ تكلَّمُ فى جانبيه

الفتوقُ السخية

ودائرةُ الرمل كعكتُه وفطام الشفاه الطرية .

هي الأرض . .

قارورةُ الظمأ المتجَذّرِ بين التعاشيقِ .

(هل كان يدري الحسين

بأن المياه الأسيرةَ ملحٌ أجاج

وأن اشْتجار السهام على الأفق فاتحةٌ

في كتاب المطر؟)

هي الأرض . .

نافذةٌ للغيوم الأسيرة ،

لا تعبري النهرَ يا طفلتي يا غزالةَ حلمي المكثف ،

هذا هو الله يمنحني ساعديه ،

وهذا هو الشعب يقذفني حجراً في سكون

الزجاج الملون . .

فانتظري . . جسدُ الرقص يبدأ رعدته الدافئة . .

ـ ٣ ـ

تقدَّم معي أيها الجسدُ ـ العبدُ

وامرق كما يمرق الرمحُ، هل صرخةٌ أنتَ

مكتوبةٌ في

نسيج الشوارع أم أنتَ دوَّامةٌ تتجسد في

مدن تتقشَّرُ تحت نصال المطرْ!

ويابقعةً من دمٍ كتبتْها المدائنُ . . هل أَنتِ مكتوبةٌ في المياهِ!

أم الماءُ جرحُ الكتابةْ!

تداعيات عصرية:

كنتُ ـ من نخل النعاس ـ

أحمل الطميَ الخرافيَّ وأعطي

ـ من عطاياه ـ كتابات الحواسْ

فأرى العالم حولي غابةً من شجرِ الصخرِ،

ونافورةَ ماءٍ ونحاسْ

نُصِبَتْ خيمةُ موتي . .

والعروسُ الخشبية

غُرِسَتْ في مركز الساحة . . والساحةُ ينبوعُ

دمٍ تحت ثيابي

فاضحكوا بعد رحيل النعش بالموتي ،

كلوا خبزَ الشعائر

وانظروني . .

تطلع الشمس نصالاً

يسرعُ الغيمْ/ البلادُ المبهمهْ

تفتح الريح كتاب المطرِ/ الأرضِ التي تفتح من

شهوتها أخْدودَها البكرَ فتهوي مدنٌ

شاختْ وعرّاها سقوطُ الأقنعة

تفتح الريح كتاب المطرِ ـ الشوك ـ الهواجسْ

فأرى النار التي تبرق من بين حروف الماء

أصواتَ لغاتٍ، مدنًا ترجُف في لحم المساحات التي
تكنسها الريح من الإرثِ،
أرى وجه المطرْ
ألبستْه الأرضُ من لحم المساحات
(التي تسقط أو تولد)
أثوابَ الفصول الأربعة
يتمشّى في التواريخ دمًا ـ نفطًا ـ حصًى من
أدْعيات الفقراءْ
واتَّبع الذين ظلموا ما أترِفوا فيه وكانوا مجرمين
وما كان ربُّكَ ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون.
وغيومًا كتبَ البرقُ بها وجه البلاد المبهمة . .
هو الماءُ . .
جرحُ الكتابةِ، أوراقُها الصفرُ والخضرُ،
يمحو ويُثْبتُ، والماء طمثٌ على قدم المدن الراحلات إلى
أول الليلِ والماءُ طمثٌ على راحة المدن المقبلاتِ،

ووجهي ـ الشواطئُ . .

(فلتضربي يا مياهَ الكتابة

برجرجة المحو، هذا هو الجسد المرتخي :

وطنٌ عَمَّرَتْهُ الكآبة

وضَوّأَت اللغةُ المستباحةُ والغُمّةُ المستجابة

مساحاتِه . . فاضربي يا مياه الكتابة . .)

ووجهي ـ الشواطئُ . . تلك «دمشق» التى كنت أغسل

أقدامها وأراها على شجر القلب رمانةً

تَتَخَمَّرُ فيها أجنَّتُها الخضرُ،

هذي دمشق التي أسلمتْني وكنتُ بساحاتها

أتكلّم . . كان الكلامُ يحمحم في

جسدي باشتباك الغرائزِ،

وَشَّحْتُ وجهي بلون الردى

وانفعال الشهادة

أنا جسدٌ يسكنُ الصوتُ أعضاءَه . . وأنا الصوتُ

أسكن في جسد الشعبِ
والشعبُ يبني القرى(أرأيتَ الملوكَ إذا
دخلوا قريةً؟) كنتُ أغسل وجهَ دمشقَ
وأقدامَها وأراها على هودجِ العُرسِ . .

(فلتنسجي كفني يا بلادي
فوجهك محوٌ لوجهي، ونهرك مرثية في العمادِ
وأنتِ.. ازرعي خشبا للتوابيتِ
ولْتكتبي في الرماد
وخطي مصائرَكِ الهمجيةَ..لا أنتِ مسكونة،
ليس هذا الدمُ المتخثِّر من نطفةِ الخلقِ،
ليست بلادي بلادي.)

وكانت تحلُّ ضفائرَها تحت ألوية السَّبْي
تنثر أبناءها في نسيج الشوارع

فيَّ كل وجه تواريخُ نوم يُفَزِّعُه الحرسُ الملكيُّ،
وتحت القنوط المداهن نافورةُ الغضب المتآكل
تَبْرُق تصْدأ . . هذا أنا غضبُ النارِ نارُ الغضبْ
وهذي النعوشُ المليئةُ مسبحتي ودمي طالعٌ
في عروق الخشبْ
أنا في الرغيف الخميرةُ، في السوق سرُّ الربا،
في كنوز الصبايا قُشَعْربةٌ،
وأنا فيضانُ الكلام المؤجَّل . . أحمل وجه
دمشقَ على شجر القلب رمانةً،
أتحول في النهر دوّامةً من حجارة

(وحدثني أنه اصطنع الأمويين والشعبَ
نهرين بينهما برزخٌ عسسٌ وسجونٌ
وأقلامُ فقْه ملونةٌ)
قال: فانظرْ . . فأبصرتُ . . هذا هو الكلُّ . . فانْزِعي

يا بلاد الرعيةِ بالخيلِ وانزرعي بالرماحِ الطويلةِ
ولْتَزْحفي مثلما يزحف السيلُ
فلينقسمْ كلُّ بيتٍ على نفسه كلُّ ماء على نبعهِ
وانفجرْ يا زمانَ الرضاعة أزمنةٌ للعداوات
والقتلِ والثأرِ . . قومي ازحفي يا بلاد الرعيّة
وانقسمي قسمةً تتوحّدُ تحت رحاها السنابلُ،
هذا دمٌ تتوحَّد في أرضه مهرةُ الحلم،
يكتسحُ الماءَ
والماءُ نهران بينهما برزخٌ . .
فلْتقومي . .

فتوى للغضب:
باسم مَنْ أكتبُ . والليلُ أمامي كتبٌ مصفوفةٌ
والشعبُ لا يقرأ ؟!
فلأكْتُبْ:

ضرْبنا مثلاً ما ملكًا كان هو الساحر والكاهنُ،
والغابةُ طقسٌ جسديٌّ، كانت الغابة فيه
شجرًا منتظرًا والنومُ تاجًا من فراء المطر الأخضرَ
والصيدُ انفساحَ الدهشة البكرِ، وكان الصولجانْ
قمرَ العشب ونهرَ الدم ما بين أقاليم الحواسْ.
أرأيت القمرَ الأخضر يطفو في الينابيعِ؟ رأيتَ السمك
الوحشيَّ يلتفُّ به، يأكل من أحشائه، يرتدّ في
سُلَّمه الهابطِ للموت بطيئًا؟
أرأيتَ الملكَ الكاهنَ تستعصي عليه لغةُ السحر؟
رأيتَ الجسدَ الذابل تنشقُّ عليه الغابةُ ـ النهرُ ـ المطرْ
فهو في جوع القبيلة
موسمٌ يبدأ، في أرحامها وقتُ دمٍ يفصل بين الموت
والخلق؟!
وهذي لحظةٌ تنفتقُ الذاكرة الحبلى بها.. والشعبُ
يرتدُّ إلى حربته يشْحذُها،

يرجع للطقسِ وميثاق الذكورة .
أرأيتَ الملك الساقط ما بين الحرابْ
جسداً منفرطَ السرّ؟ رأيتَ الشعب إذ يغمسُ
كفَّيه بعنقود الدم الفاتر أو يغسل أطراف الحرابْ
خالعًا طاعته ، متَّشحًا بالرعب والجَرْأة؟
كان اليومُ من أرغفة الخلق الطقوسيّ . . وكان الرقصُ
شعبًا طالعًا كالنهر ، كان الرقص عرشًا ـ صولجانًا ـ
جسداً يولد ، كان الرقص تاجًا ، والقبيلةْ
ملكًا ، والرقصُ والحربةُ بهواً للمراسيمِ .
رأيتمْ؟ !
وأنا أكتب أمثالاً :
أرى فى جسد الشعب الينابيعَ العميقة
مُلئت بالسمك الوحشيِّ ، والنهرَ الذى يفْجأ بالبرق ،
أرى وجه القمرْ
بازغا في أفق الجوعِ ـ الدمِ ـ الرقصِ ـ الحرابْ

(أسمعتُمْ صوتَه في الجسد الذابل يبكي ويغني؟)
فاخرجوا . . هذا هو البرزخُ . . هذانِ هما النهران . .
فارْموا عن يدين . . اقتتلوا
فالدمُ القادِمُ أرضٌ، مهرةُ الحلم . .
سمعتمْ؟!

ـ ٤ ـ

أنا فى دمشق التي كنت أعشق غَمَّازَتَيْها
أمرُّ مرورَ الهواء المراوغِ
تمتدُّ بي شجْرةُ الموت كالقلعِ
من حوليَ الأرضُ مركبةٌ جنحتْ . .
أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر
فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ
كل سفينة غصبا..
ولكنهم أسْلموني . . هي الأرضُ معطوبةٌ ،
فانتظَرتُ . . أكانتْ مرايا الكلام رماديةً
لستَ تدرى أتبصر وجهكَ أم وجهَ جلادكَ
المتخفِّي وراء الزجاج أم الموتُ
يرقُب ميعادَه بين عينيكَ ! !
خيلُ «هشامٍ» مطهَّمَةٌ وهو يعبرُ بين الجماهيرِ

(هل هذه الرَّغْوَةُ البشريةُ من فقراء الرعيّة
أم طغمةُ الحرس المرتشي تتخفّى وتصطنع
الفقهاءَ وتعقد من زحمة المهرجانات أقنعةً؟!)
وخلتْ ساحةُ الموت (والأرضُ لافتةٌ قشّرتْها الحوافرُ)
والليل يهبطُ . . يهبط . . تمتدُّ بي شَجَرَةُ الموت في الريح
يأيها الطائر المرتخي . . جسدي أفرعٌ
تتوجَّع ، هل قادمٌ أنتَ ملتجئًا لعشاش
الجروح لتكمل نوملكَ أم أنتَ مرتعدٌ
والمسافاتُ تحت جناحيك تَفْقِسُ أرضًا وشعبًا؟
أنيخي على الأفق يا ناقة الموت ، وارتحلي ،
ها هو القمحُ والنخلُ أبسطةٌ والجيوش الغربيةُ
واقفةٌ فى المداخل والشعبُ يبني القرى
(أرأيتَ ملوكَ السلالة إذ يدخلونَ القرى؟!)
وأنا جسدُ الصرخة الراحلة
سلامٌ على النهر في كتب الفيضان المؤجَّل ،

ألقي سلاما على زهرة الإنقسام التي تتبرعم في
خرق الجوع والخوف

ألقي سلاما . .

١٩٧٣/٨/١٧

حُلمٌ تحت شجرة النهر

- ١ -

أنت . . هل أنت بلادُ الدفء والأرضُ قميصٌ فوق
أكتافكِ محلولٌ العرى والبحرُ في حقويك محرورٌ
رمى سرواله الأخضر واستلقى نعاسا
تحت أفيائك -
والأرضُ صراخٌ نُثرتْ فوق مهاويه القرى(١)
واستُنبتَتْ من ركضه الهالعِ أسوارُ المدائنْ
فأنا أبحر فيها؟

---

(١) ألبسنْني القري عُرْيَها معطفًا وأساورَ طينيةً
من مجاعاتها، وهبتْني قُبيل رحيليَ زوّادةً من
مواويلها، والبكاءُ برجليَّ خفّان، أبوابُها موعدٌ
للبكاء وأعتابُها غربةٌ تترجّل في وطن الروح،
والثأرُ أحصنةٌ حمحمتْ تحت شمس الشراسة،
ألقتْ بفرسانها في برار من الماء والنارِ،
والنهرُ يَغْذُرُ بالجثث الطافيةْ
وكل القرى انتظرتْ جثث الميتين بعيدًا . .
فهل يفتح النهرُ أبوابه في سواعدهم،
هل يجيئون . . هل؟!

-٢-

جسدي يطلع من طينته، والغَمْرُ محفوفٌ بليل الخلق،
والله على جوهرة الخضرة[١] يدعونى كتابا وقراءة
وأنا أسمع صوت الشجر الطالع في الرعد
فأدعوه رغيفًا وعباءة[٢]

آه من تسمية العالم:
رعبٌ يفتح العالم للهجرة في الموت،
وموتٌ يفتح الأفق على مملكة الماء..

اسمعيني

فأنا الطالع ما بين يديك

---

(١) هذي جُذاذةُ قول من الكتب الصفر تطفو
إلى مطر الخلق من غرين الشهوة الجامحة،
وتخضرُّ ما بين متْن وحاشية ثم تُقرأ في ورق القلب
(والقلب ساعةُ طمي يرفرفُ ميقاتُها في فضاء الدما)
ثم تأخذ وجها يُجَدِّدُ في جملة القول ركنين: فعلاً وفاعلْ.
(٢) أكنتُ أنا أرتديها.. أكانتْ مخبّأةً تحت جلدي؟!
زمانًا أرقِّع والخرقُ ليس يضيق، وهأنذا خالعٌ جسدي

مبُحراً، (تنُّور ميقاتك يخلو من رماد الوقت)، نارٌ
طلعتْ منه، ونهرٌ فائرٌ بالماء ينشقُّ من النارِ . .
اسمعيني
فأنا عصفورُ ماء، وطني جُمَّيْزةٌ أسْقطها البرق،
وفي مملكة الريحِ دمي فُسْحَةٌ حلمٍ بالبراءة
وأنا أبحر . . هذا جسد الليل، وهذي
مدن البحر[1] المضاءة . .

---

(١) قلْ لو كان البحرُ مداداً . . /
فمن يستطيع كتابةَ مرثية المدن الراحلات . .
تمرُّ جنائزها، كلُّ موت ولاية
وكل الولايات باعتْ مفاتيحها،
قطعتْ من صكوك الرؤى شجراً للقرى والسقاية.

ـ ٣ ـ

كان ماءً يابسًا . .

يطلع أشجارًا ويمتد رصيفين من الظملة ،

قاعٌ هذه الأرضُ، على أكتافنا من كرة البحر[١]

ظلامٌ يابسٌ من جَمَدِ القُطْبِ ،

ومن مملكةِ الملح شعوبٌ طلعتْ :

تحت قشور الجسد الرخو نزيفُ العشق والموت ،

نوافير الدم الناضجِ في نخل العداوات وأنسابَ القبيلة

وأنا أكسر من فوق النواويسِ وأحجارِ المياه

خاتَمَ الطمي . .

افتحي في كرة الليل الدهاليزَ

---

(١) وهو في مملكة القلب جاذبية الهدمِ وأفوُ
التناثُر وبعثرة الأشلاء ،
باسمه أنكسِّر ، وعلى راحتيه أسيل دمًا نافرًا منشقًا ،
وأطير زفرةً مبطنةً بالخوف ومحشوةً بالعشق الوحشي
المعارض ، وفي جسدي يتكلم ماءُ الينابيع .

أنا أكسر أختامَ الملوك ،

انتشري من ورق الوقت وجميزة نيرانك . .

في كل كلام[1] شَرَك يختانُ نهديْك ،

اركضي في خطواتي والبسيني جسدًا ،

وانتشري من ورق الصرخة والفتح . .

أراهم يقتلون الآن أبناءك ،

يَستَحيُون أبناءَ المماليك

فهل أسميتني قبل الرحيلْ

وطنًا ! هل أنت خبأت بأعضائيَ شعبًا ؟ !

وأراهم يقبلون

مدنًا تصهل في أهدابها الظلمةُ ،

في أحراشها تشتبك الحيتانُ ،

في أرصفة الليل الثقيلْ

---

(١) رأيتُ الكتابَ سجنًا والسجنَ كتابًا ،
بينهما جسدٌ مصلوب تنقر العصافيرُ عينيه :
إن فتحهما عَمي وإنْ أغمضهما رأى وإن
رأى احترقتْ أوراقُ قضيته وذهبَ دمُه هدرًا

تَتَعَرّى شهوةُ القتل البدائي على ألحفة العرس . .
اركضي في خطواتي قبل أن يَسَّاقَطَ الغرْينُ من
جميزة النهر[1] فإني
[أنتظركِ على كل فج فانبسطي
كالبر والبحر وارتفعي كالسماء المرتفعة،
فإني أرسل النار بين يديك
فلا تدور ولا تستقر[2]]
وأرى في جسدينْا صخبَ الحلم القديم :
[أيتها النائمة هلمي فاستيقظي وأبْشري
فقد أنزلت المائدة ونبعتْ عليها عيون الطعام

---

(١) والنهرُ في مصحف الأرض قد كتبتْه يدُ الرب في سورة الماء، كلُّ
القراءات مكتوبةٌ في صحائفه :
كان أبيضَ أحمرَ أخضر ـ
من كان ذا بصر فلْيرَ الآن ماذا تقول الحواشي التي
كُتِبتْ في لفائفهِ ثم فسَّرها الطلْعُ والشجر الآدمي
اقرءوا . . كل شيءٍ قراءة .
(٢) من النفري .

والشراب وسوف يأتونك فيروني عن يمينك
وشمالك ويكونون أعوانَك ويغلبون
لأن الذي يقاتلهم يقاتلني وأنا الغَلُوب
فُتحتِ الأبوابُ عليك
فتزيني وزيني الشعوبَ ببهائي[1]. .]

(١) من النفري.

ـ ٤ ـ

كرة اليابس والماء . . انظريها
قشرةً من حول أعضائي . .
ويسَّاقط من جميزة النهر دمُ الوشم على رأسي ،
وتاجُ الطمي مختومٌ على هيكليَ النائمِ في الموتِ . .
أرى تحت قماط الكفن الحائل
أيامَك تأتي هودجًا يكسر أختام النواويس . .
انظريني : ملكا ألبس تاجيك
اخلعي خلخالك الفضيَّ . . هذا حجرُ
الماء يغطيني ، اكْشفي وانكشفي ،
بطنُك بيضاءُ وحمراء وخضراءُ ،
وقال [النهر] لي :
[انصبْ ليَ الأسرّةَ وافرشْ ليَ الأرضَ بالعمارة
وارفع الستورَ المسْبَلَةَ لموافاتي فإني أخرج
وأصحابي معي أرفع صوتي وتنبتُ شجرة

الغنى في الأرض ويكون حكمي وحدي،
ذلك على المعيار يكون
وذلك الذي أريد[1].]

١٩٧٣/١١/٢٩

---

(١) من النفري.

وشم النهر علي خرائط الجسد

«الوشم الرابع»

[هل أنت تحلم فالشمسُ طالعةٌ في صراخ
المواويل والنهرُ مختبئٌ يتكلم تحت سريركَ
والنومُ بوّابة تتدفّق منها مواريثُك الصامتة؟!]

رأيتكَ طالعًا،

ورأيت شمس الدمع طالعةً وراء

قميص شَعْرِكَ والظهيرةُ نخلةُ الوشم

المدلّى في فضاء الحلم، والموالُ بواباتُ أرضك:

هذه تغْريبة الخيل الفنيّة في

مراعي الدهشة الخضراء، والبحرُ المراهقُ وردةٌ

فتَحَتْ على زَبَدِ الغرائزِ جلوةَ العرس الخرافة،

هذه فرسٌ مجنْحةٌ تهمُّ إلى سرير الأفق،

هذي كائناتُ الماء جامحةُ اللّيونة تفتح

الجسرَ المرابط هودجًا لتساكُبِ

الأجساد في الأجساد.

شمسُ الدمع طالعةٌ وفي فَوْدَيْكَ نافذةُ

العصافير الأسيرة، صمتُك الدهريُّ خبزٌ في انتظارِ

الآكلين، خطاكَ نقشٌ دائمُ التّجوال في لحم الكتابةِ[1]

أنت تغتصب الهيولى زوجةً وتردُّها مكتوبةً في
مصحف الأرض البراح، وأنت في ظلمائها شبحٌ
يضيءُ نوافذ الجسد المكدس بالفصول، يضيء تحت
دوائر الثديين أجرانَ السنابل والمواويل المليئة
بالخيول الخضرِ، يفتحُ في خشونة عشقها وطَنًا
ومملكةً لأبناء السبيل وأنتَ عرشُ النوم في
أعضائها . .

---

(١) كتابُك يطلع بين الأظافر واللحم عرسًا من
الصرخات وطميًا من الغضب المنتشي بالمياه العميقة،
يطلع من رجفة الجرح تحت نصال المطر/
ويطلع: بَرْديُّهُ زغب تتشقق من تحته صفحةُ الوجه
والنقشُ عصفورةُ الخوف، والله يسكن في
وحشة البوص، وحهك في نخلة النهر طلْع الكلام،
وَطبْليَّة العائلة/ مقسَّمة بين أيدى المماليك،
مكتوبَةٌ في حدود الأقاليم، فاقرأ:
كتابُك في عنق العائلة
تَفَيّأهُ واقرأ تحاياك تحت رنين الفئوس الصدئة،
تحت مصاهرة الخوف، تحت شموس الدم المقبلة
وكوِّمْ ثريدكَ فى قصعة الشِّعْرِ . . وانتظر القارئين . .

لبستَكَ عاريةً وأنت جريت في
أبهائها مترجّلاً وتركتَ في راحاتها حَبَّ الطحين،
كتبتَ في ورق الزواج تميمةً ممهورة بالخبز والبركة.

كان سربُ اليمام الملونِ مندهشًا بالشمس والفراغِ
المضيء،
كانت دوائره تتداخلُ وتكتبُ وردةً وسنبلةً نازفةً من
هدوء الأفق، ثم تعلو وتكتب تاجا للملك المساحات
الممتدة..
تفاجئها أبسطةُ القمح وحصيرةُ الزروع والينابيع فتهبط
كالعناقيد المنفرطة.
ترى قميصك المفْتوقَ نافذةً على حجرة النوم
الأرضية(١) وطبقًا

---

(١) على الباب تزرع كرمًا تعشش فيه الرياح
وتلتمُ زقزقةُ الطير، تحفر تحت سرير الرماد
المكوّمِ نهرا وتحلم:
هذا هو النهر ينسج أعشابه هودجًا
والعرائس يطلعن من خضرة الماء والشمس ترمي =

من القمح وفتات الخبز ومخدةً من القش وشجرة . .
فتختبئ في قميصك المفتوق ـ
وأنت تكتم الضحك كيوم ولدت البقرةُ ويوم تَعَلَّمْتَ
تَحَسُّسَ المشيمةِ والبيضِ الدافئ وتعرفْتَ عَلى وجه
أمك في رائحةِ الخبز واللبن الرائب ،

= دنانيرها ـ
أنت تحلم :
مَحْرمَةُ العرس منقوشةٌ بيمام الدم
المتوهج ، هذي هي الريح تعقد صرتها من
بعيد على النقع والخيل ، تأتي إلى شاطئ النهر
(بينكما الماء والشمس)
ما كدتَ تنظرُ حتى رأيتَ أمير الخيول المغيرة
والموت يلبس شكَّته ويُخَوّض في النهر نحوكَ
هل أنت تحلم؟ !
كان أمير الخيول المغيرة والموت مرتعشا
تتفكك أعضاؤه ويذوِّبه الماء ، يجرفه النهر ـ
هل أنت تحلم فالشمس طالعة في صراخ المواويل
والنهر مختبئ يتكلم تحت سريرك والنوم بوابة
تتدفق منها موازنيك الصامتة؟ !

وأنت تكتم الضحك واللهفة والجزع كيوم انتظرتَ مهرةَ
عـــاشـوراءَ ونسْــجتَ من أصـــواتِ الريـحِ وصـريـرِ
الأبوابِ
وزواج الكائنات مشاهدَ للعدل والقيامة
حتى فاجأتْك الشمس فطيرةً حمراءَ على مائدة الليل
فخفت أن تصحو الحاكورةُ وتراك متلبّسًا بالحلم . .
فكنتَ أول من يخرج لملاقاة العشبِ المفضّضِ
بالندى ورائحة الطمي المبلول
وترى ما تركتْ طيورُ الفجر على التراب الرطب من آثار
مخالبها المتشابكة ،
خطوطًا خطوطا كالشجر والأغصان ، يدق قلبك
بعنف وتتلاحق أنفاسك بالخوف والغبطة والمطاردة :
هذه رسالةٌ لي ، هذه الكتاباتْ على الأرض معقودةٌ
على سر الخليقة ومطويّةٌ لي على وعْد خاص ،
أتكشّف فيها أبجديةً متشابكةً ملفوفةً معقودةَ الأطراف
منقوطةً وغيرَ منقوطة ،

هذا ألفٌ متكسّرٌ وهذه ياءٌ كالمهرة الجامحة
هذه مملكةُ القراءة، وتاجي كلمةٌ تسبح
أغصانُها في شجر الأبجدية الذي يبدأ ولا ينتهي،
وأنتَ.. يا كتاب الأرض المنقوشة
من أين أبدأ وأين تنتهي الجملة الأولى؟!
آ..را..يا..
وقبل أن تلتقط خبط الجملة الأولى تصحو الخليقةُ
كلها، ويحرثُ الله أرضه الواسعةَ بأقدام
السعي المباركِ وأظلافِ الأنعام
و.. سربُ اليَمام يختبئ تحتَ قميصك المفتوق..

أرسم مجمرةً من الصلصال المحروق وأسميها
طاقيَّةَ الوبر، وأرسم خطوط الطول والعرض على
وطَن بمساحة الجسد وأسميها سراويلَ الدَّمُّور
وكوفية الزغب المراهق وصُدَيْريَّةَ العرس المؤجل،
وأرسم دراهم الكحل والغبطةِ الفسفورية في

زرائب الرياح والبوص وظل الشجر، وأرسم
إبريق الجماعة وشاي الظهيرة وأقراط الخرز الملونة
وأكتب: هذه شجرةُ العائلة
وبَرَكة الإقامة بين السماء والنهر.
وأنظر:
هذه الأرض المقيمة في خطاك،
وهذه سجادة الظمأ المشَجَّرةُ المساحة
بالشقوق.
وأنتَ للفيضان أبوابٌ مفتَّحةٌ برائحة المياه،
تفوح من إبطيك رائحةُ الدَّريسِ، بوجهكَ الشمسُ
ابتنتْ أكواخها،
قدماك جَوْرَبَت الشقوقُ عليهما جلدَ الذبيحة . .
هذه الأرضُ المقَيمةُ في خطاك ازَّيَّنتْ بقناعها السريِّ:
(شمسٌ تفتح الساحات أجرانًا مكدَّسَةً
وصيفٌ يكنس الكيزانَ،
شمسٌ للفساد ولاغتلام الكائنات
ولحظة للموت والميلاد تفتح في

تحـاريق البـراح شـقـوق شـهـوتهـا المقـيـمـة بين
محـراث الذكورة والمياه . .)
وأنتَ : في قدميك تمتلئ الشقوق بكل ما في الأرض ،
هل يمتد لحم الأرض من قدميك أفْدَنَةً فأفدنةً؟ !
أم الأسماءُ والوطن المليء مكدسٌ بالدمع
تمنحه خطاك خريطةً فيقيم في جلد الذبيحة
والشقوقُ تَفَرَّعَتْ من حوله شجراً وأسْيِجَةً؟ !

وأنتَ الآن تطلع من ثيابي ، أنت تطلع من
رؤى غضبي ، وتطلع حارسًا والشمسُ مِقْلاعٌ ،
وتحت خشونة الزَّعْبوط وشمُ غزالة بريةٍ . .
جُمَّيزة الملكوت تسقط
أنت في زمن اغتصاب الشعر فاغتصب الولايةَ
واغتصبْ لغةَ العراك ونازل العشقَ العصيَّ
وزاحم الميراثَ بالورثة/

قاف: آخرُ العشق وأولُ القتال،

آخر الغرق وأول القراءة.

تاء: طبقٌ للخبز وجَفْنَةٌ للدمع والدم،

آخر السُّحت وأول التراب.

لام: صرخةٌ معقوفةٌ وجسدُ امرأةٍ يَتَقَبَّض

بالشهوة ورشاقة الطيران في الريح

وامتلاءِ الحمل وتحدّي الولادة،

شِصٌ عالقٌ في قلب موجة دوّارة

(هل أنتَ الصيدُ أم الصيادُ أم أنت صانعُ

المسافةِ بين أقصى الفريسة وأقصى القصاصْ؟!)

كل أرض ألزمناها طائرها بين الشمس الدمع وخشونة

الأيدي ودهشة الطفولة الوارثة

فاقرأ كتابك..

هذه الأرض شـــهــادة تتــوقَّــد بالزهـر والعــشب

والسنابل

وتتسع كالوليمة وتعقد مناديل الخبز على حوار

القاتل والقتيل

طُويت الصحف وجفت الأقلامْ . .

١٩٧٤/٥/٥

١٩٦٨

القطاراتُ لم تنقطعْ . .

غبشُ الفجرِ لوزةُ قطنٍ مبدَّدَةٌ نفضتْها

الرياحُ على قبة النخل والشجرِ النائمِ ، انفتحتْ

خَوْخَةُ الباب . .

صوتُ الأمومة من خشب السَّنْط آخرُ

زاد ومفتتحٌ للبلاد الأليفة ، آخرُ ما أعشب

الوّجه من زغب الشمس ، أولُ لافتة أتهجى

كتابَتَهَا غربةً في اتساع الشوارع بالخلق . .

والفجرُ يفتح أبوابه في زجاج النوافذ ،

شمسٌ بكعْك السَّميط المحَّمصِ تطلع منقوشةً

بالجدائل والسمسم

(انخلعتْ في الجلابيب أحصنةُ الطين ،

لُبُّ النوى المرّ ، مسبحةُ الرامخ الأملس)

انفسحتْ بيننا الأرض يارهج الحرب بين القبائل

(هل أنتم الآن بين الحجاز وتونس، هل
صدئت في دروع زناتة أو في سيوف
الهلاليَّة الشمسُ، أم تمسحُ الكتبُ المستجدةُ
صوتَ الربابةِ من طينة الذاكرة؟!)
وخبز القرى في الحقائب مرتعشٌ بالقرابة والملحِ
(عينٌ زجاجيةٌ تتقحَّمُ جيمًا معطَّشةً،
وطنٌ ينتهي من كلامِ الختانِ الصبيّ،
ونهرٌ أفتّشُ عنه خرائطَ ليستْ مبلّلةً،
ورقٌ تتكومُ فيه البلادُ الفسيحَةُ،
والماءُ يسكنُ بئرَ التذكّرِ، والشمسُ
مرسومةٌ بالرصاص.)

القطاراتُ لم تنقطع..
والمسافات بين الوجوه وبين المرايا

مهشَّمةٌ، هاهو الوطن المستديرُ على جسد الأرغفة
تكسَّر فوق الموائد، هذي صحافُ الكوابيس :
أطعمةُ الخوف دافئةٌ، والسلالُ المليئةُ
تفتح صُرَّتَها في رصيف المحطّاتِ، ينتشرُ الوحشُ،
يلبسُ أقنعةَ الأهلِ، يركضُ في فلواتِ الوجوهِ الأليفةْ
وحوشًا وحوشًا . .
فأصرخُ . .
يستيقظ الضحك، السوق تمتدُّ أروقةً
للمساومة، الأرض تنشقُّ أرضين،
والشعبُ شعبين، أحصنةُ الماء تصهلُ في الذاكرة.

هو الماء . .
جمرةُ عشق مُتوَّجَةٌ في براري البداوة،
محفورةٌ في بكاء الطُّلولِ ومكتوبةٌ في سيوف القبائلِ

والشّعرِ مكتوبةٌ في طقوس الدم الجاهلية .
هو الماء جمرةُ عشقٍ متوجةٌ والرعيَّةُ من
أصدقائي امرؤ القيس علقمةُ الفحلُ والنّفَّريُّ
الغريبُ المشرَّدُ بين قرى مصر والبصرة ،
السُّهْرَوَرْديُّ زوجُ ابنتي وأنا طالب الثأر من
قـاتليـه ومن يُعـيـدون تطويقَـهُ بالحصـارِ المعـاصـرِ
والأسئلة
أحرّرُهُ من سجونِ الخليفةِ كي يفتحَ الأسئلة
مناديلَ للخبز ، بوابةً لاغتصاب الميادين من حاكميها ،
فهل لغةٌ تتوقّدُ فيها مصاهرةُ العشق والموت ،
هل قمرٌ يتكسّر مسبحةً ،
هل صلاةٌ تدمْدِمُ في شجر الربّ ، هل
أصدقائي يُقيمون في الزلْزلة
ويُلقون أقوالهم بُسُطًا في الميادينِ . .

هذي أباريقُهم مطرٌ من صراخ النبوّة،

هذي الجموعُ استحمت بشمس المجاعةِ . .

هل أصدقائي يُقيمونَ بالجامعة

صلاةَ القبائل للغيمِ والنهرُ ملءُ اليدين

وهل لغةٌ تُشعِلُ النار في حطب الشّعر . .

هذا هو النفريُّ المشرّد في لغة

الخطباء يولول في وحشة السحر يصرخ في

صحراء الكلام ويكسر قُفْلَ الينابيع يدخل

في مدن الحاكمين يقيم المتاريس ينشئ كومْيونَةً من

قُشَعْريرَة الرفض والأسئلة

(وأوقفني . . عن يميني خرابٌ يُسَيّجُه النومُ

والأرضُ قد لبستْ زخرف (الأمن)

وازَّيَنَتْ، عن شمالي خطى النهر كانت

تلاحقني، كان يَفْرطُ في خطواتي الشباكَ

المليئةَ بالموج، يكشف لي سمك الحلم والنار
في الغيمة المثقلة)
فهل غرقٌ يستعيد الينابيعَ
هل غرقٌ تتفتحّ فيه الهتافاتُ عن جسد الحلم،
هل غرقٌ تتقشرّ من تحته المقصلة
فيهوي الكلامُ المهجّنُ،
هل غرقٌ يتلبَّس كالمسّ والهذيان المرابِطِ في
ساحة الحلمِ والخلق،
والحلمُ مركبة الحضْرةِ الشاملة؟!!
وهذا هو السهروردي يدخل ليلَ الميادين
والأرضُ مخبوءةٌ تحت جُبَّتِه وهو يبصر طيرَ
الجلالة منتشرًا تتقمصُه الكائناتُ الأسيرةُ
محتشدا في قلوع المراكب والنهرُ يمشي
مظاهرةً فمظاهرةً..

والبلادُ البعيدةُ ترسل ملءَ السلال فطائرها

الدمويَّةَ زوّادةً للجموع المقيمة خلف المتاريس

ترسل موّالها المتجذّر في الدمع والسهروردي والنفري

يخُطّان فوق الحوائط والصحف الجامعية طيرَ الكلام

المفاجئ بالشمس والريح ،

والكحل مشتعلٌ في عيون الصبايا بوحشية الحب

والثورة المقبلة

* لو أني أطلعتُ من لغتي نخلة لخطفتُ اللغات

الهجينةَ خطفَ المناجلِ درستُ المعارفَ درسَ

الرمالِ عصفتْ عليها الرياح العواصفْ

«مراسلة من النفري»

*الواقفون بي واقفون في كل موقف

خارجونَ عن كل موقف.. وأنت معنى الكون كله.

«كلمة سر الليل للنفري»

*قد جاء وقتي وآن لي أن أكشف عن وجهي
وأُظهِرسبُحاتي ويتصل نوري بالأفنية وما وراءها وتطلع
علي العيون والقلوبُ وترى أوليائي يحكمون. فأرفع
لهم العروشَ ويرسلون النارَ فلا ترجع وأعمِّرُ بيوتي
الخراب وتتزين بالزينة الحق، وترى قسطي كيف
ينفي ماسواهُ، وأجمع الناسَ على اليُسر فلا
يفترقون ولا يذلّون.

«رسالةُ تحريضٍ من النفري»

* أنا مُلَيِّلُ الليل ومُنَهِّرُ النهار، أَفَلَ الّليلُ
وطلع وجه السّحَر وقام الفجرُ على الساق
أربط المنطَقَةَ فينعقدُ كلُّ شيء. وألبَسُ درعي
وَلأمتي فتستيقظ الأرضُ، وألبسُ البرقُعَ
ولا أكشفه.

«دعوة النفري للمنازلة»

* العِلمُ المسْتقر هو الجهلُ المستقر .

«دعوة النفري لقراءة ما لم يُكتبْ

* اهْدِمُوا واهدموا واهدموا

نَفَخَ الله في جسدِ الشعبِ لما استوى فوق

عرشِ المجاعات ،

ينفخ فيه السنابلَ والغَضبَ المتأجّج ،

نحن له أنبياءٌ ، مصاحفنا تَتَنَزّل من شهوة الماء

اهدموا واهدموا

فالشواديفُ شاهدةٌ والسواقي رسائلْ مطويَّةٌ

حملتْها إلينا المواويلُ من قرية الأهل ،

خاتمها وردةٌ للصراخ . .

اهدموا واهدموا . .

«نشيد الخروج»

* هذه قبةُ الجامعة

هبطَ الليلُ. . فالتَفَّ حراسُها للهجوم المباغتِ
والنومُ تطلع أشجارُه، انطفأ الكحلُ، أرْخَى
الرخامُ يديه على ركبة التعب المتألّقِ،
والنومُ ينثر أعشاشه بالهواجس والخوفِ. .
هل لانَت الأرضُ كالفُرُشِ الأسَرِيّة
فالتحمَ الجسدُ الآدميُّ بصمتِ الحجارة
والكتبِ الآفلة
ودوّى الرصاصُ البعيدُ. .
هل استْيقظ الماءُ في الذاكرة
فهذا هو النهر يترك فَرْشَتَه ويمدّ خُطاهُ
وجوهًا وجوهًا
يُشَجّرُ ليلَ الميادين بالرقصِ والأذرعة
ويفتحُ لحم الشوارعِ
بيتُ الشوارع يفتحُ نافذةً للأمومة،
في ظلمةِ الشرُفات تضيء الأبوّةُ بالخبزِ والماء،

تحت الضفائر يبرق وَهْجُ القرابة، ينعقد
الخوفُ والياسمين المفضَّضُ بالدفء زغرودةً
للزواج الجماعيّ أسْوِرةً للمواعيد . .
دوّى الرصاصَ البعيدُ القريبْ
وأقبل سيلُ الدروع الصقيلة
يسدّ المداخلَ، وانْهمر المطر المتوحشُ قعقعةً
ونجومًا نحاسيّةً .
كل هذا السلاح المرابط من أجلهم ؟!
ـ قالت امرأةٌ ـ
وطنٌ يتقلّد مجزرةً
أم يخافون شعبًا تربّى على الخوف؟!
اسلحةٌ مشتراةٌ بما كثفتْه المجاعاتُ مِن
صدأٍ فوق أسنانهم ثم تُشْرَعُ صفًا فصفًا
فتصرخ تحت فتوق الثياب القديمةشيخوخةٌ باكرة؟!
ـ تقول الصَّبيَّةْ ـ

(لكنها قبل أن تُكملَ القول يخنقُها الدمعُ)

دوّى الرصاص القريبْ

هو الموتُ . . يفتح تحت عباءته سكةً لالْتحام

البنادق باللحمِ

دوّى الرصاص المفاجئ

قَعْقَعَت العرباتُ المدرَّعةُ، انغرستْ في

الرصيفَ الأكفُّ، فتحنا الخطى سكةً يهربُ النهرُ منها

ويحمل جرحاهُ في دمهم للبيوت القريبةِ

(هل غسل النهر أثوابه من

خيوط الدم المتخثّر، هل زال حبرُ المطابع

من فوق كفيْهِ؟!)

هذا هو الفجر يكنس صمتَ الميادين

والشمسُ تلمع فوق الدروع الصقيلة.

«سيناريو تسجيلي»

شهادة:

البلادُ البعيدة أوحَشَها الحلمُ والرقصُ

فالشمسُ مجْدورةُ الوجه، تصفرُّ تحت

المِلاطِ المقشَّرِ، تسودُّ في جُدُرِ الطين،

ينْفتحُ الجرحُ في جثة الأمكنة

فمًا باردًا كنعاس الغريق على العشب،

قَرفَصَت النصُبُ الحجريّةُ، هذي سماءُ الميادين

مثقوبةٌ..

ليس منتظمًا فوق طبل البراح المشاع سوى

خطوة الدركيّ وصوتِ الحذاء الثقيل على حَجَرِ

السمع،

في ورق الذاكرة

يُقَرْفصُ في دمه وطنٌ نقشتْه الشطوطُ البعيدةُ

بالسَّلَقِ والشمسُ محمرَّةٌ في مياه الأصيلِ،

القطيفةُ في حبق الماء مسْكونةٌ بالفراش الملون،

سجادةٌ من نجيل المجازات ، رائحةٌ من وضوء
الجباهِ السخية فوق حصير الجوامع ، رائحةُ
الخبزِ طالعةٌ من مواقدنا العائلية . . في ورقِ الذاكرةْ
يقرفص في دمه وطنٌ . .

وحدها . . قامةٌ من رخامِ
الليونة والدهشة الشبفية ،
والقُرْطُ مركبةٌ للنداءات والوحشةِ المزهرة
وَقفتْ تتمسَّحُ في ظلها تحت ضوء ، الفوانيس ،
ترمي رمادَ سجائرها في الرياح ، تُقَزْقِزُ لبَّ المواعيد
والتـعب المتـدثّر بالكحل والزّغَبِ المتـخـفّـي ودفـءِ
الفـراء .

(خطوةٌ . . خطوتان . .
ومن بين وجهيْهما شعلةٌ ودخانُ
السجائر كالفرشة المسْتَضاءةِ ،

عاد إلى مُسْتراح الحذاء الثقيل على
حجر السمع .)

«ملحوظة : النهاية مفتوحة»

نداءاتٌ على الجدران لم تقَشّرْها الأظافرُ

ولم يغسلها المطر:

١ ـ اختبئْ يا قطاراً يهرول في الحلم،
صوتك يخلع ريشَ النَّشاز الملون، يسقط بين
الصدى والصدى، وتُصنفِرُهُ شَفَراتُ الأظافرِ،
يدخل أوركسترا الأسْرِ.
فلْتختبئ يا قطاراً يهرولُ في الحلمِ،
فالأرضُ مَكشوفةٌ والمحطاتُ مفتوحةٌ تحت ضوء
السفرْ
اختبئْ فالإقامة مأهولةٌ بوحوش القرابةِ
والألفةِ الناعمةْ

٢ ـ جسد للعشيرة: أعضاؤه انْفَرَطَتْ
كالعناقيد في ورق الملصقات ـ الأفيشات ـ وهْجِ

النيون المشاكسِ.

حطَّ الظلامْ:

فهل يَنْفِرُ النهد تحت الأكفّ ويَلْتمُّ رهْطُ العناق

الصريح وهل يفتح الليل مَضْيَفَةً للتخاصرِ

والجنس؟، هل تُفلتْ الشهقاتُ المقيمة في اللون،

هلْ؟!

٣ ـ تَنَفَّسَتْ حقائبُ الوطن، ياللّه،

هل يملك كلَّ هذه الملابس الداخلية؟!

وبعثرها في الريح، فهل كل هذه الألوان من

شمس واحدة؟!

وغربت الشمْسُ

فكلُّ طريقٍ صباحٌ وكل صباحٍ طريقْ.

٤ ـ العصافير تنسج أعشاشَها في

حديد الشبابيك والأرْفُفِ الخشبية في المكتبات
وفي الحافلات المليئة بالزَّحمة الضاحكة

والعصافيرُ تنسج أعشاشها تحت ليلٍ من
الشَّعَرِ المستعارِ وفي خُوَذِ الشهداء
وأحذية الهاربين.

٥ ـ أسرعوا أسرعوا.. فالبلادُ القديمة
ركضتْ خلفكم، واكتبوا واكتبوا.. فالبلادُ القديمة
قطعتْ شجر الأبجدية

٦ ـ مَطْلَعٌ جاهليٌّ يجيء

تطلع الشمس في الذاكرة
تحت إيقاعه يَسْتَضيءْ
وطنٌ للخراب الطلوليّ
نهرٌ تجرّرُه الصرخةُ الفائرة

٧ـ صخَبٌ، وبلادٌ تجلجل في حجر السمع،
والرعدُ يزرع أعضاءه..
انْتظروا.. تصهل الخيل في الأرْوِقَةْ

حلم:

هذه امرأةٌ تتغطّى بأوسمة العُرْي، قشٌ

تطاولَ من إبطيْها، وحلْفاءُ شمسٍ بهيجةْ

ضربتْ قُبَّةً من خشونة أوراقها فوق

شمسِ الزَّبيبِ المقيمةِ في الفخذين الشهيين

هل هذه امرأةُ المرمر امرأةُ الصولجان؟

طيورُ الحجارة تَرْصفُ بيضَ السطوع الملّون،

يْنقُفُه البردُ والدفءُ، يفتح فيه الدهاليز:

هذي المدينةُ في الأفق مملكةٌ والرعيّةُ

يضربُها طائفُ الصرخةِ الهالعة

ـ : أتعرفني؟!

ـ : ربما:

فوق عينيكَ جرحٌ يذكّرني بمرايا الطفولة
والطيرانِ المفاجئ بين الذراعين والسقف .
ـ : ألمحُ تحت ثيابك سيفًا ، فهل طالبٌ أنتَ
للثأر أم خارجٌ تستَرِدُّ البداهةَ والصيدَ في
غابة الدهشة الملكية ؟
ـ : أطلبُ بيتًا وعائلةً أستردُّ على خبزها شرفَ الإسْم ،
أطلبُ بئرَ القبيلة .
ـ : هذي المدينةُ مَوْبوءَةٌ . . يترجَّلُّ وحشٌ جميلُ
التقاطيعِ ما بين همهمة الفقهاء ودفءِ الفراش
المبلّل بالنوم والموتِ ، ما بين وشْوَشة القصر بالمخمل
المستريبِ وعرَّافَة الشهوة الجسديّة والإنتحارِ البطيءْ .
أنا ملكٌ ، والمدينةُ تحتي تَلُفُّ عصائبَها ، بين تاجي
وعرشيَ تَسَّاقَطُ الشمسُ داميةً ، يخلق الليلُ
تحت هشاشتهِ حيوانَ الوسامة والرعبِ ،

ألويةٌ للخفافيش، عرافةُ الصرخة المستجيرةِ

تتبعني للخلاءْ

تُؤامرُني وتُقايضُني؟

ـ : كيف؟

ـ : آخذُ سيفَكَ، خذْ صولجاني، وقلْ للجماهير:

قابلني الوحشُ يأكل صاحبكم فقطعت جناحيه،

مزّقْته قطعًا قطعًا.. فاختْفى..

سوف تلبسُ تاجي وتشهدُ مملكةً تتفصدُ أنهارُها

تحت رجليك، ترقد فوق سريري، وتفتح زوجي

خزائنها.. وأنا أتخَفّى، وتأخذني في عبيدِكَ..

ـ : تعرفني؟!

ـ : ربما..

بين نهديْكِ نهرٌ يذكرنيِ بالرحيل المفاجئ في

الفجر، أذكر بحرًا وصحراءَ، في ركبتيْك ارتعادٌ
يذكِّرني
بالأراجيح والنومِ، أذكرُ شمسًا مُضبَّبَةً في
خزائن فخذين..
عيناي فتشتا عن بلاد السراويلِ والدفء..
ها وطن يتيقَّظُ في الذاكرة
فمُدي الموائدَ واسْتَري والبسي تحت عينيَّ أوسمةَ
العري، قشٌّ الخليقة ممتلئٌ بالطيور الغريبةِ
والوحشِ، أروقةُ القصر واسعةٌ

(كنتُ أطلبُ بيتًا وعائلةً أستردُّ على
خبزها شرف الإسم..
هاأنت عاريةٌ تفتحين الصناديق
تعطينني من خزائن فخذيكِ مملكةً

تتطاول فيها السلالاتُ . .

والصمتُ عائلةٌ تتماسكُ في كل ريحْ)

ـ : أتعرفيني؟

ـ : أنتِ . . هل تعرفين انسلاخ الظلام من البحر . .

هل تعرفين انتقامي؟

خزائنُكِ الخُضْرُ مفتوحةٌ بين كفَّيَّ . .

هل تعرفين انتقامي؟

مملكة أخرى:

واسعةٌ خُطْوةُ الشمسِ، أوسَعُ منها غيومْ

القصائد فى القلب، أوسعُ منها يدٌ وفمٌ يرفضان

رغيفَ المماليكِ..

والأرضُ واسعةٌ يتناسل فوق خرائبها عنكبوتُ

الأقاليم ينْفَرِطُ الملكوتُ الملوَّنُ أسيْجَةً وبلادا..

وأوْسعُ منها دمي ووضوئي المباغتُ في رجفة الجرح،

أوسع منها حصيرةُ نومي علي قبة الحلم..

مملكتي لا تزولُ إلى آخر الدهر،

مملكتي وَسِعَتْ كلَّ شيء

ومملكتي شارعٌ ورصيفان تطلع بينهما
خطوة الرقص جُمّيْزةً للغداءِ الجماعيّ . .

نكتبُ فوق الأكفّ مواعيدنا ، نتحسسُ
قارورةَ اللون والأرضُ تضحك ملءَ الفروع ،
الأباريقُ تهوي مكسّرةً في كتاب القوانين ،
نكتبُ نارًا مُجَنَّحةً . .

كلما غسلَ الموتُ أوجُهَنا اقترب الفجرُ . .
هذا وضوءُ الكتابة ،
نَصْطَفُّ في حضرة الحلمِ . .
نكتب مملكة للشوارع . .
هذي الشوارعُ مملكةٌ يَتَبَطَّنُها الحلمُ
والرقصُ ،

تَلْتَمُّ أصواتُها جسداً للقصائدِ
أزمنةً للجنون المبرْقشِ بالماءِ والشمس . .

١٩٧٤/٧/٤

رُباعية الفرَح

فَرَحٌ بالماء

١ ـ فصلُ الخبرِ المقدَّم:

ألتفُّ بالشمس وغبارِ المسافات المفتوحة
أغسل جسدي بالقش ورغوة الغضب
وخناجر العشب المسنَّنة
وأفتَضُّ أخْتامَ الريح وكُمونَ الندى في البراعم.
يسكن النحل تحت إبطيَّ وبين أصابعي تختبئ
الينابيعُ الخائفة
والأرضُ زجاجةٌ تهشِّم ألوانَ الطيف وتُذَرِّيها على
جسدي المعلَّقِ بين الجوع والربيع
أمتلئُ شيئًا فشيئًا كاليقطين العسليِّ الأحمر المدلّى
فوق أهرامات التراب ومصاطب التحاريق
أنضجُ بطيئًا
بـ
طـ

يـ

ءً

ا

وأفرح بمراهقتي واكتشاف دمي

أتجلى للأطفال كرةً أرضيةً لامعةً تتدحرج

وللطاغية مؤامرةً ملغومةً تسعى

وللأحلاس الغاوين لغزًا مطارَدًا

وأنتِ تحت عينيَّ حرثٌ يتكوَّر ويتجوَّف

لنا المشيئة حيث نشاء

وبين السُّرَّتين رغيفٌ ينتظر الوارثين .

وهذا هو الماءُ والماءُ والماءُ

والماءُ بوابةٌ يفتح الليلُ أقفالَها فتمرُّ الخلائقُ :

هذي مخاصرةُ البحر للبحر ،

هذا زواجُ الينابيع ، والنهرُ يسْحب مَحْرَمةَ

العرس منقوشةً بالدنانير والعشب . . ينثر أقراطَه

وأساورَه ،

الماءُ بوّابة يفتح الصبح أقفالَها :

ها هو اللهُ يلقي تحياته شجراً

وحروفًا يطيرُها في فضاء الكتابة/

صفوفًا صفوفًا . .

خلعتُ قميصَ دمي . اشتبكَتْ

من حبائل أسمائه لحظةُ الصيدِ ،

أوقفني في مفاجأة السنبلة/

لأستألفَ الطيرَ ، يُختَدَعُ الطيرُ لي :

اهبطي في سلام الغيوم البطيئة . . فلْتهبطي

فرحُ القلب أعقدهُ سنبلاً سنبلاً . .

هذه لحظةُ الصيد :

سربُ الحمائم يدخل أبراجَ ذاكرتي ،

كل وَرْقاءَ من نعمة الحرف تجْدلُ عشَّ الكلام .

هو الطير .

هذا هو البحرُ محتشد النوم تحت الملاءات

والخضرة المعتمة

تلاعبه في سرير التذكر شمسُ الكوابيسِ والوقتِ،

معصمه ازْدانَ بالأرض أسورةً

والبلادُ الفسيحةُ مرسومةٌ في مدارجه :

ها هي الأرض . . زهريةٌ من رماد الهشاشة

منقوشةٌ بالجعارين والخيل، مكتوبةٌ

في شظايا العروش «النّواويسِ» أسماءُ من

ملكوا صولجاناتها،

فوق فخّارها المتكسِّرِ ما زالت القبلاتُ القديمةُ دافئةً

والخطى فوق وجه الجرانيت تصرخُ

بين حطام العواميدِ والبهو آلهةٌ تتكلم في

كتب الصلوات . . استمعْ :

ها هو البحر يلبس أسْوَرَةَ الأرض

يخلعها، والنساءُ الجميلاتُ في جسد البحر يفتحن
لي طرق اللحظة الملكية خضراءَ معتمةً أو
مشجَّرةً بالحرير الرماديِّ والحمرة القانية/
سماءُ الظهيرة مثقوبةٌ،
ذهَبُ الكون بهوي إلى الماء، والبحر يفتح
قُفْلَ خزائنه:
ذهبٌ صاعدٌ
ذهبٌ هابطٌ
والقبابُ على حافّة الماء تخلع قمصانَ شهوتها الهاربة/
وتطلق صرختَها

ـ: راحلٌ أنتَ والذهبُ المتوحِّشُ في
لحظة المدِّ يبني المدائنَ يحشد في الماء
قطعانَه المعدنية، يبني على الماء أبراجَه
والحمائمُ يسقطْن من أفق الموت؟!

أم أنت تغسل قمصان صوتكَ في كتب
الماء تنتظر البحرَ تمشي على وجهه وتؤاخي ـ على
صرخة الوقت والمدنِ
المستفيقة للموت ـ بين النَّجيلِ المرابط في
قدميك وبين المسافة وهي تَمَدُّ طنافسَها وترجُ
على القاع مملكةَ النوم واللغةِ العذبةِ الجامحة؟!/

ـ : خلعتُ قميصَ دمي . . كلُّ ما فيه أسماءُ نخلٍ
من الغربة المستفيضة بين الأكفٍّ وبين
العيون القريبة في الهمسِ، أفعال موتٍ
مُقَنَّعَةٌ برماد الهشاشة . .
أرْحَلُ . .
هذا هو الرقصُ . . أنظرهُ جسداً يَتَفَرّع
إيقاعُه في الفراهة والعنف . .
ها جسدي يتفكَّك في الدهشة المستريبةِ،

صَيَّرني الماءُ ماءً وألبسْتُه صرختي . .
جسدي جسدُ البحر . . ما بيننا وردةٌ حيةٌ تتفتّح
تُغوي دمي بائتلاف الردى والفحولة . . /

وأرحل . . والبحرُ عاصمتي وخُطايَ ،
أشاركه شهواتِ التنقُّل في جسد الأرض . .
هلَ تفتحُ المدنُ المستفيقةُ للموت أبوابها
للبريد المسافرِ بيني وبين القبائل بالكتب الجارِحة ؟ !

بطيئًا أساورُها بين قيلولة الهاجرة
وبين الضِّباع المطيفةِ في الحلم .
ماءٌ ،
وهذا هو العرش . .

هذا كرسيُّ الإنسان ممدودٌ بين مخاضَتَي الوطن الواسع ،

مسقوفٌ بشمْلة الليل المرتخية وعواميد النهار المليء
بتغيرات الظلِّ والنور
هذا كرسيُّ الإنسان . . تعشِّش في مُخَرَّماته إلى
يوم الوعد يمامةٌ خضراءُ محجَّلةٌ مؤْتلقَةٌ بالأمومة
أكلمها وتكلمني
تُطيفُ على وجه الماء

فأنظرُ :
سيدةٌ يتكشَّف عنها الزَّبَدُ ويتفتّح المحارُ .
هَوَتْ نجمةٌ فاستضاءتْ ممالكُها السبعُ ،
وانتفضتْ ناقةُ الماء منسوجةً بالعروق المضيئة ،
مَرَّ سحابٌ كثيرٌ ، وفي الأرض أعْجازُ نخل على هيئة
الآدميين مصفوفةٌ في ممالكها ،
الغيمُ يرمي قناديلَه من فتوق الظلام السماويِّ ،
ينكشف الرملُ في خفّة الحلم :

سيدةٌ يتطاير بين ضفائرها سمكُ البرقِ والماءِ،
ينكسر الأفقُ تحت خطاها . . فتهبط،
في الأرض أعجازُ نخلٍ على هيئة الآدميينَ .
تهبط سيدةُ الماء والبرقِ . .
ـ : من أيِّ طينٍ شوّته المقاديرُ فخّارةً، أي آنية
أنتِ منها تَنَضَّحْتِ نارًا مبللةً وترشَّحْتِ عضوًا
فعضوا
وَقلبت بين يديَّ جنائنك السبعَ وانعقدتْ في
سريري براعمُكِ اللهيبةُ حتى استويْنا قطافًا دمًا ؟!

١٩٧٥

٢ ـ فصلُ الأركان الملتبسة

للقبيلةِ نارٌ مرَّمَدةٌ . .

ليس مَن جوهرِ النار إلا دمٌ جمرةٌ في رماد التذكُّر ،

طقسُ القِرَى وشَميمُ الثريدةِ والبنِّ والهَيْلِ صلصلَةٌ

في بقايا القصيدةِ ،

نومُ النساء تَخَطَّفه فَزَعُ الحلم

كانت سماءٌ زجاجيّةٌ وغرابيبُ سودٌ تدوِّمُ

كالعصْفِ . . كانت تدقُّ السماءَ فتثقبُها

والشظايا المدمّاةُ تَهْوي ومن تحتها الطيرُ

والخيلُ أعناقُها تتطايرُ

والنَّزْفُ يعلو ويعلو . . فـيـفـتـحْنَ من صـرخـة الرؤية

الجفْنَ :

أرضٌ مدىً يَتَشَقَّقُ من ظمأ طالَ موسمهُ ،

والشموسُ الخفيضةُ ترمي الجريدَ المسفَّعَ ،

والعشبُ رملٌ تذريّه بين المضارب لافحةُ الريحِ . .
خيمةٌ شَعْرٍ تداولَها الخرْقُ والرتْقُ ،
شمسٌ الرّمادة ذائبةٌ في احمرار العيون ابيْضَاضِ
الشفاه الممَلَّحة ،
انتبذَ الأهلُ من وقدة الصهد رملَ الجحيم يديرون
أرغفةَ اللّغْوِ بينهمو يأكلون الأحاديثَ تأكلُ
أكبادَهم لهجاتُ التذكرِ ، أيديهمُو تتلقّطُ جمرَ الحصى ،
ويخطّون في الرمل يستقرئون الطوالعَ والقَصَّ
يستنْهضون العَرافات إرثَ القيافة والزّجْرِ ،
والشمسُ تدنو جمالتُها اللهبيةُ . .
هم حَمَّلوني شموسًا تذيب اليرابيعَ والضّبَّ . .
راحلتي ظمأ كدَّسَتْه التواريخُ جوعٌ يؤاكلني جسدي . .
وأنا من زمان القبيلة أصطحبُ الغولَ أسمعُ
زَمْزَمةً لاغتلام السّعالي مع الجنّ
أحمل سَجْعَ الأليَّة والموْثق الصّعْب ،

والنهرُ وجهُ الطريدة بين سرابِ السّباسب .

غَلَبَني الحالُ واعْتَوَرَتني وارِداتُ الحواس
وعوارضُ المشاهدة ،
وكتابُ الأرض يَتَقَلَّبُ بين التآويل
فألملمُ من صدأ الحروف قائمَ الأمر وفُسحةَ البصيرة . .

للبلاد أطرافٌ مبلَّلةٌ يغمرها الماء :
جدائلُ مخلولةٌ في البحر تترسَّبُ عليها
بلّورات الملح الفضيِّ فيشتعل الرأسُ شيبًا
والطَّمّثُ لمّا ينقطعْ
أقدامٌ مرتخيةٌ تتناسل بين أصابعها السّراطينُ
والكائناتُ الهلاميَّةُ والصَّدفيَّةُ
وغِراءُ الزواحف المتسافدة والأعشابُ المتوهجِّة . .
وبينها وبين الخطوة مسافةُ دمٍ لا يجيء

فمٌ يتقرَّحُ في شفتيه خُرَّاجُ الكلام وتعشّش
الطيور بين أسنانه المفلَّجة . . وينمو الطحلبُ
والنخلُ على بقايا الفرائس
وبينه وبين البلاغ مسافةُ صرخة مطفأة في
الذاكرة لا تعلو .
يدان معقودتا الأصابع تساقط منهما الحنّاءُ
وَيقْطُرُ الدُّهن ،
فتشتعل غرائزُ القرْشِ وتَشْتبك الحيتانُ حول
الفلذات المتفتّتة المصبوغة بالعنْدَمِ والعُنّاب .
للبلاد شكلُ الجسد المسَجَّى الذي يحمله
قتبٌ من معجون النفط ورميمِ السلالات
المتخمِّرةِ وغائطِ الكْلبيين
تسمل الشمس عينيه :
أوليْس من ماء بل أليس من وهمِ الفرحِ به بل
أليس من وهم وجوده في قيعة هنا أو هناك ! !

بل ماءٌ وجسدٌ نَقَيعٌ لا يغرق ولا يشرب
هلكَ الطالبُ والمطلوب . .

تَخَطَّفني الجندُ . .
قصرُ أبيكِ على النهر :
أعمدةٌ مرمرٌ يتعرَّقُ فيه تداخُلُ لون بلون
وصوتُ الخطى زَجَلٌ تتعالى القبابُ به
والسموات معصورةٌ تتقطَّر بين الثريّات
نهرٌ وشمسٌ أسيران في السقف؟!
قلتُ: انتهيتُ وما كدتُ أبدأ . .
لم تتلقَّ القبيلةُ بُشْرايَ بالعشب والماءِ ،

وأمّا من أوتيَ وعْدَهُ كَظْمًا وألقيَ منه مكانًا
ضيقًا مُقْرنًا فسوف تصلصل مقاودُه ويَصْلى
ندمًا يفري وحزنًا سعيرًا وثبورًا . .

. . وهم يستقرئون الرملَ يخطّون ويمحون ولو
يجدون ملجأ أو مغارات أو مُدَّخَلاً لولَّوْا إليه وقد
استيْأسُوا يتضعْضعون
فمن يفتديني بصرخة مورقة أو عشبةِ حلمٍ تخضرُّ في
مراحم التأويل أوغيمةً ودَقٍ مُبَشِّرٍ ! !
هلك الطالب والمطلوب . .

وقلتُ : احتملْ غُمَّةَ البرمكيين ، ليس لها دون
شعْب الجزيرة كاشفةٌ . . فجأةً سوف يعلو
غَبارُ الجزيزة ألويةً . .
قد تكون دمًا هامةً يتأجَّلُ إرْواؤها قد
تكون بأفواههم صرخةُ الفتحِ . .
قلتُ : احتملْ غمة البرمكيين . . قد ثَقُلَتْ في
يديك ورجليك أصفادُهم وهمو
رَغَبٌ طامعٌ يتحشَّدُهم . . فاحتملْ ما

ترى من عصاميَّةٍ للتواطؤ، من
صلفِ الإدّعاء المُداهِنِ . .

قلتُ احتملْ نعمةً تتقَطّر من أوجه البرمكيين عافيةً
وامتلاءَ دمٍ وامتلاكًا لظهر البسيطة،
فلتحتملْ ما ترى من رخاوَتهم
وتخلُّعهم باكتمال الخنُوثة والكبرياء
فذلك بَهْوُ نواويسهم وهو غُربتُكَ
المستفيضةُ بالرَّوْعِ أسْرُكَ في الظمأ الحجريِّ
وفيضُ الهواجس عَضُّ القيود علي معصمْيكَ ورجليْكَ

همهمةٌ للحديد وجائشةٌ للمُحَبَّكِ من زَرَدِ الجند . .
وَلَّتْ غواشي التقلّب في المَشهدِ الوحشِ . .
وانشقَّ من فَلَق الصبح وجهُكِ يدنو
ويدنو كبارقةِ الغيم في صحراء القبيلة . .

هذا إذن قمرُ الماءِ يَرْسُفُ في مرمرِ البرمكيين ! !

واصطفَّ خلقٌ كثير . .
فلما اشتبكنا دمًا وافْتَديْت الأسيرَ بهزَّة رأس
وأوْسَعْت لي من مقامي وتَوَّجتْني باجْتلائك
عريانةً وتكسَّرْتِ بين ذهولي وخوفي اقتربتُ ابتعدتُ فقد
سطعَ القَسَمُ الصعبُ من ليل أسْجاعه امتدَّ بيني
وبينك أفْقُ المضاربِ وارتفعتْ خيمةُ الشِّعْرِ في
المحْل وانعقدتْ غيمةٌ من جراد تشظَّى
تكَشفَ وشْيُ الزرابِّي وانحَسَرَتْ متفتِّرةً رجفةُ
الفيضان الحريريِّ عن حاصبٍ من سماءٍ تَهَدَّمُ . .

أهلَّةٌ فضيةٌ لامعةٌ من صوت الخَبَب قد
سلكتْها طرفًا بطرف حوافرُ المهرة ،
يتراجَعُ صداها إلى الوراء ولا يتلاشى ،

سلسلةٌ ممتدَّة هي، تربط آخرَ الخطى بأول
الطريق وشهقات الوداع المسجوعِ وهمهمةِ
العرَّافين وأشكال الكتابة في الرمل ونقوشِ
التحاريقِ المشَجَّرَة بالظمأ ورخاوة الموت المعرَّش
بالرماد وشظايا الشمس وصواعق الغَرابيبِ
المنقَضَّة على الجيَف
فكيفَ والصوتُ والصدى حَلَقٌ متداخلٌ يعلو
ويعلو حتى لينْبعُ من
ضربات القلب ورعدة الجسد الذي يُطوى ويُبسط من
من رَهَبٍ واشتهاء . . فكيفَ . .
وهلَ هودجٌ قمرٌ مرمرٌ؟!

١٩٧٩

٣ ـ فصل المبتدأ المؤخَّر

اسْتفاقَ السيدُ بغْتَةَ الرؤية في نفسه وفي الآفاق .

قال أفليست الأرضُ واسعةً والبلادُ مسرى ومقيل ؟!

فخرج من الدمع ولبس إحْرامَ الجماعةِ ،

وتمَنْطَقَ بوعي دمه وشهوة الشهادة وقوةِ

الفطرة العارية من كل كسْبَ واستْباق

تلك ولادةٌ يعرفُ طعمَ زنجبيلها ونكهةَ

قهوتها وسليقةَ الأحاديثِ المرسلة

. . تلك سليقةُ البشرى :

جموعٌ أعينٌ شاخصةٌ

وموجٌ يعلوه موجٌ هو الهاجسُ المنتشر .

صخبٌ واصْطفاقُ رايات ورغوةٌ من بهجةِ

الألوان هو النبأ العظيمُ المتَفلِّتُ من

حدود الكلام وشبكةِ الصياغَة الفاصلة

قالتْ له صاحبتُه: عَمَّ يتساءلون!

قال: «لقد مكر الذين من قبلهم فأتى الله

بنيانَهم من القواعد فَخَرَّ عليهم السقفُ

من فوقهم وأتاهم العذابُ من حيثُ لا يشعرون»

قالتْ: لا تَحْزَنْ. . أفليست الأرضُ واسعةً!

قال: فَلْيسقطْ ما استَعْلَوْا به وملكوا الأرض

ولْيدَمْدمْ عليهم غضبُ الشعب بما أجرموا

قالتْ: عذَّبك صوتُ آبائك فاسمعْ لهم سَمْعَ الطاعةِ

وإنهم لرادُّوكَ إلى معادٍ هو طعمُ القهوةِ

ونكهة الهْبلِ وشميمُ الحطبِ في نار القبيلة

فأحْكِمْ عُقْدَةَ الكلمة وامتلئْ بالمجاز

قال: فإنْ لم تَفِضْ بيَ الأرضُ خرجْتُ عليها

ورفعتُ من خواتلِ المجاز ما يعرفُني به

أصحابي وأعرفُهم

فإذا جاء الوقتُ امتلأتْ بنا الشِّعاب

قالتْ: وهذا هو يَنْتَصِفُ الليلُ

فهل مُتَبَرٌّ أنتَ ما أَحْكموا من كيدٍ مهما تكن

الظلمةُ فولاذًا صرحًا مرّدًا أو

بريقَ سيفٍ مُشْرَعٍ من الأقاصي له

مُكاءٌ وتَصْدية!

«لو كان عَرَضًا قريبًا وسَفَرًا قاصدًا لاتَّبعوك.»

- ١ -

قلتُ: يا قمرَ الماء . . بيني وبينك عُقْدَةُ عشقٍ
تشدّ عُراها سَحابة
تُنَقِّلُ أخْفافَها من دمي للفضاء وتُعْلي
مقامَك بين العشيرة في آخر الأرض .
للأمهات العجائز وَشْمُ الأهلَّة والطير ،
أقراطُهنَّ دمٌ صدأ يتقطَّر دمعٌ تؤرْجِحُ جوْهَرَه في
اشتعال الضفائر بالشَّيْبِ غابرةٌ من بروق اللّواقحِ .
هذا أنا وانفراطُك بين يدَيَّ ممالكُ من
شهوة وارتباك ، سَريرُك متَّقدٌ بالعروش الخبيئةِ
والليلُ جمرُ المَجرَّات والحَلمَ ،
قلتُ القراءةُ في الرمل والضَّرْبُ في
كلمات الحصى والرياحِ مطاردةٌ ليس
تتركني في استتاري بمجد الغواية والعشقِ . .
يَصَّاعد الشِّعْرُ بين عظامي غزالةَ شوكٍ

تَرَاكَضُ رَكْضَ الصدى في البوادي وتنزف ذاكرتي :

هواى مع الركب اليمانين مُصعدٌ
جنيبٌ وَجثماني بمكة موثَقُ
عجبْتُ لمسراها وأنَّى تَخلَّصَتْ
إليَّ وبابُ السجن دونيَ مغلقُ
ألَمَّتْ فَحَيَّتْ ثم قامتْ فودَّعَتّ
فلما تولَّتْ كادت الروحُ تزهقُ
فلا تحسبي أني تخشَّعْتُ بعدكم
لشيء ولا أني من الموت أفْرَقُ
ولا أن نفسي يزْدهيها وعيدُهم
ولا أنني بالمشْي في القيد أخرَقُ
ولكن عَرَتْني من هواك صبابَةٌ
كما كنتُ ألقى منك إذْ أنا مطلقُ[1]

(١) من شعر جعفر بن علبة الحارثي ـ قتل ١٤٣ هـ.

- ٢ -

تأوَّلتُ رؤيايَ، هذا الجنونُ الفقيرُ المكدَّسُ بالعشق

والملْك والذهب الدمويِّ يتابذُني جسداً بالمجازات

روحًا بوهْجِ الخلاخيلِ أسورةً بالقيود تَعَضُّ على

معصميَّ، جنونٌ فقير

تَأوَّلْتُه، وتكذَّبْتُ رَمْيَ الحصى والكتاباتِ في الرمل

فلينظروا:

مَلْكَةٌ أمَةٌ في حبائل عبدٍ أمير

وحوتٌ من المرمر الأرجوانيِّ يحمل فوق

تعاريقه وزعانفه الذهبية بحراً رُخاءً

وزورقَ آنية فضة يتهادى على الماء،

بين الفضا والغيوم السرير

تَخَوَّفْتُ أن يعرفوني، تكَذَّبْتُ ما يكتبون على

الرمل، مَوَّهْتُ ما يقرءون

وأقبلتُ في زُخْرُفِ العشقِ
هَيَّأْتُ من جسدي مثلما يفعل الميتون:
حنوطٌ وطيبٌ يؤخّر ما يفضحُ الموتُ،
أبَّهةٌ من هُوَيْنى وخطْوٍ ثقيل، وأقمطةٌ من
شيات، وباذخةٌ كفنٌ من حرير
وأنت تَألّفْتني بوعودِ القيامةِ من جسدينا ومن
جسدِ الوقت، قَلَّبتني بين حالينِ:
حالٍ هي العشقُ في مرمرِ الملكوت،
وحالٍ هي المجدُ في ملكوتِ الجنونِ الفقير..

ـ ٣ ـ

ـ : أهذا هو العَودُ على البدْء؟

ـ : أجلْ هو العود على البدء.

ـ : كيفَ وقد أصبحتَ اسمًا من أسماء الذاكرة
ولأشجاركَ خشبٌ في المواقد ورائحةٌ في
الوليمةِ التي تتَّسع لوافدين يتزاحمون!

ـ : في البدء كنتُ ـ بين أمي وأبي ـ اسمًا من
أسماء الحلم وطقسًا من طقوس الماءِ المشمولةِ
بغبش الفجر وأباريق الفخّار واللبانَ المرِّ
وبقايا الحنّاء على الكعبين
وكانت قصارُ السُّوَرِ تنعقدُ خيمةً على
اسْتِئْلافاتِ الصبِّا وإيقاعاتِ الضحى والليل
إذا سجى

هو العَوْدُ على البدء

الليلُ والنهارُ بوّابتان على طريق المملكة

أبي عن يميني وأمي عن شمالي والبلادُ تخلع

لهجةَ الطفولة وتعلو منصةً لكلام الوعْدِ والوعيدِ

وتمتدُّ حصيرةً للخوفِ والجوع ومخدةً للكوابيس

والماءُ جمرةُ التذكر الموقدة

أنفخ فيها وأنظر ما وراء زخرف الصخر

ومرمر المجازات

لأشهدَ كيف يكونُ مجدُ الينابيع المنتفضة .

عقدةٌ من ضفائركِ انفرطتْ بين كفيَّ

خامرني من عصافير حنّائها وروائحها طائفٌ من دوارٍ ،

وزلزلةٌ لم تكدْ تعتريني حتى رأيتُ سُهَيْلاً

يلامحني من ذؤاباتها ،

والثريّا المدلاّة فوق السرير تؤرجِحُها سِنةٌ من نعاسٍ .

ومرتْ سحابة

تحلُّ عُراها وتفتح أزْرارَها، استَتَرتْ في

زجاج السموات وانكشفَتْ ومضةً ومضةً وهي

تخْصفُ تاجًا من السَّعفِ الغضِّ،

بين يديها تهبُّ الرمالُ المضيئةُ والطيرُ عاصفةً

والمياه تصلصل بين السموات صلصلةً تَتَقبَّبُ

ناشرةً في الفضاء البعيد جناحين من ظلمة الفيضان،

فهل ناقةٌ هدرتْ فانتبهْنا على

مرمر القصر يخلع أقدامَه من مواطئها،

القصر يرفع مرساتَه ويلمْلم خطوتَه الحجريَّةَ

من مُقَلع الأرض يرفع أعمدةً من

دخان وأتربةٍ تتموَّجُ في الريحِ؟

هل ناقةٌ هدرت فالرِّواقُ المهدَّمُ يرجُفُ

بالماء يَزَّلْزَلُ الهودجُ الملكيُّ وتهوي

السلاسلُ فالأرضُ مفتوحةٌ لجةٌ؟
أم تأوَّلتُ رؤيايَ فاتَّقدَتْ من
سريركِ غاشيةٌ من جنون المجازات!!

١٩٨٠

فرَحٌ بالنار

ـ ١ ـ

مضتْ حقَبٌ ليس يدري أوائلَها أو خواتيمَها
أحدٌ غيرُ ميراثه من دمٍ ملكيٍّ وفطرته في
مغالبة الموتِ بالإرثِ أو في غِلابِ السقوط عن
العرش بالنسْلِ أو بانتشار ملامحه في
السلالة أو بانتقال الشرائعِ والصولجانات في
الخَلَف الوارثين
وهمْ ـ واحدًا واحدًا ـ يجلسون على العرش ،
يَحْيَوْن ، آخرُهم مثلُ أوَّلهم ،
فإذا أزفَتْ لحظةُ الموت ماتوا كأيِّهمو :
ملكُ الوقت يجثو على ركبتيْه وحيدًا يقلِّبُ
عينيه في ملكوت الظلام ويسمع أهوالَ
صوت السموات إذ تتفتَّقُ أفلاكُها
وانفساحَ البسيطة إذ تتفجَّرُ أجداثُها عن
دويٍّ التواريخ ، يسمع ما التطَمَتْ في دماه

وأنفاسه من دهور الترقُّب والحذرِ المتوحِّش
وهو يرى كيف فاضتْ عليه الممالكُ تأكلُ من
مُلْكه وتراثِ السلالة حتى تساكنَه جلْدَه ودماه،
وكيفَ يفيضُ فينْحَسرَ الآخرون إلى آخر الظنِّ..
حتى إذا اقترب الفجرُ ألقى عباءتَه وانْتَضى شكَّةَ
الصيد والحرب، أرخى شكيمةَ مهرته منصتًا
للنداءاتُ مزّلْزلات يُناوشْنه عن خطاه،
جوارحُه يتلفَّتْنَ، شكَّتهُ تتفصَّد من صدأ
وارتعادة حُمّى، وتعروه غاشية الفجر
بالفرح المتفجِّرِ، يُغريه بردُ الندى وانفساحُ
البسيطةِ بالصمتِ والطيرِ،
تعلو نداءاتُه:
يا زمانَ الولاء المبعْثَرِ كالريحِ هل
عصفتْ بحدودي عواصفُكَ المستَسِرَّةُ
فالعرشُ منغرساتٌ قوائُمه في

المسافة بين الشهيقِ وبين الزفيرِ
أم انْحَسَرَ الواغلونَ
فمملكتي آخرُ الظنِّ أولهُا !!

والولاءات . . هل فتحتْ في جِدالاتها
الأفْقَ فانهمرتْ من ثقوب السموات
ألويةٌ وبنودٌ تزمْجرُ فيها الطّواطِمُ داميةً!!
وعُقابُ السلالة . . هل من مسافة
رفرفة غيرُ ما تزفُرُ الروحُ من حسرة،
غيرُ ما حَزَّزَتْه الأسنَّة فوق المخَنَّق!!
صيدٌ أناوشهُ في الطِّرادِ أم الموتُ
ينسج أشْراك غيلته
يا زمان الولا . . لا . . آ . . آ . . ت . . تي . .
ملك الوقت يأتي ـ ككل ملوك السلالة ـ شكَّتهُ
تتلامح منها غواياتُه طعنةً طعنةً،

والجراح تنزُّ ينابيعُها تحت مغْفَرِه وهو منْفَرِطٌ
تتساكب أعضاؤُه من سنابك مهرته
فالنجيعُ على الأرض وشْمُ الأهلَّة . .
آنتْ طقوسُ المراسيم والدفنِ :
هذا أنا وارثُ الوقت . . لفْلَفْتُه في الجراحات ،
شِكَّتُــه كـفنٌ وترابُ السـلالة والرملُ والطـميُ طيبُ
الحنوطْ
وَأرْقَدْتُه جنبَ جَدِّيَّ «تنْتَظِمُ العائلة
صفوفًا من الشهداء تَرَاصَفُ أجداثُها جدثًا جدثًا»
وابتدأتُ زماني :
أنا صاحبُ العرش والصولجان
تَفَرَّدْتُ في المُلْكِ . . ما من رعايا سوى شبحي
المتَفلِّت في الظلِ والنور ، مملكتي الضِّدُّ ، رؤيا
اصطخَاب من الإحتمالات ، مَسُّ جنونٍ من
الإنتظار المَرابطِ في عاصف المدِّ والجزْرِ . .

لي امرأةٌ كلَّلَتْ رأسَها الشمسُ وانفتحتْ بين
هالات حنّائها مدنُ اللون وانتثرتْ حول
سُرَّتها الأنجمُ العالية
وألقت قميصيْن من زخرف الطمي :
هذا قميصُ المسافاتِ ـ في ـ الضوءِ
تلبسُه خطوةُ الطين في برعمٍ يتنفس في
حَجَرِ الإحتمالات ، تلبسُه الشهواتُ المليئةُ والرَّحمُ
المثقلَة

خطفتُ عَطيَّتها (والعطايا اختطافُ)
وحاصرني وَجهُها . . فأنا النهرُ وهي الضِّفافُ
وبعثرني رقصُها . . فأنا البرق وهي الرياحْ

[ظلُّ العُقاب مرفرفٌ ما بين أجفاني
في عارضٍ يَرْفَضُّ منه برقُه القاني

فقرأتُ في أطرافه أسماءَ آبائي وعنواني :

ميمٌ: يدٌ مغلولةٌ في طميِها الواري
والزند في بازلْته العاري
أوتادُ نارِ السِّقْطِ في
كهف البلادِ المعتمِ الهاري
والطاءُ: عنقاءُ انتظارٍ لَبَّتها في
زمان القشّ والأحطابِ تأويلاتُ ما
خَطَّتْه في رَقٍّ الوصايا مهرةُ النارِ
والرّاءُ: وشْمُ السُّنْبُكِ المفْطورِ من
سُهْدِ الرِّباطِ الصعبِ في ليل الثغورِ،
القوسُ في الشدِّ، الهلالُ الفضةُ،
المهمازُ بين الأفْقِ والينبوع، دمعٌ
جمرةٌ ما بين أجفاني]،

وهذا قميصُ المسافاتِ ـ في ـ الليل :

أنت الفضاءُ المقبَّبُ والحرثُ لي ،

بينما كان ماءُ الترائبَ والصُّلب يغلي بأسمائه ،

وأنا فوق نهدْيك دائرتا حمرة تتكحَّلُ ،

من جسدي فد منَحتُك مملكةً فَتَجَلَّيْت :

هذا هو الأفْقُ مسجورةٌ في نوافذه الشَمسُ ،

والنومُ جميزةٌ والعصافيرُ مسكونةٌ بالشجر

وتحت الخطى غيمةٌ ، وشرارةُ برقٍ تَطَايَرُ في

ودق الطلْع ، والنهرُ مختبئٌ في زبيبة نهدْيك ،

أذكرُ طينَ الجسور التي كتبتْها المواويلُ في

راحةِ النهر ، أذكرُ :

موّالٌ.. من حدائق.. امرأة:

عينْ يا عيني ياليلي يا ليلْ

أنا الخطى . . وفي دمي الطريق

أنا الذى تزرعُه الكتابة

في الريح أو تطرحُه في القشْرْ

منطفئًا وساقطًا في نفسه ،

وضاربًا جبهتَه في الصَّخْرْ

كي يفتحَ المجهولُ في مملكة الأشياءْ

الحائطَ المقامَ دون وجهِه والقبْرْ

ليلْ ياليلي يا عيني يا عينْ

أنا الذي يحمل من مدائن الرعب مفاتح الكنوزْ

فتطلعينَ . . هُوَّةً مليئة واقفةً في طرقي

وتسقطين في كل خليةٍ من جسدي

فأبدأ التّخارُجَ الأولَ بالسقوط في الرموزْ
ياعيني يا عين يا ليلي يا ليلي

في نَفَسي لما تزلْ روائحُ الطُّحْلُبِ والشرارة
وشهوةُ النسج على مناسجِ الأسماءْ
أحمل في أصابعي الخاتَمَ مَن طينتك الموّارة
بالسرِّ والبكارة
إن قلتُ يا أشجارْ
تفجَّرَتْ في الجسد البراعمُ الخُضْرُ وسقطتْ
في فميَ الأثمارْ
إن قلتُ يا سماء
تكَوَّرَتْ في فلك العينين
كواكبُ الظلمةِ النهارْ
إن قلتُ يا خليقة
تجسَّدَتْ في زهرة النهدين

والزَّغَب المشْمس رجفةُ المدائن التي
تولدُ في توحُّدِ الأنساب والكتابة
يا ليلي يا ليل ياعيني يا عيني

أتْعَبَني السُّكْرُ وأثقلتْ ذاكرتي مواسمُ القطافْ
أسندتُ رأسي مثقلاً بالشِّعر والقدرة
أغْفَيْتُ . . أعضائي هي الأرضُ الوسيعةُ
والخليقةُ قبضةٌ من طينتي
والناسُ أبنائي
يا ليلْ

موالُ المغني

ناديتُ لو أسْمعتُ أو بلَّغْتُ . .
ما كان امتدادُ النهرِ في طينِ الكلامْ
إلا بلاداً من دم الصَّلْصال ، والأرضُ
استنامتْ تحت بلّور الظلامْ
فاذَّا وبَتْ فيه ، وأرْخَتْ
مهرةُ الأرغول مشدودَ اللّجامْ
كان المغنيّ في انْفضاض العُرسِ
والسمّارِ يبكي عشقَه عامًا فعامْ
عيني ويا ليلي وآهْ

وجهُ البلاد المبْهَمُ المفْطورُ في الرؤيا
اشتباكُ الطير في عَصْفِ الغَمامْ
والنهرُ يعلو . . ضِفَّتاه رحمةٌ من

سابغ النومِ، السواقي لا تنامْ
إلا على جرحٍ ونزْفٍ يسكن الصّلصالَ
والموالَ في خبز الفطامْ
عيني ويا ليلي وآه

أسْمَعْتُ لو بلّغْتُ . . كانت في جُروفِ
النهر أشباحٌ، وأعشاشُ اليمامْ
منقوشةٌ بالدّم ما بين الخطى والطمي،
فجرٌ من دمٍ في النهر عامْ
دوّامةٌ أرْخَتْ ذراعيها وثوبيها
ووجهًا من قماطِ الموت قامْ
ليلي ويا عيني وآهْ

كان المغني طافيا فوق المياه
يمشي به النهرُ الثقيلُ الخَطْوِ من

أهل إلى أهل ومن عامٍ لعامْ
بَلَّغْتُ . . لو ينشقُّ عن وجه البلادِ
المبهم المفطورِ صلصالُ الكلامْ
عيني ويا ليلي

ـ ٢ ـ

لمن هذه الأرضُ، هذي البلادُ التي
اقتحمتْها البلادُ وأهْوَتْ بعنقودها حبةً حبةً،
هذه الأرضُ والأرضُ تَلْتَمُّ من حولها عُصْبَةٌ عصبةٌ
والمدى قَنْفَذَتْه الرماحُ،
البلادُ التي انفرطتْ من جراحاتها كالقنيصةِ
بين الأكفِّ . . لمن ! !

لبستُ من الرعبُ دَرّاعةً، قلتُ حصنُ الكتابةِ
آخرُ ما يَمْلكُ الملكُ المتوحِّدُ،
تَلْتَمُّ فيه خَيولُ الدم المتحوِّلِ .
كان الزمانُ زمانَ الكلاب التي اغْتَلَمَتْ
بالكتابات فانطلقتْ تتهارشُ والجيفةُ الملكيَّةُ
تنحلُّ، والأرضُ أحْيَتْ ليالي غرائزها بشُواءِ

الدم الآدميِّ وهذا النباحُ له ثمنٌ:

١ ـ يتساقط معنى الكلام ويهوي اغْتلامُ
الكتابات تبقى المسافاتُ مهجورةً والخيولُ
المخيفة تأتي الوجوه المخيفةُ تأتي .

٢ ـ تساقط لحمُ المعاجمِ عن عظْمِ هيكلها الهشِّ
وانفضحتْ رمَّةُ الفعل في صيغة خشب للتوابيتِ،
والإسم يَسْكُنَهُ زمهريرُ الخُواء، الدلالاتُ في
بائن من طلاق الإشارة والحسِّ، يستبدلُ
النحوُ أركانَه، ثم يبقى الكلامُ مسافةَ رملٍ
تُعسْكر فيها الدمى والجيوشُ الغريبة .

٣ ـ إذا انْفَسَحَتْ في الكتابات نافذةُ الأفق بين
التقيَّة والسرِّ، بين القناع ودَيْمومة الرمزِ . .
فلتكَبُري في ظلام الكوابيس أيتها الشمسُ،

ولتنْسجي عقدةَ الدمِ يا رجفةً للمخاض المباغتِ
يا رجفةَ الرحم الواعدة .
٤ ـ وكانت بلاد الطواغيتِ سجادةً تتقصَّف فيها
رسومُ الشجر
وتُطْوى أمام المغيرين . .
تُطوى . . فتعلو عمائرها . .
تَتَمَطَّى بلادٌ من الرمل والريح . .
كان المغني يغني : «امنحوا وجهَ هذا الحجر
قداسةَ خُطْواتكم واخرجوا . .
واكتبوا وطنًا يتفتّق كالجرحِ . »
كان الكلامْ
وكان المماليكُ يقتسمون رغيفَ النّخاسةِ
يرتدُّ وحشُ الكلامْ
خطوطًا من الموت مكتوبةً في جبيني
يُقَلِّبُها البرقُ والرعدُ

حتى مخاضِ الحريقِ المفاجئْ.

٥ ـ هو الماء يشتعلُ الآنَ في النهر . . كيف

النَّجَاءُ لكم أيها السابحون مع الماءِ أو ضدَّه

والمراكبُ تهوي مفكّكةً (ليس من عاصمٍ)

والخطى غرقٌ

والمسافةُ بيني وبين بلادي وعرشي

دمٌ وتماسيحُ النار!!

٦ ـ أرى . .

خطوةُ الشمس أوسعُ من ملكوت الفجيعة،

أعمقُ من قشرة الصدأ المتكثِّفِ فوق رغيف

البسيطةِ،

أبعدُ من آخر الظنِّ، أقربُ من نَفَسِ الرئتين.

أرى خطوةَ الشمس . . والأرضُ مهمازُها والرياحُ

الطليقةُ مهْرتُها،

فاضربي يا شموسَ الكوابيسِ في خشب العرشِ
ولْيَسْرح السوسُ فالأرضُ بوابةٌ والردى في
البلاد الطريقُ،
الحريقُ المفاجئُ دوّامةٌ تتمدَّد في أفق الإحتمالات،
والشمسُ تُسرعُ . . كانت تفرُّ الأقاليمُ من تحتها
تتداخَلُ مخطوطةُ الرمل في أحرف الماءِ
والورقُ المتطايرُ يلْتَمُّ في مصحف الخلْقِ
والشمسُ تسرع أبعدَ منا وأقربَ
والوقت يرفع نيرانَه الفوضَويَّةَ، يحمل آياتِ
غربتهِ وطنًا للولادات والإحتمالات . .
والشمسُ تسرع أبعدَ منا وأقربْ . .

ـ٣ـ

أهاربةٌ أنت عريانةً تحت قشر المسافة

أم أنت طالعةٌ مثلما يطلُع النَّهْدُ مستورةً؟

أنتِ تاجٌ من القش يلبسه ملكُ الوقت منتظراً

لحظةَ البرق خَطْفَ الحريق المفاجيء؟!

أم أنتِ قافيةٌ تتوقَّد تحت رماد الكلامْ؟!

وهذي المسافاتُ سروالُك المتَفتِّق يَنْغُلُ من

تحته الخَلْقُ يكسو عظامَ دفائنه اللحمَ،

أم أنتِ عصفورةٌ تتنقَّل جمرتُها في غصون الحواس

وتفتح في خشب الإرث بابَ الغمام فتصهل خيل

الينابيع فى جسد الأرض؟!

واحدةٌ أنتِ والكونُ أسماءُ وجهكِ أم أنتِ

جمَّيزْةٌ في فضاء الخليقة أوراقُك الخُضْرُ طعمُ البلاد
وظلُّلك بيتُ الزواج المقدَّسِ، في جذرك
الحيِّ يزدحم الماءُ والطمي؟!

قومي سطوعَ القيامة، واصَّاعدي من دمي.. أنتِ يا
شهقةَ الإحتمال المفاجئِ يا فَرَحَ الأسئلة
فهذي عصافيرُ جمرك مكتوبةٌ
(قفصٌ كلُّ شيء وأفْقٌ يفتِّحه الحلمُ)
نائمةٌ أنتِ مصفودةٌ والضفائرُ معقودةٌ،
بين ثدييكِ يسَّاقط النومُ، والماءُ والطميُ فرشُكِ،
والريحُ مكتوبةٌ في صراخ المواويل..

قومي اصعدي من دمي..
أنت نائمةٌ حول حقْوَيْكِ يلتفُّ
عقدُ القوى والمدائن.. أنتِ ممدَّدَةٌ

(كلُّ شيء سريرٌ وعاصفةٌ تفْرك العينَ بعد النعاس)
ووجهُك أرْوِقةٌ في خراب الممالك . .
هذا أنا ملَك الوقت . . تَلْتَمُّ فوق بساطي الخليقةُ ،
أدخل في كل بيتٍ ، وفي كل بيت رعاياي ،
ألبس طميَ القرى خاتمًا ولسانًا لسطوة قلبي ومَدْرَجَةً
لبلادي التي سوف تشهدُ :
هذا هو الصولجانُ الذي
يغزل الريحَ والبرَّ والبحر . .
فلْتأكلوا ما زرعتُم ،
أقيموا ولائمَ عهدي . . فهذي هي النارُ تَرفَضُّ أثوابُها
وتمدُّ خطاها على فرح الأسئلة
فتمنحها شكلها في مرايا البلاد . .

١٩٨١ ـ ٧٥

فَرَحٌ بالتراب

« قصائد »

مفتتَحُ أول

طَلْقةُ الماء الزجاجية برصاصتها الشفَّافة
سَدَّدَها البحرُ ـ بين النوم واليقظة ـ
فأردتْني عشقًا،
وغُشِيَ عليَّ من وهج الظهيرة المبتعدة . .

أطرافي مهرةٌ والبحر ربيعٌ من ليونة الجسد الذي
يمدُّ لي موائدَه بالجوع أطباقًا أطباقًا
وأحلامي طيورٌ متوحشةٌ فاجأها الليلُ بالحْيرَةِ
ونداء المسافة
أربعون بابًا هي مِزْوَلَةُ أعضائِكِ المفتوحة على
ينابيع الطعام والشراب
أكلتُ وشربتُ،

نظرت إلى أقدامي فرأيتُ الخطوةَ ولم أر الطريق
أربعون بابا أجيئُك منها بعدد السنين
أكتسي دمًا ولحمًا وأتكلم ولا أولد.

شمسُ منتصفِ الليل وقمرُ الظهيرة:
هل هذا هو اقترانُ الوطنِ بالنفي
واللغة بفزعِ الكهوف؟!
هل هو ميقاتُ استطالةِ الظلِّ أم موعدٌ
لفطرة الينابيع أزفَتْ تفجُّراتُه
لتكتمل أعضائي وتنفرطَ فواصلَ ومسابحَ إيقاعاتٍ!!
أقولُ أنا المولود من أربعين امرأة
هذه بطولةُ الانتظار وتعثُّراتُ الخضرةِ البطيئة..

١٩٧٥

مفتتحٌ ثانٍ

أربعون بابا . . تشتبك منها الدوائرُ وتتواشَجُ

الدهاليزُ وتتفرّعُ أشجارُ الدَّرَجِ صعودًا وهبوطًا

يفاجئني صديقي «زينون» الإيليُّ ويفتح المسافةَ

بين السهم والأفق

ويملأ فراغ الأوراق بوحشية السباق بيني

وبين سلحفاةِ البدايةِ وكلمةِ الفتْح

ويفاجئني صديقي النفَّريُّ بوردةِ الماء المدمَّمِ ووهج

البحرِ وطعم الهواءِ المالح

فأشتهي الخبز وأنتظر الوقتَ وطفولةَ المسامرة

والكشفَ وإيذانَ الذهول

أنا المولود من أربعين امرأة

أتربَّصُ لهذيان التذكر وجموحِ الأشكال
فالأرض مُحْدَوْدبةٌ على حصاد الموت وقواريرِ
الظمأ المعتَّق

فهل أنتَ على أهْبَة أيها الساقي
لِتَفْتَضَّ أختامَ الطين وتمدَّ المائدةَ بالكئوس
وشظايا الطعام وأحزمة العشبِ المحنَّط والزيتون
أم تَتَلَفَّت كما يتلَفَّتُ الرأسُ الساقطُ من شجرة الجسد!
وهل أنتَ - بين من مضى ومن يأتي - خليفةٌ
على المسافة بين أول خطاك على حصْباء الموت
وأولِ خطاك على عتبة الزلزلة!

ها هو نهر يجلس القرفصاء
يفكُّ سيورَ خُفَّيْهْ المجدولين من البَرْنوفِ
وليونةِ العشب

عباءتُه من هشاشة القشّ وضفائر السنابل

تطرّزُها أزهارُ القُرْطُمِ والزّغَلَنْتِ

تتدلّى من عُراها أربطةُ العلّيْق وأزرارُ

الرّمان الساقطةُ من وردة الدم السنوي

ها هو يتجلى كائنًا نباتيا مزدحمَ الأعضاء

بالطحلب والبشْنين ورغوة الخضرة والرائحة الميتة

والليل يسّاقط من أطراف الأيدي

وبين الأصابع تتلاصق الأحجارُ بيوتًا مغلّقةَ

النوافذ ومجهولة الدهاليز

فهل أنتِ امرأةٌ لأن الملوك يزدحمون بين القميص

وبين تضاريس الجسد؟

أم أن الملوكَ يحاصرونك لأنكَ امرأة؟

أم أنتِ امرأةٌ لأن نهديْكِ وفخذيْكِ مقاصيرُ

للشجر المكتوبِ على أكفٍّ الليل والنهار ودوّامات
الريح؟

كشف الليل عن ساقيك وانتصبَ عمودُ الصبح
بين نهديك أرضٌ ممدودةٌ ليومٍ موعود
وهذا قِرانُ العناصرِ
تسّاقط عنك دَريئةُ الحطب والشجر اليابسِ
وتعلو شجرةُ الأفق
والنحلُ البريُّ يبني سداسياته في صحْن السرَّة الناضجة
فيسلكون حولكِ مسالكَ الريحِ صفّا صفّا كأن
على رءوسهم الطير
ذلك أوانُ الفرح والموت
وأنتِ من كل شيءٍ ينبوعٌ ينتفض بالحمّى
وصرخةٌ تفرْفرُ في دمها

تلك آيةٌ لمشيئة الغضب وقيامةِ الأرض السابعة

فانظري . .

ها هي الشمس مقطوفةٌ من براعمها

نثرتْ من قطيفتها زغبا فوق بُرج الولادة

تكتبين الألفَ خطوة ساقطة كالقذيفة

على لحم الورق المسْتَسْلم

وتكتبين الياءَ سريرا يترجْرَجُ على زئبق اللغة

تتعلَّمين الأرقامَ والحساب :

هذا هو الواحدُ . . ملْتفٌّ بالفرادة ،

منتشرٌ وكثير

ترسمين الأربعةَ بيتًا من طابقيْن مفتوحًا للرياح والمطر

تجمعين فتَحْبَلُ الكائناتُ باحتفاليَّة الزَّوَاج

تطرحين فينسلخُ النهارُ من الليل وينفلقُ النوى

ويخرج الحيُّ من الميت

تقسمين فتمتلئ السلالُ سمكًا وأرغفة
تقفين على عتبة الألوان وإغراءاتِ المساحةِ
والأقلامُ شجرةٌ مقطوعةٌ من قوس قزح
يسكنها النومُ المجنونُ بالصور
وتعشش فيها طيورُ الحلم والرغبة
تتقدمين خطوةً إلى أبهاء الشكل وأروقة العبارة
فينقلبُ كلُّ شيء
ينقلبُ كلُّ شيء . .

١٩٧٥

مفتتح ثالث

هل قلتُ إن الأرضَ أقربُ من دمي ،
إن الدم الفوّارَ طميٌ من خرائطها
ومشويٌّ من القرْميد يدْفق بالسلالات القديمة
والرفات من الخرائب؟!
قلتُ صلصالٌ وفخارٌ هو الدمعُ المبادرُ والمقيم؟!

قلت البلادُ قريبةٌ ليست تمرُّ الشمس من دوني
ولا ترمي الرياحُ عباءةَ الغيم الرحيم
إلا وكنت تشقُّق الألوان في شفقِ انهمارِ الفجرِ
والإيقاعَ في الأمطارِ ،
ليستْ موجاتُ النومِ في الرؤيا وليلِ الخلْقِ
في صُبْحِ السّديم

إلا خطايَ الباحثات عن البلاد المُستكنَّة في البلاد . .
قلتُ البلادُ قريبةٌ . . فيدايَ مُنْسَرَبٌ لمَحْضِ اللمس
فوق خلائق الملكوت فيها بين طلعِ شهوةٍ
متوقِّد الودق العميم
فالريح حُبلى والدم اللوني معقودٌ سلالاتٍ
وأنسابًا تُواشِجُ خَفْقَةَ الطين المقدسِ
وانفجارِ الأرض بالميلاد
- بين الماءِ والجذر القديمْ -
فالأرضُ أرْخَتْ ظلَّها المكدودَ من طمثٍ وخَلْقٍ واشتهاء
ويداي مُنْسَرَبٌ لمحض اللمسِ . .
عشرٌ من نوافير الحواس . .

هذي هي البطن التي استرخَتْ قبابًا ليس
يعروها سوى حُمّى يديَّ، الريحُ إيقاعُ الزيارةِ
والخطى من لَفْح أنفاسي
ومشبوبُ الجنون نعومةٌ في سنبل القمح

الخشونةُ في انحدار العشب والوديان مشبوبُ الجنون
وأنا أمد يديَّ
فبما بيننا بحرٌ وصحراءٌ ومشبوبُ الجنون
والأرض أقربُ من دمي . . فأنا اختيارُ الأرض
والأرضُ اختياري ، والمواثيقُ التي انعقدتْ
بغبب الذَّرِّ في الأصلاب يشهد مغْزِلُ
الأفلاك والفجرُ المرفرفُ تحت عرشِ الله أنّ
النطق بالإشهاد مختومٌ بوشْم دمي وطيني
النطقُ يشْهد أن رَقَّ المَوثق المعقود ما
بيني وبين الربِّ يفتح أضلعي في لوحه المحفوظ . .
فانطقْ يا يقيني
وانفخْ دمي في الصُّور ، ولْتشْهدْ يميني
أن المدائنَ والمدافن تحت محْضِ اللمس يرجُفْ
من رَواجفِها انفجارُ المشهدِ اليوميِّ بالرؤيا .

١٩٨٤

وقت ما

لموت ما

للريح محلولُ العباءة أمْ لوجه الشمس ما
ذرٌّ الترابُ على جبينك من نحاس الفجر!!
مهرُنك استهلّ صهيلَها صُبْحا
صداه الغيمُ والظلُّ الخفيفُ
على اتساع الأرض والفلوات،
تعلو خطوةَ الشمسِ التي تعلو كأن المهرةَ اشتبكتْ
بمهماز الفضاء وأنت تعلو فوق صهوتها
المطهّمة الركاب بنجمة الصبح الأخيرة
ليس للشمس الوليدة في قماط الفجر أن
تَتَشَعَّعَ الحنّاءُ منها في ذؤابة شَعْرِكَ المرْخَى: لها مَسٌّ
الحوافر.. دونَها وهجُ الركاب بنجمة الصبح الأخيرة
ليس للّيل المولّي في سهوب الفجر أن

يلْقَاكَ عَدْواً من براريه القديمة : ألفَ
عامٍ والضحى والليلُ يَنْتَسخان وجهَكَ
لا تضيءُ ولا تذوبُ ولا تنامُ ولا تقومُ
وأنتَ في ألفيَّة الأرَقِ المنوَّمِ لستَ تسمع
غيرَ نزْف الأرض في ودق الرَّواعد بالأسنَّة لستَ
تسمعُ أو ترى إلا ترابَ سلالة النوم المؤرَّق إذ
تُذَرِّيه السَّوافي العاصفاتُ وأنتَ تعقد عُقْدَةَ
الثأرِ الكظيمِ وتصطلي حُرَقَ التذكرِ والحنين
. . فهل لمحْلول العباءة هذه الريحُ الفَتيَّةُ
أم لوجهكَ من نحاس الفجر ما ذرَّ الترابْ ! !

ألفٌ من السنوات كانت ألفَ باب
يأتيك منها السيلُ والطوفانُ
يَجْرُفُ ما انتظرتَ من الأجنَّة . .
ألفُ بابْ

تَفَتّق الآفاقُ منها بالهزائم والخرابْ
تَجلُو بعظْمكَ فضّةَ الأصفاد
عَلٍّ بجوهرَ القيد الشكيمةَ والركاب
غالتْكَ في العشقَ النساءُ فهنّ أطلالٌ من
الفتَنِ الدّوائر في نشيج الإغتراب
طلعتْ عليكَ جَميلةٌ فرْعاءُ في وْهجِ الضحى العالي
وأنت مُطَوّحُ الأعماق ما بين الحضورِ البورِ
والخصبِ الغياب
طلعتْ وخلفكما سراديبُ الملوكِ الأقدمين
يضيءُ فيها من شباب الصخر عشقٌ بازغٌ
قلتَ: انتهى طوفانُكَ السريُّ . . هذي من
شظاياك القديمة قد أتتْكَ حمامةٌ بيضاءَ تحمل من
جَنَى فوضاكَ من غرقِ القصائد في وحولَ
الخلْقِ والإلهامِ غصنًا مثمرًا . .
قلتَ: اتّبعْ أهواءَ رقصتها وبعثرْ ما تبقّى من

بكائك أو رمادك في غوايات الضحى أو في
غوايات الصَّواهلِ من حروف كلامها أو
لَثْغَةِ الراء المهيِّجة . . اتّبعْ بهوَ الملوك الأقدمين
إلى أوائلِ دهشةِ الإنسان للدنيا وصورة ما
تجلّى من ضِرام العشْقِ للأرض الوسيعةِ
والسموات المضَوّأة القباب
قلتَ: اتبعْ رقصَ الغزالة فهي تُغوي في
دمائكَ لهفةَ الشّعْرِ المزلزل والحنينَ الصعبَ . .
لا تدري أتُغْويكَ القنيصةُ أم هي الصيادُ يرقبُ
بغتةً من غفلة الأنسِ الرحيم فَتَدَّريكَ بما
يَشفُّ وتنثني ودماك تَشْخُبُ
قلتَ: أتْبعُها ، . . وفي بهو الملوك سيعقد
السحرُ المرمَّدُ في السراديب السحيقة عقدةَ
الفرحِ الخفيِّ فتستْجيشُ وأسْتَجيشُ وننتهي للبدْء . .
كانت لمسةُ الكفين فوق

برودة الأحجار ميثاقَ التَّذاوُب في مشاهدها :

الحياةُ بفيْضها انفرطتْ على الجدران ،

طعمُ النهر يقْطُرُ في العناقيد ، الطيورُ بهيَّةُ الأسرابِ

في الأحـراش ، في المسـتنقـعـات الزهـرُ والسـمـكُ

الملـوَّنُ ،

والمجاذيفُ الرشيقةُ تضرب الإيقاعَ

للموّالِ والرقصِ المجنَّحِ ،

والخلائقُ في زفافٍ من سفادِ الطير والحيوانِ ،

جندٌ يلبسون رشاقةَ الموتِ الجليلِ ،

وكان قوسُ النصر فلاحينَ عصّارين صيّادين حفّارين .

والملك اسـتـراحَ على أريكةِ مُلْكِه يسـقي مليكتَـه

وتسقيه . .

العُقابُ محوِّمٌ

بجناحه الذهب ، التماعةُ عينِه شمسٌ تضيءُ

المشهدَ الحجريَّ . .

كانت لهفةُ الشِّعرِ القديمةُ تشرئبُّ
ويستفيضُ بها رمادُكَ
كنتَ تُجْهَشُ بالقصيدة وهي في أصفادها الحجرية،
التفتَتْ جوارحُكَ.. النداءُ بكل جارحةٍ يغمْغمُ،
والتفتَّ وقلتَ: ينْبجسُ السرابْ
ماءً عميمَ الرَّوْحِ والرَّيحانِ، يطلع من شظايا
الموت والدمن الخرابْ
موّالُكَ المصفودُ في ألفيَّة النوم المؤرَّقِ..
يرجفُ الحجرُ، الحياةُ تعيد سيرتَها:
ثغاءُ الطيرِ والحيوانِ يعلو، الزهرُمنفتحٌ لأسراب
الفراش وعاسلاتِ النحل، تَبْتَلُّ الشواديفُ،
المياهُ يفضْن بالبَشنينِ والسمك الملون،
والمراكبُ مُثقلات بالبواكير الجنُود على
ثغور الأرض والموتِ الجليل مرابطون،
الأرضُ في عرْسٍ وقوسُ النصر معقودُ الزخارف

والملوكُ الأقدمون على الأرائك لحظةَ التَّتويجِ . .

ريحٌ من رُخاءِ السحر

طال بنا اغترابُكِ واغترابي في رميم الأرض والروحِ

اسْتفيقي من شظاياك انهضي منك

القصيدةُ في رماد القلَب توشك أنَ تَبُلَّ عظامَها

الإيقاعُ في ضَرْبِ المجاذيفِ استهلَّ فرفرفي

لنكون في قلب الرعية وانفجار الماء

والشمسِ القديمة فوق أطلال الملوك

استنهضي الحلمَ المبدَّد في رماد العشق وانفرطي

معي لنكون فيضًا في

الحياة المستفيضة من جنون الصخر . .

كانت تستديرُ الشمسُ من أفقِ الضحى العالي

وتَجْنَحُ للغيابْ

قلتَ: الضحى والليل ينتسخان وجهكَ

فارتكضْ

خلفَ الغزالة وهي تُمعن في ملاعبها اليبابْ
قلتَ: ارتكضْ واتركْ لهذا الصخر موعدَه المؤجَّلَ علَّها
ابتدرتْكَ بالعشق المؤجَّل . .
كان صمتُ الليل معقودًا بلادًا في البراح
ومستضيئا بالجراحِ وكان منكمشًا ببردْ الريح
ملتجئًا إلى صمت الملاحم والمواويلِ الجريحة
والنعاسِ الرَّطْبِ في خشب الرَّبابْ
حتى استفقْتَ وقلتَ:
من أيِّ البلاد - وقد خلَتْ من عاشقيها - جئت،
من أيِّ المواعيد انفَلَتِّ فأنتِ مطلقةُ السراح غوايةٌ
للغابرين الهاربين من القصائد وانتظار العشق!!
قالتْ: أنتْ . . كفكفْ من مجازات الجنون الصعبِ

رَاوَدْتَ القناعَ عن الملامحِ والملامحَ عن تواريخ
المبدَّدِ من رماد العشق

وامتدَّتْ يداها بالحنان المستريب . .

اللّيلُ والصحراءُ ينبسطانِ ،

والنهرُ المشرَّدُ في مخادعِ طينه ،

ريحٌ مبلَّلةُ الضفائر بالنَّدى ، والكونُ أنثى من

أصابعها تَقَطرَت القصائدُ أنجمًا تدنو بأوّلِ ما

يُثير الشِّعرُ من شجن البداياتِ . .

الحرير تفتحت منه العُرى :

طَلْعٌ يفوح بما استكنَّ من الروائح والفراشات الغويَّةِ ،

نجمتان على كثيبين ،

ارتخاءُ الموجة الحرَّى ، العمودان الرخاميّان

من رمل التشهّي ، وردتان أضاءتا غمّازتيْن فهل هو

الجسدُ الملمْلَمُ من شظايا كل فاتنةٍ مضتْ أم هذه

حالُ التفتُّح في الخليقة لحظةَ التكوينِ والخلقِ؟!

استرابَ حنانُها القلقُ ابتدرْتَ حنانَها بالفيض من

دمع التلقِّي المستَتَشفُ لعارضِ الشِّعر الملوِّحِ
بالقصيدة، قلتَ: للخيل العرابْ
نَزقُ الغيوم وشهوةُ الرقص المباغتِ في انفساحِ
الأرضِ باللغة الجموح وشهقةِ الشبقِ المصلْصِل في
الصهيل وفي الكتابْ
قلتَ: انظري للغيم.. كوني مهرةَ الملكوت وهو
يشكِّلُ اللغةَ الحميمةَ في لسانكِ وامْنحي لغتي المذوَّبَ
فيه من لغة مُقَطَّرةِ القبائلِ والصهيلِ..
وكنتَ تجهشُ بالقصيدة وهي في
رَتَقِ الغيوم فلا تَفَتَّقُ..
ليس يَنْهَلُّ السرابْ
إلا بومض زجاج عينيها ولفتتها الفقيرة لانتصاف
الليلِ،
كانت تستعيدُ رمادَها وتعيدُ سيرتَها إلى بَدَدِ العناصرِ،
من يديكَ تَفَلَّتَتْ:

للرمل ينسربُ الكثيبان اللذان
توهَّجا بيديك من وعْد تقدَّرَ للرضاعة ،
لاصطخاب البحر موجَتُها التي انعقدتْ بسرَّتها
وحقويْها على برج التفتح للولادة ،
للرياح ولاهْتراءات الغيوم حريرُها ،
للهدم والشَّفَرات كان رخامُها يهوي
ومن بين الرُّكام تهبُّ سافيةُ التذكرِ :
ها همو من كل حَدْب يَنْسلْونَ
بكل مُشْرَعَةِ القَواضبِ والحرابْ
قد أحْدقوا بكَ ،

لم تكن تدري أهذي من خواتيم القنيصة أم هو
الفتحُ المزلزلُ باكتشاف حُبالة العشق المؤقَّت!
فانفلتَّ ونجمةُ الصبح الأخيرةُ وحدَها في الأفق ،
مهرتُكَ استهلَّ صهيلُها في غابر الشِّعْرِ ،
ارتختْ في خطْفة الحلم الشكيمةُ ، وانجلى من

فضة القيد الركابْ

هذا هو السفر المقدَّرُ . . ليس من زمن له أو

من بلادِ غيرُ ما يعلو به الوجَعُ العصيُّ ويبتليك نداؤه

الدمويُّ

أخرُ هذه الفوضى وأولُ ما يقوم من السلالة :

ذلك النسرُ المحاصَرُ .

كنتَ تفتح من جراحك كلما اشتعلَ الدمُ الموتورُ

واشْتَجَرتْ سهامُ القنْص في الآفاق واسْتَعَرَتْ

بأيدي الزاحفين غريزةُ القتل الجماعيِّ ، الجراحُ

تفتَّحتْ لحصاد ما يهوي من الصيد المجنْدَل ،

والجواءُ خلوْن من عنف الرشاقة وامتلاك

الريح نسراً بعد نسر . . ها هو النسرُ الأخيرُ

محاصَرٌ بين المخارم والسحابْ

والأرضُ ـ بالوجع العصيِّ وبالنزيفِ

من النداءات المزلزلة ـ
استعادتْ ذكريات الطَّلْقِ . .

مهرتُك استهلَّ صهيلُها في غابر
العشق المكتَّم في القصيدة، أنت تعلو خطوةَ الشمس
التي تعلو . . لهَا مسٌّ الحوافرِ . . دونَها وهْجُ
الركاب بنجمة الصبح الأخيرة،
ليس من زمنٍ فلا وجهُ الضحى العالي ولا
الليلُ المخاتلُ منْ رعايا وجهكَ النضّاح بالرؤيا،
لك الملكوتُ والعرشُ المنَمْنَمُ
والقصائدُ من نقيعِ سلالة النسر المرَّمدِ في دمائك
والنداءاتُ العصيّاتُ، الطبولُ مدمدماتٍ
والسلالةُ من ملوك العشق طلْقًا
يسْتجيشُ به الترابْ . .

١٩٨٧/٥/١٥

زيارة

طينًا من الطين انْجَبَلْتُ ففي دمي المرْكُوزُ من
طبْع التراب الحيِّ:
فورةُ لازب، وتَخَمُّرُ الخلْق البطيء،
ووقْدَةُ الفخّار في وهج التّحول، وانتشارُ الذَّرْوِ في
حرية الحلم، انفراطُ مسابحِ الفوضى حصىً،
وصلابةُ الفولاذ في حَدَق الحجارة واليواقيت . .
انخطفْتُ بنشوة الحمّى، الأوابدُ من وحوش
الطير تحملني وتَمْرُقُ . .
في حواصلها أعاينُ محنةَ
الملكوت والأرض الفسيحة . .
خَفْقَةٌ تعلو ورفرفةٌ تسفُّ، وبابُكَ الفَلَكُ
المدوَّرُ يا أبي ورتاجُكَ الطينيُّ والقـفـلُ الحـبـالـةُ
والشَّراكُ،
وهَجْعةُ الأطيار إن حلَّ الظلامُ ـ على الشواهد ـ

فوق صبارات قبرك، صوتُهنَّ بكل مُعْترك الجواءِ
ومُجْتَلى الدمِ والمنامِ هو النداءاتُ الخفيةُ من
ترابكَ والمخاطبةُ العصيّةُ من ترابي.

صَحْوٌ هو الفجرُ المعلَّقُ في ثُريّات القصيدة إذْ
أحرِّكُ في ضرام الخضرة الشمسَ التي
صدئتْ على أقفال بابكَ يا أبي
ناديتُ في طقس الزيارة: كيف أزمنةُ الترابِ
وكيف تَنْجَبِلُ السلالةُ من ترابيَ
ناديت والفجر المشَعْشِعُ تَحت أجنحة الغراب
يستنفرُ الطيرَ الأوابدَ - من مجاثمها البليلة بالتذكر -
للسياحات العَليّة في اجْتلاء الأَرضِ والدمِ
من بدايةِ بَابك الطينيِّ حتى
منتهى صوتي المجلْجلِ بالخطابِ..

١٩٨٤

صَبيُّ الفرح بالتراب

«إلى لؤي»

بوجهكَ وهْج دمٍ يتكشَّفُ فيه النبيون
والخيلُ تصهل تحت انفلاقِ الوراثةِ والسَّلَفِ الصعبِ
عن وقدةٍ تتغيَّر فيها خطى الريحِ :
يعلو الكلامُ ويخلعُ أوزانه
يستعيدُ المراسيمَ والسجْعَ ينبتُ من همهمات الكهانةِ
والنفْث في عُقَدِ اللّيف والعشب
فالأرضُ مُحْضَرَةٌ والسماءُ مياهٌ مقدَّرةٌ

والنبيون مستغرقون . .
بوجهك ألفُ دمٍ والدوارقُ شفّافةٌ وأنا
أتقسَّمُ منكَ بلاداً وأنفرطُ الرقْصَ والراقصين
أفيضُ وأعلو سيولاً من الخَلفِ المتكثِّرِ . .
ها جسدي واحدٌ وكثيرٌ،

وها وحشةُ المتوحِّدِ أرضٌ تَزاحَمْ فيها الخلائقُ،
عهدٌ أوثِّقُه
سفرٌ في التذكُّر، بيتُ الإقامة
جلجلةُ العصف، مَضَغُ الجذورِ الطريَّةِ في الأرض
فَتْحُ الكلام مع الطير والوحش
خصْفُ الفروعِ ومُشْتَبكُ الماءِ تحتَ لساني . .
تَنَظَّرْتُ:
يخْشَوْشنُ الصوتُ أو يسقطُ
الزغبُ الأصفرُ العشقُ يعطيك شاراتِ أمجاده
عُشُبًا لائذًا بالذراعين
رائحةٌ يتفتّق منها خفيُّ النداءات . .
أسمعُ حمحمةً للذكورة والعشقَ في خَفْق نعليْكَ
أسمع في جسدي رعدةَ الملكوتِ وأسمعُ
خَطْوَ الملايين ما بين خطوي وخطوك . .

نَذَرْتُكَ تَقْدمَةً لاندلاع البراعم في خشب الوقتِ

فالشمسُ ذائبةٌ تحت خضرةِ قمصانِك الطلُّ
مختبئٌ والحريقُ

املأ الأرضَ بالغابرين من السلف، املأ
بوجهي الملوَّحِ أرجازَ بادية الأهل
واتْبَعْ خُطى الماء بين الغضا والأراكِ
سهيلٌ دليلُك والَفتحُ ميقاتُكَ . .
اكتملَ العرسُ
فانظرْ دمي هَبْوةً في فضاءات عشقكَ:
أنصبُّ بينكما في مياه الدوارق
ألتفُّ في نكهة الكعْك . .
وانظرْ دمي في لواءٍ من الطيــر يسكن أفْقَ المـمــالكِ
والبحرِ:
أسكنْ بين الترائب والصُّلْبِ،
أغدو المواريثَ والوارثين . .

١٩٧٨/٣/٢٦

فرحٌ بالهواء

هي المرةُ الواحدة

إلى أول البدء أو آخرِ المنتهى، ينتهي كل شيء:

هما جسدان على بقعة الدم: قَتْلٌ هو السحرُ

مقتولةٌ وقتيلٌ

فأيهما سدَّدَ النصل

أيهما ابْتدرَ الفعلَ والإنفعالَ؟!

هي الطعنةْ الواحدة

فأيهما أشْعلتْه من الجمرة الموقدة

جوى قبلة تتلصَّص حتى امتزاج الدمِ العنفوانيِّ

أو صرخةُ النشوة المتواشجة الآه بالموت؟!

أيهما تتشقق فيه الينابيعْ.. هذا الأبُ

المتواترُ بين الضلوع

أم الرحمةُ المستكنَّةُ في الرحم الواعدة!!

وهذا المؤجَّلُ حتى إذا انقصف العمرْ،

حتى إذا انحسر الوهُم..

لا جسدُ المرأة المجهدة

يجيبُ الدمَ المتوقدَ أجوبةَ النار

أو يرحم العطش المتشعِّعَ في الكأس بالماء

والطينَ بالحلم

والنومَ بالطيران إلى الشمس

واللقمةَ المستريبةَ في القمح بالشعر

والوطنَ الذائبَ الطعمِ في خطفة الريق بالسحرِ،

والجثةَ الهامدة

بآخرِ ما صفَّدته الفجاءةُ في الروح من رقصة البرق؟!

هذي هي الطعنُة الواحدة

تراختْ بها لحظةُ الحسم، راوغَها زمنٌ يتطاولُ بالعشق

فاستترتْ ـ والشهودُ يمرون في الحافلات

وينْدلقون على حَجَرِ السعي ـ لا شاهدٌ يتملّى

ـ من الكحل والنمنَمات المضيئة

تحت النطاقين والرقصة البدوية ـ

بارقةَ النصل، لا شاهدة

تُعَرِّي الخطى عن سياق الصعود إلى الموت بالعشق،

لا تتكشَّفُ وَقْدَ جنونِ المجازات في طينة الوجه وهي

مُحيَّرةٌ بين صمتٍ بليغٍ وثرثرةٍ تتشظى إشاراتُها،

كان صبحُ الشتاءِ المبكرُ يرمي

مناديلَه من رذاذٍ خفيفٍ

ورفرفةِ الغيم بين الغصون النواعس،

كانت بقايا الكرى

تحت ذَرْوٍ من الكحل والسهر المتفَتِّرِ تومض

ومضًا يتعتْع منه الخطى فهو سكرانُ يقظانُ،

كان الصباح المبللُ بالطلِّ والغيمِ

يفتح في وحشة الأرض والروح نافذةً فالسماءُ البعيدةُ

شـفّـافـةٌ والطيـورُ الحـوائمُ تـبـدع أشكـالَ بهـجـتـهـا ونداءاتها . .

تلك كانت صلاة الضحى :

اصطفَّ فيضُ الخلائق منتعشًا بالوضوء الجماعيِّ، ثم

استوى الخلقُ تحت الفضاء العميقِ

قيامًا تحاذتْ خطاهُ وقاماتهُ

بين خطين :

بيتِ جميعٍ هو الأرض، حلمِ جميعٍ هو الأفق .

عدلٌ جميعٌ هي البهجةُ المستثارةُ ألوانُها في

نوافير طيرٍ يعيد ويُبْدئ نسْجَ السموات والصحو،

تكبيرةٌ من دويِّ التنازيل والوحي تعلو بها خضرةُ الحيِّ،

سانحةُ القلق المشرئبةُ تحت سطوح الجوامد، إيقاعُ

ما يتوجَّع من ممكنات التماثيلِ في الصخر، ما يتحلَّبُ من

شبق الشعر في عقدة النهد بين التويْجات، ما يتهتَّك

من لذة النضْج في الثمر المتهاوي إلى زغب العشب .
يَبْتَلُّ وجْدُ الخلائق في الركعة الحاشدة
بدمع التآويل ، يعلو الدعاءُ بما يتنفسُه الصبحُ والأرضُ
يعلو دمي في دويِّ التراتيل ماءً مع الماء
طينًا مع الطين شكلاً
يئنُّ به الصخرُ زخرفةً تتشجَّر في بهجة الطير صمتًا هو
الشعرُ والشهقةُ الشاردة
وعيناك من أرَقِ الكحل والزئبق المتَصَدِّف صمتٌ بليغٌ
وثرثرة تتشظى إشاراتُها وأنا الزفْرةُ المحضُ . .

ـ : ممَّنْ ، ومن أين؟ !
ـ : لا أرض لا وقتَ . . إني اطَّرَحْتُهما من ورائي
فلست سوى زفرةٍ من هيولى سوى قطرةٍ من
دمٍ تَتَشَحَّطُ تحت يد الله وهو يقلِّبها ما يشاء على
ظمأ يستعرُ أو حسرة عاقدة .

ـ : فكيف ارتوى طميُ وجهكَ بي فهو طميُ بلادي ! !
وأي يد
حَفَّرتْ في جبينكَ مسطورَ أغنيتي في صبا العمر أو
بعثرتْ في لوامع شيْبتك الهمجيةِ
ما ضاق عنه المدى من
خبول الجموحات واستبهمتْه الرؤى البائدة
من العشق والعري تحت يد الله ؟ !
ـ : من أي جمرٍ مقيمٍ وعمرٍ هشيمٍ تقيمين هذا الصباحَ
على العرش فاتحةً في صلاة الخليقة والله ينفخ من
روح أسمائه الدهشة الراصدة ! !

سماءُ المدينة مغسولةٌ تتدلّى ثريا نهارٍ ومشكاةَ صحوٍ
بليلٍ ،
تمدُّ شوارعُها من مُخَلَّع كاشيِّها وحجارتها خطوةً
يتغاوى بها السعيُ أو خطوةً تتدلّه فيها البصيرةُ . .

تعلو خفيفًا خفيفًا فترجُفُ
بين الرؤى والدم المتشتِّتِ أرضٌ تغاوتْ بنا
فهي تخطو خطانا
وتفتح بَهْوَ الممالك:
سجادةٌ تتقلّب في متنها رجفةُ الروح، نافورةُ
الطير والورق الغض، وهجُ الظهيرة والقنص، جُرْحٌ
وسافيةٌ في الدّياميم، هَرْجُ الغزالات، خيلٌ وأروقةٌ
للملوك وصمتٌ يحُفُّ ستائرَ بيتِ الحريم
وصمتٌ يلفُّ المجازَ
المؤدّي إلى قاعة العرش
كنا انتهينا إلى البهو لا أنا مني ولا أنتِ منكِ وقد
أطلق «الواسطيُّ» نياقَ تصاويره تشربَ الماءَ من
راحتيك وتبدأ ترجيعها بالحنين المزلزلِ
ـ : هل هذه الرشفةُ الباردة
تردُّ قطيع النياق إلى الواسطيِّ ـ المعمَّمِ بالشمس ـ

حلمًا وآصرةً بين فرشاته والسموات!

هل رشفةٌ تستعيد قطيعَ المواويلِ من ظمأ الأربعين!

ـ : استمعْ . . أنتَ ضيفٌ على رحمة الغيم . . فاستَنْزِل الريحَ واصمتْ . . فليس يُلقَّى من الغيم رحمتَه غيرُ من يُبدع الصمتَ والإنتظارَ . . استمعْ . . إن ريحًا ترتلُ من وِرْدِ أحوالها همهمات الولادات في الإرث طقسَ ارتواءِ الخليقة بين السموات والأرض بالرهبة الخالدة أمام انفساح الفضاءات والجمر في قلب من يبدعون انتظاراتهم فَيُلَقَّوْنَ من مدد السمع كيف تخوض الخليقةُ أوجاعَ بهجتها ومخاضاتها .

إنه العشقُ في مصحف الكون وهو

القصيدةُ في حمأ الخلق . . فاسمعْ .

تَقَضَّى من الصمت ليلٌ طويلٌ

أَلَقّى به من عطايا الضيافة بشرايَ
سيدتي : هل دمي في الدوارق أم شالُك المزدهي
بالسموات والأرض يمتدُّ للمائدة
فيأتي رعاياكِ من كل زوجين فالأرضُ مُحْضَرَةٌ في
احتفاليّة العشق والوحي !

ذَوَّبني الدمعُ طميًا من الطمي
ـ: أنتَ البلادُ التي اختمرتْ في الرؤى والتي
لم يلدْني سواها
ـ : وأنتِ البلادُ التي عقدتْني بأرحامها مضغةً، ثم
أحْيَيْت مني الخليقه فانفجرتْ دهشةٌ من صباها
ـ : دمٌ في دمٍ أم زلازلُ ماء تُدمْدِمُ
في طبقات التذكر والحلم !!
رجْعُ نيافٍ من الظمأ المتشقِّق أم صرخةٌ تتململ في
دارس العمر بين الطلولِ !!

: أنا وتدُ السَّنْط . . كانت خيامُ العشيرة تبلى

ويَكنسها العصفُ واحدةً واحدة

وأبقى . . ألَملمُ في قامتي ما ترجِّعه الريحُ من

ذكريات العقائل والخيل

ـ : شالي خباءٌ وخيمةُ شَعْر مرفرفَةٌ في يدبكَ

ـ : وأنت بلادٌ موطّأةُ الماء والعشَب

ـ: أنتَ سماءُ السكينة ، أنتَ المغني المشرَّدُ

ما بين قطعان حبي . .

انقضتْ ليلةٌ من كلام التأويل والصمت

والفجرُ ينشر غُبْشته طاويًا أربعين بساطًا ـ هي العمرُ ـ

من دمَنٍ وبقايا رمادِ المواقد حتى انكشفْتُ وحيداً

وأطْلَلْتُ . . كانت براري العشيرة موحشةً . . وأنا

وتدُ السَّنط تحت سمواتها أتكشَّفُ هودجَ عشق

يهلُّ وخيمةَ شَعْرٍ وباديةً يتفطَّر فيها من العشبِ

جَمْرُ البراعم . .
قلتُ : اسمعي . . إن قطعانَ حبكِ طالعَةٌ في
ندى الفجر ثاغيةٌ والمغني يلملم إيقاعَ مواله
من خطى الريح . .
قالتْ : له ليلةٌ سوف ينسى بها ما رأى . . فاستمعْ . . إن
شمسًا تَخلَّلُ من سعف النخل
تمسح خلف الزجاج الستائرَ . .
موعدُنا صمتُ ليلٍ تُلَقّى به خَطْفَةَ الروح بين
السموات والأرض والشهقة الموصدة . .

يغني المغني . . وشهقةُ مواله انْشَرَخَتْ نَوْحَ باكيةٍ
وانخطافَ صبًا جرَّرَتْ ذيلَها في خزامى العشيرة
واستنْطقَتْ جلّنار الضفائر والحبق المتفتح
في مفرق الشعر ،
وابتردتْ في اندلاع المروج العفيَّة بالخضرة الماردة

يغني أم الحلمُ أم أرضُ مجدٍ من الدم والفقر
أم صبوةٌ من سماء تَنَزَّلُ!!
فجرٌ يشعشع في لهفة القلب أم شبقٌ
تستضيءُ التواريخُ تحت ارْتباكاته أم دمٌ
يتشوَّفُ وهْجَ مناراته!!
غربةٌ أم هو العطشُ الحجريُّ المفتَّتُ بيدًا من الرمل
تنأى امتداداتُها أم ملاعبُ جنٍّ ووحش تخطُّ
الرياحُ مساراتها ومواجعَها أم يغني المغني!!

أنا وتد السنط . . في قامتي كبرياءُ الترقُّب في جسدي
كبرياءُ الملوك الذين يُلقُّونَ في جريان السلالة
آياتِ عرقهمو بين صمتِ رمادٍ وريحٍ مبشرةٍ . .
في جلال اصطفائك إيايَ كانت بوادي العشيرة
تعلو إلى ساطع الحلم، قطعانُك انتشرتْ والمواويلُ في
مطلق الريح والصمت مرسلةٌ،

قلتُ: من أين، أيَّان مُتَّجَهُ الخطْو، أيَّةُ تفعيلة والدة
ستشرخ صوتي وتفتح في فيضان الرؤى وكثافة إيقاعها
طلعةَ الرجْعِ والصَّدْعِ!!

لَيْلَتئذْ كنت نوريةَ شفـاً إيحاؤها عن طلاسمِ
مجد قديم من العشق أنْسيتْه وبلاد وأعمدة من
رخامٍ ورملٍ وأدعية كنت مكنونةً في اشتهائي
وطالعةً من قوارير عطر تعتَّق في أزل الشرق
كانت كمائم ورد حرير تشفُّ وتبرُق منها
كنوز السلائب من أرق المصطفين
يَدٌ رعدتي واشتهائي يدٌ ومجازُ العشيرة تسقط
عنه الغلائلُ تشرق لي من كنوز السلائب جوهرةٌ وامضة
أحلُّ حرير طلاسمك البكْرِ ألتفُّ في سحرها أتلقَّط
منها عطايا غرائبها طيةً طيةً. . والإشاراتُ
شفَّتْ مجازاتُها، أخذتني بروقٌ من الوجد والخوف،

وانقدحَتْ آهةٌ تتنزَّلُ بالدهشة الراعدة
وكفّاك من رحمة الغيم تستبدلان دمًا بدمٍ
وسماءً بأخرى، تخطان فوق جبينيَ أرضًا هي
المحْوُ للعمر والطلعُ في نخلة للبدايات والفجرَ
ـ كان الحنان ندى يتقطَّر في طِينتي ـ كان دفءُ
يديكِ يلمْلُم ما بعثرتْه ندوبُ الولادة
والوَحَمِ المتكدِّسِ من
أمهاتي القديمات، ينثر ما يتفكّكُ من خرَزِ الظّهر،
يوقد في العظم واللحم أخيلةَ الطيران الطليق. .
أخفُّ تخفين، لا أنتِ منكِ ولا أنا مني،
استوينْا دمًا واحدًا. .

ـ : ميتٌ واحدٌ كيف ينقسم الموتُ فيه إلى جثتين؟
ـ : هي الجثةُ الواحدة
ـ : فكيف إذا اقْتتل الأهلُ كي يملأوا حفرتين ترابين كانا

ترابًا يكوِّمه العشقُ في ركعة الوجد؟
ـ : ليِّنةٌ خطوةُ الطين في الطين: تلْتمُّ من
تحتنا الأرضُ سجادةً، يرتمي في الترابِ الترابُ وفي
سجدة العشق لا ساجدٌ يتكشَّف في دمه عن
دم تتجلى به الساجدة
دمٌ واحدٌ يتشحَّط في ظلمة الأرض تحت يد الله،
ثم تقلِّبه في يد القدرة الريحُ، يعلو خفيفًا
ويأخذ مسراه في ساطعٍ من معارجه الغامضة
وسيعًا كما تقتضي قامة الكون، أضيقَ من
شهقة الروح في الروح
بين السموات والأرض ريحٌ تغاوتْ بنا فهي
تخطو خطانا ونخطو خطاها،
الفضاءاتُ رقْصُ غواياتنا . . فالمآذنُ أوتاد خيمتنا
والقبابُ ارتخاءُ يدينا، الصحارى
مخدَّةُ قيلولةٍ والمعابدُ شكلُ أصابعنا في

اشتباكاتها لحظةَ الحلم . .
نحن القميصُ المرقَّط بالأنجم المزهرات وبالشجر الرَّطْبِ
والدور، نحن الخلاءُ المقدَّرُ بين المجرَّات
والنغمُ المنتشي في مسير الكواكب
نحن انفجار الحضارات في اللغة البكر
أوَّلنا الزفرةُ المحضُ
آخرُنا محضُ تفعيلةٍ والدة . .

١٩٨٨/٢/١٢

أنتَ واحدُها
وهي أعضاؤك
انتثرت

جراءة إهداء

إلى محمد

سيدِ الأوجه الطالعة
ورايةِ الطلائع من كل جنس
منفرطٌ على أكتافه كلُّ دمع
ومفتوحةٌ ممالكُهُ للجائعين
وإيقاعُ نعليه كلامُ الحياةِ في
جسدِ العالم.

محمد

موتٌ ما..

لوقتٍ ما..

أعلَنْتُ ميثاق الإقامة بالرحيل
وتركتُ وقْعَ خطايَ في سرِّ الشجر
واسَّاقطتْ مابين عيني والبلاد
زمرداتٌ من حجر
فعرفتُ طعمَ الخبز مرتجفًا، وقلتُ،
وقال لي الموتي، أطلتُ، استألفوني
بالتذكر، وارتمى عني الرداءُ،
الأرضُ رَوَّتْني،
وبلَّلَت الرمالُ السافياتُ بريقَ عينيَّ
المحدقتين في حَجَرِ الظلامْ.
كفٌّ تراختْ، والأصابُع تفتح الينبوعَ،
تنْبجسُ السّحالي والثعابين،

الضّبابُ تجيش من حولي أمانًا ناعمًا . .
لم يبق لي غيرُ الكلامْ
معها وجذرِ النخل والطلع المكتّمِ في
مساربه العميقة ،
ليس لي إلا سويعاتٌ من النوم السخيِّ
أمرُّ فيه على البلاد وأستعيدُ الشمس
والرعيَ الطليق ،
أكلِّمُ الموتى وأسمع ما تُزَمْزِمُه العظامْ
وأشدُّ فيهم ما عقدتُ من العُرَى . .

في حضرة الليل استفاضَتْ وقفةُ الإشهاد ،
في فصل الخطاب استودَعَتْني سرَّها الروّاغْ
واستودعتُها نومي سويعاتٍ
أقومُ ، أكلمُ الموتى
وأنظر ما تصاهَرَ من دمٍ تتقلّب الأنسابُ

فيه بصبوةِ العشق المبرِّح،
أنظر الأكفانَ والعظمَ الرميمَ توشَّجتْ
منه القبيلةُ
أشهد الأمشاجَ أعراقًا وألويةً تذَاوَبُ
والصنوجُ تدق بالصدأ الكظيمْ.

هذا زواجُ الأرض بالموتى:
مسيلُ اللحمِ عن أغصان هيكله،
انفراطُ أجنَّة معجونة الأسماء بالزَّرَدِ المَفتَّتِ
والهشيمِ الهشِّ من صُلب الدروعِ
سنابكِ الخيل الصديئةِ.

قلتُ أمشي في عروق الأرض أشهدُساحةَ
البدْء المجلْجلِ والختامْ
كيف استَتَمَّتْ نارَها ورمادَها في

الخطوة الأولى، وكيف انشقَّ من مُهْلِ الغَمامْ
برقٌ من الدم فاستضاءتْ تحته
الأطلالُ والأجداثُ،
لا يومُ النشورْ
يأتي، ولا يَذوي على الوديان صُورْ
فاستَغْرقتني بالهواجس هَجْعُةُ القيلولةِ السوداءِ:
يا أمشاجَ ما في الأرض..
لا مُهلُ الغمامْ
يَنْقَضُّ بالسُّقْيا،
ولا محراثُه الناريُّ يفتح في شقوق
الرَّغْوِ منك أهلةَ التكوين أو ماءَ السلالاتِ.

البلاغُ استَغْلقَتْ نيرانُه؟!
واسترْجَعَتْ قَدْحَ المغيراتِ الصخورْ؟!
هذا رغيفُ العهد معقودًا على صَعْبِ النّواصي؟!

أم هو الموتُ استفاضَتْ رغْوةُ
الإشْهادِ فيه بالكلامْ؟!

الشمسُ في حِجْرِ الظلام
مخبوءةُ النيران تحت هياكل الأنْصاب والأزْلامِ،
هل ذهبُ العبيدِ مكدَّسٌ فيها؟!
وهل وَمْضُ اللآلئ - من عيون الميتين -
من مائها المسجونِ؟!
أم وجهُ البلاد زمرداتٌ من حجر
يسقطن من عينيَّ مابين الخليقةِ والكلامْ؟!

هذي سويعاتٌ من النوم السخيِّ:
أذيبُ أعضائي بصمت جلالها المكتوبِ،
أقرأ ما تجلّى من دمي في سرِّها الروّاغ بين
عُلُوِّه في المدِّ أنسابًا وفيضًا من سلالاتِ أنا

بدءُ البداية في أبُوَّتِها،
وبين الوعْد بالميقات في أمْشاج ما في الأرضِ.

هذي من نواشي ظلمة الدَّهرِ.
الكلامْ
قولٌ ثقيلُ الوطْء، ساعاتٌ من النوم البطيءِ
يمر بالقيلولة السوداء..
أسْكُنُه وأنظرُ:
بين عينيَّ السمواتُ العُلى مسكوبةٌ،
ما بين كَفَّيَّ الظلامُ حجارةٌ تتقادَحُ الأوقاتْ فيها،
الأرضْ روَّتني وبلّلت الرمالُ السافياتُ بريقَ
عينيَّ المحدقتين في شمس التذكرِ،
أسمع الموتى، أكلمهم،
وأخرج في سهوب النوم:
عرشي قائمُ الأوتادِ في صمت البوادي والخليقة.

شمسُ التذكر في سُهوبِ النوم داميةُ النزيف
والريحُ تعلو في قباب الدهرِ والأعماقِ
سافيةٌ فسافيةً
وغيمٌ ينطوي من بعد غيمٍ ،
يمرُقُ البرقْ الأليفْ
لا شيء إلا خبطُ أكفاني فـأسْلكُهُ به
ليطير في الريح الطليقة . .

١٩٨٠/٦/١٥

مَدْخلٌ في بكاء السلالات

١٩٧٨

تائهٌ ليس تائهًا

لغةٌ ليس لي أو لكَ الآن أن نستعيدَ

اندفاقاتها بين موت الغزالة والسهمِ،

ليستْ لنا لحظةٌ للكمون المفاجئ في العشب حتى

تمرَّ الغزالاتُ . .

هانحن جئنا وقد فاتنا الوقتُ

فاسمعْ صدى القوس ترسمه في الفراغ

الأساورُ والوردُ:

ساقٌ من اللبن المتفجر عن ناره ارتفعتْ

بين موطئ أقدامنا والشموس المقيمةِ فى الأوجِ

(والوقتُ كان الظهيرةَ)

فاسمعْ:

دفءٌ له زغبٌ، والمسافةُ بينهما فروةٌ

للنعاس وللأهلِ (من خلفِ سلفٌ)

في البداياتِ نارُ الخواتيم، فاسمعْ:
لنا لغةٌ للتذكر. . فانظُرْهُ طميًا شوتَه
احتجاجاتُنا، البيتُ تهوي إليه وتأوي
القوافلُ والسابلة/
وليس دمًا أو بلادًا. . بل المرأةُ استسلمتْ
للبخور الترابيِّ والماء واستسلمتْ للنخيل وللقابلة/
فــهل كنتَ تعــرف أن مَــشــاعلك اتّقَــدَتْ في الـظلام
الرخاميِّ،
والرقصُ يأتي يزاوج بين الطبول وورد الخلاخيلِ
والشَّعر والقوسِ واللحظة الفاصلة/
فأعرف أني ذكورةُ عشق البداوةِ
أنك نارٌ وماءٌ وخيمةُ شعْرٍ
وأنيَ أفقٌ من النخل والطيرِ،
أن المياه تُنَقِّل خطوتَها في السرابِ
السرابَ ينقِّلُ خطوتَه في المياهِ

المسافاتِ معجونةٌ بالقرابين
والأرضَ وردُ الدِّهانْ!!
فأيّانَ ـ أين استقامتْ لكَ الخطوةُ المثقلة/
بمشْتَبك من تنافِي الأحاديث!!
هل تقتفي خَطوة امرأة غَمزتْ برشاقتها
وبحنّائها موجة البحرِ وانتظرتْ بُرْءَها
من تشكِّي الولاداتِ والعشقِ!!

ها أنتَ يا ابن النسور القديمة
يا ابن معلَّقة الشعراء ويا ابن الحواميمِ:
هذا القليبُ البَرُودُ يؤاخيك،
ينفضُّ عنكَ رفاقُكَ لا أنتَ منهم ولا همْ.
تَقَلَّبْتُ بين الجهات:
السمواتُ أرسلْنَ لي شمسهن المضيئةَ
بالفتح، والأرضُ تطوي صحائفَ أسلافها
وأنا أوّلُ الوارثين وآخرُهُمْ.

يا نساءَ المدينة فلتحتملْن وجوهي الكثيرةَ أقنعتي
وانقسامات قلبي عليكنَّ
أنتن آخرُ حربٍ وآخرُ أرغفة يتقاسمها
أصدقائي الألدّاءُ
والأرضُ بيني وبين الجماعة :
لا الأرضُ تبقى ذلولاً مهاداً
ولا الشِّعر يبقى دمًا ومياهًا تَقَاطَعُ ،
بل فضةٌ ودمٌ لستَ تدري بأيهما اكتملَ
الأفقُ وابتدأ الطيرانُ ،
بأيهما يبدأ القتلُ
أو تبدأ الأسئلة . .



جسدان.. وثالثهما

خَشَبٌ يكشفُ وقتَ الشمس والماءِ،

ونهدان استْفاقا،

زمنُ السبي بعيدٌ، وقتُ عشاقكَ

في الليل بعيدٌ، هل ترينْ المخملَ الصوفيَّ والنقشَ:

بلادٌ حمرةٌ ساطعةٌ، خضرةُ

نخلٍ ونساء يتعرّيْن، طواويسُ دمٍ،

شمسُ دنانيرَ تقاطرْن، السمواتُ

تَهَدَّ مْن استدارات على السرة والأكتافِ،

ليلٌ طالعٌ في العشب والخْلفاء،

والشهقةُ كانت حجر الشاهد كانتْ حَجَرَ التَّقْدمَة

الليلُ استنارات تَشَظَّين من الشفرةِ،

زهوُ القتلة/

واغتصابٌ للسلالات، وهذا كفنٌ ألويةٌ

تنشره الريحُ . .

ونهدان استفاقا :

(كنا متقابلين تقابُلَ الخيمةِ والعراءِ . .
وبيننا سهيل
ومتقابلين تقابلُ النَّيِّريْنِ وبيننا القراءاتُ السبعُ
وحجرُ الفلاسفة
وكنا رجلاً وامرأةً . .
وبيننا لغةُ النبوة وقرابةُ الصعاليك
بيننا نصلٌ وبرقٌ خُلَسٌ يكشف بيتَ الأهلَ
والهودَجَ في آخر أرضِ الله .
بيتٌ في أواذيٍّ البحارِ السبع جمرٌ ثاقبٌ وهْجُ
عُقابٍ من حرير الدم يعلو . .
بيننا من حجر البيت الأموميٍّ شظايا قُبَل راعفةً
بالرملِ سوسِ الخشب الداثرِ أسنانِ التعاشيقِ
الزجاجيةِ .

بيتٌ قبلةٌ هائمةٌ بين فضاءيْن من الدمع ،
ونهدان استفاقا بغْتَةَ الحلمِ وأفْلَتُّهُما ،
الأرضُ مدًى من شجر النقشِ وسجادٌ من
الصوف التراثيِّ
خيولٌ وصهيلٌ غابرٌ منكتمٌ في وبر المخْمل ،
كنا رجلاً وامرأة . .
كانتْ شراراتْ دمٍ يقطُرْ من مرْتكَزِ المهمازِ تغدو
لُحمْة بين سروج الخيل والبادية الناصلة .
النخلُ تدلّى في فراغ باهتِ الزرقة ، عشبٌ ،
وغزالاتٌ تسايلْنَ فرارًا
والسهامْ انكسرتْ في الأفْق .
كنا رجلا وامرأة نشْخصُ للظلمة والريحِ ،
سهيلٌ يتدلّى من بروجَ الإرث والذاكرة ،
الليلُ بلادٌ طللٌ يسكنُ أصداءَ القوافي ،
واشْرَأَبّتْ من وميض الحجر الحيِّ وجوهٌ

أقفرتْ منها المسافاتُ

وكنا رجلاً وامرأةً من حجر الصرخةِ،

كانت قامتانا هيكلَ البهو الذي يرقد في

ذاكرة الوشْمِ الخرابْ

والدمُ النازفُ من مرتكز المهماز ميثاقَ

الينابيعِ وبدءَ العَتَبَة . .

لا الرابية ولا النجم

الغزالاتُ للعشق أم للرّدى يتوالدْنَ؟ !

للصيد واحدةٌ:

كانت الشمسُ قطرةَ ماءٍ يُبارحُ

مكْمَنه الجسديَّ، شموسٌ تحدَّرْن فوق

رشاقتها المستخفّة بالصحراء وبالوحش

كانت مسافاتُ رقصتها بين عنف الترَقُّبِّ والسهمِ،

بين ملوك القبيلة والخندق المتباعدِ،

بين القدور ورائحة اللحم والريحِ.

للعشق واحدةٌ:

أرأيتَ التفافَ العباءة ! !

تبغٌ وجوعٌ يُصاوله، الكحلُ واللهبُ المَتوقِّدُ

تحت النطاقين يبتَدِران القراءةَ

.

والشاعرُ اقْتَعَدَ الأرضَ وهْيَ على
هودجٍ خشبٍ يكشفُ الشمسَ والماءَ عن
برعمٍ موجةٍ، وهي تنصتُ،
ترمي الستائرُ وردًا من الظل والنور فوق
الحوائط، والأرضُ مُشْتَبَكٌ من غصون
الدوائرِ والورقِ الزخر فيَّ،
اشْتباكٌ من الشجر المتَوهِّمِ يستألفُ الطيرَ،
هَرْجَ الغزالات، أحصنة الرَّجَزِ،
العريَ تحت السماء الوسيعةِ.

جَمْرٌ ومسٌّ دمٍ يتخبَّط والصِّلِّيانُ حريرٌ من الهذيان،
تشقَّقَ طميُ التذكر وانْدَلعتْ تحت أجنحة
الجنِّ، والجوع كَرْمٌ من القُبَلِ العنَبِيَّةِ،
أرضٌ تَفَجَّرُ عن شجر الإشتهاء،
الغزالةُ مدَّتْ لُجمَيْزَةِ المتقارب والرجفةِ النثرِ

كفٌّ الندى ملْمسَ الظل والغيمِ

«هل أنتِ لي من قديمٍ؟»

مزازةُ فاكهة من قطاف البواكيرِ،

شَفٌّ، مناديلُ تُلٍّ،

حريرٌ تَزَالَقُ من فوقه الشمسُ والنمنماتُ

ولكنني حجرٌ شعلةٌ

من بروج القصيدة يهوي

إلى الماء..

سـلالة

الطواويسُ، والريشةُ الذهبيَّةُ تلمع في

شمس عاصفةٍ تتقلّب بين هدوء من الصحو

والغابة المظلمة/

معَى الماعز الجبليِّ المرنَّةُ في القوس،

نسرُ السمواتَ، والذهبُ المطرُ، العنبرُ

المتورِّد بالدهشة اشتعلتْ فوق صفحته

النارُ من شررٍ ونبالٍ وريشُ الصقور. .

ولكنَّ أرضًا تراجَعُ في ضيقها المستمرِّ

استمرتْ تراجَعُ:

قد أحدقَ الغرباءُ بها

سقطتْ من قبور القبيلة أغصانٌ شاهدة،

ورماحُ القرابات، شَحَّتْ نذورٌ وأدعيةٌ،

غَرُبَتْ لغةُ الوشم واسّاقطتْ في ذبولٍ

الطواطم أغنيةُ الريح بين السهول

الوسيعة والأقرباء،

التمائمُ تفْضَحُهُنَّ المقاديرُ والغابةُ انفرطتْ

ورقًا ليس منعقدًا،

ونحاسُ الرشاقة والعوْمِ فى الماءِ والطين يهجرُ

ألوانَه وليالي الزفافِ القديمة. /

وأنتَ استقام البكاءُ لصوتكَ

لم يستقمْ لي بكائي

فهم أكثرونَ:

شتاءٌ تكاشفُه الشمسُ فالنمل يسعى،

الضحى كان صحوًا، ويملأ وجْهَ ممالكه القشُّ

والسَّقَطُ المتجمِّع من كِسَرٍ وطحينٍ من الصخر

والقمحِ،

أنتَ استقام البكاءُ لصوتكَ

لم يستقمْ لي بكائي

فقد غادَروكَ إلى الموت أو غادروك إلى
الذَّوَبَان بلحم الخليقة :
عريٌ بدا بدْعةً، ونحاسٌ هو
الشهوةُ المستفزَّة، ريشُ الصقور
استوى في القطيفة والنمنمات الحريرية
اللونَ والملمسَ المحضَ
أنتَ استقام البكاءُ لصوتكَ . . فابْك كما شئتَ،
لكنني أستَميحُ دمي دمعةً لا تبادرُ :

هم أكثرون، البلادُ بهم تستفيضُ،
فلا الشجرُ الرَّطْبُ يبري الرماحَ،
وليستْ معَى الماعزِ الجبليِّ نذوراً مقدرةً للقسيِّ
وأعوادِ نبْعِ القبيلةِ .
فابك كما شئتَ . .
لكنني أتلفَّتُ . . هم أكثرونَ،

أعِرْقٌ همو أم طفاوَةُ زهْوٍ ورغْوٍ من

المجد تهوي السّلالاتُ فيه؟!

وأنْظُرُهم:

أوجهٌ هضمتْها المخاوفُ،

والنسوةُ اكتنزتْ تحت أردانهنَّ الطلائقُ،

خيلٌ مَطَهَّمَةٌ:

ليس ماءَ السلالات، ليس

الدمَ المحضَ أعني،

ولكنني تاركٌ لدمي فسحةً من فضاءٍ لينهمر الدمعُ

فابْكِ كما شئتَ..

إن بكائي يجيءْ

زجْرُ الطير

صَحَتْ من غاشية الإشراق وجلالِ النومِ الحيِّ
فمن تذكرٌ شظايا النار الباردةِ وعروقِ
الماءِ المتوهج وملامسةِ النجوم المنطفئة إذْ
تزدهرُ ألوانُها
هي الزَّجْرَجَةُ على ماء المعرفة
ويقظةُ الطفْو على جَرَيان الأحداثِ وعلم النسيان
ينقشع السَّديمُ وتنحسرُ أمواجُ الذاكرةِ الملكيةِ
وهي تطفو جسداً لخميرة الخلائق
تنكمشُ الصاعقةُ وتمور وتعلو الجبالُ العاليةُ
وينبسط مادونها
بين المهادِ والرّواسي ـ يتغوَّر البحرُ وينفجرُ
نهرٌ هنا ونهرٌ هناك
يلين الحجرُ بالعيون أو تنتشر عشوائيةُ الهاجرةِ

بالرمل أو الغيوم الثقيلة

فلما أخذتْ زينتَها الأولى واتَّزَرَتْ بأبَّهة

الذبول وجلال الذهب

واستسلمتْ بين أيدينا لغيبوبة الأطراف

وحيرةِ التلفّت في الأفق

نزلنا إلى وادٍ ذي زرع ونهر

فوجدنا قبراً محفوراً وماءً مسكوبًا وكفنًا

وحَنوطًا ومسكًا أذْفَرَ

وأميرُها في كامل شكّته ممسكٌ بصولجان موته

تسرح العناكبُ ودابَّةُ الأرض بين عُثْنُونِه

وبهاءِ التاج

فركزْنا رماحَنا وطوينْا الأعلام

وتَنَظَّرنا إلى يوم الفصل ميقاتِنا أجمعين

فلما كانت أشراطُ القيامة الثانية

قال بعضنا لبعض:

لو نزلنا فوجدنا القبر والموتى!

فإذا لا قبر ولا أثر.

ويبدأ الشاعرُ يزجرُ الطيرَ ويتلو صَدْحَةَ المطر

يتقلّب في الآفاق ويسيح في الأرض

ونسرُ الفضاءِ الشاسع يهمُّ بالطيران في

غموض الزرقة وكثافة الليل المثقَّبِ بالمصابيح

فتثقله قتامةُ الزنك وبرودةُ القصدير اللانهائي

والشاعرُ يستجلي حمأ الصرخة المضيئة ومقام

القصيدة بين الماء والطين

يحدِّق في أعلام ملكوته وانتماءات دمه

يخلع عنه الرَّهَبوتَ والطَّمعوتَ.. إلخ

ويشاكسُ جبروتَ السيف بصدره العاري

ويُجالدُ القبائلَ بالقصيدة

ويدخل المدن:

أوْجُهٌ ليستْ سوى ما يتركُ الذعرُ من الغفْوة،

همسٌ يتمطّى بين قوسين من التهمة والكِبْرِ
الدفاعيِّ، فُواقٌ من نشيج إعتراضيٍّ،
حوارٌ لافحٌ من ثُؤَباء السيْرِ ما بين نعاسين،
وجوهٌ يتقرّا طينَها أو نارَها الرملية
الشاعرُ. .
يستجلي الوراثاتِ وأشجارَ السلالات من
الطين إلى شاهدةِ القبر.
وجوهٌ سُبِكَتْ من معدن الأصفاد. .
أفواهٌ لها شكلُ القيود، القبلةُ القُفْلُ،
رماديٌّ العيون الصدأ السائل من نافذة
السجن، المواويلُ خطىً في باحة الجوعِ،
الصليلُ البهوُ، والأعمدةُ النهرُ الرخاميُّ،
وموجُ البحرِ إيقاعُ المراثي.

انتبه الشاعرُ:

للمأتم طقسٌ ومراسيمُ بكاء عائليّ ،

هذه رائحةُ الموت ، وهذان هماً السيدُ والسيدةُ

انسلاًّ من القبر ، وقاما ، انتشرا ،

واستوْطنا بيتًا من الريح ،

ومن تحتهما تسَّايَلُ الأنهرُ .

أفْقٌ من ذبولٍ ، وجلالُ الملأ الموحشِ ،

عُثْنونُ الخماسين ، بهاءُ العنكبوت الذهبيِّ ،

انتشرا واستوْطنا بيتًا من الريح ،

الرقابُ انكسرتْ تحت التوابيت

وللمأتم طقسٌ ومراسيمُ بكاءٍ عائليٍّ . .

يصرخ الشاعرُ :

أيها السيدُ المحمولُ على الرقاب

وفوق الرءوس المنكَّسَة

أيتها السيدةُ المثقلةُ بأبّهة الذبولِ

وجلالِ الذهب

انتشِرا وتناسلا واملأ الوادي
بسلالة الموت
هذا يومُ الفصل ميقاتُنا أجمعين

١٩٧٨/٤/١٧

امرأةٌ تلبس الأخضَرَ دائمًا
ورجلٌ يلبس الأخضرَ أحيانًا

لعشّاقها ملكوتٌ من اللون :

لونٌ هو الخضرةُ الغامضة

لأوّلِ حلفٍ مع الله إذ هم يقيمون في

هاجسِ الطين ـ في حمأ يتملّكُ عمق الفضاء

وماءَ الينابيع والأرضُ يومئذ من رعيةِ

أحلامه وانتظار المليءِ بأسمائه ـ ،

وهو لونٌ من الخضرة الغامضة .

يقولُ : ابتدأنا ،

وحولهما من خطوط المحاريث في الأرض ،

والطميُ شهوةُ ماء مفتّتةٌ ، في سخونته الرحميَّةِ

يَنْغُلُ خلقٌ من الدَّبق الحيِّ ،

تلْتفُّ همهمةٌ من خشاشٍ رميمٍ تدبُّ به

الروحُ ، والغُلْمةُ المستفيضةُ بين اليرابيعِ

والخنفُسِ المتفحّمِ ، والعلَقِ الرَّطْبِ ،

يعلو صريرُ الجنادبِ،

كانا ضجيعيْ دمٍ يَتَنَزَّزُ من أول

الدهر أحوالَه،

تتشظّى سنابلُه، والسماءُ تَخَلَّلُ نسْجَ العساليجِ،

تهوي نقوشًا مطرَّزةً.

وتقول: احتملْ من ملائي نصيبكَ،

وليفتح الله بالعشق، والخضرة الغامضة.

هي الأحوالُ ومقاماتُ العذابِ، محنةٌ يغلي

دمُ القلب بها وتحترق اليد،

فالجراحاتُ يتفتَّحْن قطوفًا دانيةً من مواهب النعمة

وأعطياتِ الإرادة الطيبة والانتظارِ السمْح الرحيم

والموتُ صَديقٌ تقادَمُ بيني وبينه المواعَيدُ تشتدُّ

وشيجةُ الملاعبة وخيوطُ المرح المشاكسِ

ومغاضباتُ الضحك

يرسل المطر تواقيعَ على زجاج النافذة كي أنْتَبِهَ

أبتسمُ . . فإني أعرف خطوته في ريح الليل

وفحمة الظلمة،

وأتوقَّعُه زائرًا كلما امتلأتْ قطوفُ المحنة بالعطايا

وثَقُلَ على القلب الفرح

أفتح النافذة ليحلَّ ضيفَ سهرٍ على طعامٍ وشرابٍ

كلما نقصا فاضا

يجلسُ قبالتي وأنادمُه بذكْرِ حصاده ومعنى الشمس والنهر

«كلما مات منا سيدٌ قام سيدٌ»

أضدادٌ في اللغة أمْ لغةٌ في الأضداد!

وأنت واهبُ المعنى الجارفِ ومفتِّقُ الأكمام

تشارك في كل حُضور

وتقتسم الصمتَ والكلامَ على كل شفة

تقبض بيدك على زمام الفوضى فتتشكَّل القوالبُ

وتفتح أبوابَ القوالب فتفيض الحياة
لك مُزْدَهَرُ الدَّوام ومجدُ الينابيع
ولي مجدُ الظل وبطولةُ البحث عن زاوية السقوط
ولحظة الزَّوال.
يقلِّبني بين كفَّيْك مارجُ عشقٍ وصبوةُ نار تُزْمزِمُ،
ينفرط اسمي شظايا حليٍّ مبعثرةً تتنمنمُ من
ذهبٍ وشموسٍ مكسَّرةٍ تتهاوى فتُمسكها في
سلاسلها رعدةُ الخوفَ، تلتمُّ ما بين نهديْكِ،
واسمي المكدَّسُ بين السلاسل والجسد
المتفصِّدِ بالعنبر الحيِّ يخطف وجهي،
ويطحنه ثم ينثره في الشظايا
فمنْ يفتديني وقدْ كوَّمتْني سلاسلهُا،
من يخلِّص أسماءَ وجهي وينثرها حرةً كشموس
الينابيع في العنبر الحيِّ أو كالطيور الشريدة في
العشب والخضرة الغامضة!

مددتُ يدي . . لن يبعثرني في تضاريسها غيرُ كفِّي
وغيرُ انفراطي دمًا تحت حنّائها واحتشادي طيورًا
مهاجرةً بين أحراشها ومعشِّشَةً في حواسِّ
الدم الخمس عاليةً في القباب وهاجعة في
الزوايا المضيئة بالخضرة الغامضة .

مددتُ يدي . . وابتدأتُ منادَمةَ تجْدلُ الدمَ والماءَ
بين العروق المليئة باللبن الحيِّ
ـ : بيني وبينَك فيضُ وجوه مقنَّعة تتصاول تحت
اغترابات أسمائنا كي تجيءْ .
ـ : وبيني وبين وجوهكَ هذي السلاسلُ، فانظرْ
لنفسكَ، لو كان ما لم يكنْ لانتهينا إلى البحر
واشتبكتْ من خطانا البداياتُ .
ـ : لو كان ما لم يكن لاستْفاضَتْ بنا فَوْرةُ البحر :
أنتِ الكهوفُ العميقةُ والطينُ والخضرةُ الغامضة

ومن جسدي يبدأ الخَلْقُ، من جسدي يتقشَّرِ كِلْسُ

السراطين تلتفَّ تحت الرخام القواقعُ، من

شهقتي سمكٌ تتفجر ألوانُه.

وقصائدُ من صَدَفِ النارِ والفضة

ـ : انظرْ لنفسكَ. . بيني وبين وجوهك هذي

السلاسلُ، والأرضُ بيني وبينكَ مهرةُ رملٍ

وصرخةُ ماءٍ تجاوَبُ في الليل والريحِ. .

فانظرْ لنفسكَ

ـ : يا امرأة الخضرةِ الغامضة

تكتبيني على التراب فتبعثره الريحُ، وأكتبُ الترابَ

عليكِ وأدفنُ نفسيَ فيه حضارة عشقٍ مطمورةً

تَنْتظر الحفّارين وتنتظر ميقاتَ الانكشافِ

للشمس والريح وقراءةَ البشر

أتدلّى اسمًا منقوشًا متكررًا تلاعبه زهرتا

العسلِ على النهدين

وبين بعثرة الريح ورقص الرضاعة ولدٌ يصرخ
صرخةَ المجيء المؤجَّلِ أو المجيء المستحيلِ أو
المجيء المحتَّمِ . . لا فرق
فَعَقِّلي عليَّ أنتِ
ـ : «هناك أحلامٌ الرقودُ أولى بها »
ـ : وهناك يقظةٌ النومُ أولى بها
وهناك حضورُ العينيِّ والوهمُ أولى به
وهناك مستحيلٌ الدمُ أولى به
وهناك جنونٌ نحن أولى به
فخذي مما تشائين لما تشائين
ولتكنْ مشيئةً واحدةً تعقدُها ملامسةُ
الأصابع أو وشيجةُ الدمعِ المطْمئن .
تَقَسَّمَكَ العشّاق وأنت واحدةٌ
أمْ أنَت العشقُ لكلٍّ منه ما يستطيعُ من
رزْقٍ وما يَقدِرُ من احتمال ! !

تَعَدَّدت الأحوالُ والطريقُ واحدٌ
وتكسَّرت الديمومةُ مواقفَ والقطيعةُ
واحدةٌ وحصارُ السِّوى غَلوب.
فهل نحن أضدادٌ في اللغة أمْ لغةٌ في الأضداد!
وهل نحن المجازُ العلاقةُ أم نحن اكتمالُ
العلاقة في المجاز والسرُّ بيننا غرغرةُ الشهادة!!

همو ضربوا موعداً وضربنا لهم موعداً
وهو الخضرةُ الغامضة
تشكَّيتِ من وجع الطلْق أم مطرٌ جارحٌ
يتخدَّد وجْهكِ!!

هذا توقُّدُ وجهك بين الضلوعِ
وهم عبروا واحداً واحداً وأنا آخرُ العاشقين
وهذا رغيفُ المواثيق بيني وبينكِ،
والعهدُ:

هذا البلاءُ الثقيلُ

وهذا البكاءُ البديلْ

وأرضْ البلاد التي نسجتْني خطىً من دمٍ،

والجيوشُ الغريبةُ تبرُقُ أحداقُها في

المخادع والليلُ ينْسلُ خيطَ التذكر في الصحو

والنوم . .

فالأفقُ من فلفِ الشجر المتشقِّق في الدمع، وجهي

عجينُ الملايين من أمهات القرى . .

أتخمَّر في الحلم . . ما من يد أنكسِّرُ فيها

وأفتح رائحة الخبز غير يمينك

يا امرأة الخضرة الغامضة

وكلُّ دمٍ آيةٌ،

جسدٌ عنبرٌ وأقاليمُ ماء، وطفلٌ عصيُّ الولادةِ

يكتب أسماءَه بين حجْري وحجْركِ،

والأرضُ ناقةُ هَوْدَجنا المستحيلْ.

والأرضُ ناقةُ هَوْدَجنا المستحيلْ .
وطائفُ برق يكلمني وأَكلِّمُ وَقْدَتَه
وانفراطُك بين يديَّ الدليلْ
وقد ضربوا موعدًا وضربنا لهم موعدا . .

للتُّخوم خُطاها . . تضيق وتتَّسعُ الأرضُ ،
هَرْوَلَةٌ للأقاليم يمتلئُ الحلم فيها بما يشتهي
مرةً ملكوتٌ
وأخرى سديمٌ يُناوشُه العصْفُ
والليلُ يُنسلُ خيطَ التذكر ، تَنْحَلُّ مني العُرى ،
الفجرُ ينسجُه عنكبوتُ الترقُّبِ . .
لاأصدقاءَ يجيئون ،
صوتُ الخطى أتعرَّف فيه على صاحبي الموتِ أو
عسَسِ الظلمات وهمهمةِ المخبرين وراءَ النوافذِ ،
نارُ القبيلة في القلب . . تعلو فيأوي إليَّ من

الوحش أنسٌ أنيسٌ وتأوي القوافي

ويَزّاوجُ الطيرُ، من مُحكم الآي تعلو التراتيلُ ينبجس

الماءُ والدمع، رائحةُ الخبز تصعدمن جسدي . .

أتكسّر بين قصاع الثّريد

وأنحلُ في الخضرة الغامضة .

وهم ضربوا موعداً وضربنا لهم موعدا . .

ـ : ولكَ الوقتُ . . فابدأ زواج العشيرة بالطقس

ولتحتملْ من ملائي نصيبكَ ولأحتملْ من بلائكَ

خذ من صواني أحزمةً للرصاص، خرائط للوقت،

قائمة الحرکيين، أوسمة الخضرة الغامضة

لكَ الوقتُ . . فابدأ زمان القبيلة . .

ـ : هل عقدتْ بين أعضائنا رجفةُ العهد؟

هل موثقٌ أفتديه وهل موثقٌ يفتديني؟

ـ: استمعْ . . إنهم في الشوارع . . فاخرجْ

ـ : وهل يَتَبَجَّسُ وجهيَ من بين نهديك، تلتمُّ
من غمنمات الشظايا ورقصِ السلاسلِ أربعةُ الأحرفِ ؟
ـ : اخرجْ.

هو الليل . . صَحْوُ الإرادات في الكون، سجّادةٌ
يتنفس فيها اشتباكُ الخطوطُ مشاجرةُ اللون في
اللون . . كان الرصاص يُشجِّرُه بالزخارف
والأرضُ تنبضُ مخلوعةً في الإضاءات
وهي مؤرَّقةُ الخضرة الغامضة
تُهاجسُها الخطواتُ، تصادَى النداءاتُ،
تسْترق السمعَ . . أيُّ دمٍ يستغيثُ
وأيُّ دمٍ يستفيضُ وأيُّ اختْداعٍ حبائلُه
انعقدتْ عقدة الصيد ! !
تسترق السمعَ . . أيُّ صراخٍ يُمَسِّحُ أطرافَه الهالكات
على جُدُرِ الدورِ ! !

والأرضُ تعلو وتسقط بين الإضاءات

والنارُ تأكل أطرافَها وهي تنصتُ . .

«نقرٌ خفيفٌ على الباب»

ـ : مَنْ ؟!

كلُّ شيء يعودُ إلى حاله . . وأنا قدْ تكلّفتُ حَمْلَ

وَصِيَّتِه وأماناتِه

ـ : لا أصدقُ

ـ : هذي ملابسه ثَقَّبْتْها الرصاصاتُ وانتشرتْ

فوق خضرتها بقع الدم ، أحزمةُ الجلد ،

أوسمةٌ ، وتعاويذُ وجهكِ

ـ : هذي رصاصاتُه في اكتمالِ عناقيدها ،

والرصاصاتُ ثَقَّبْنَ قمصانَه من وراءٍ فهل . .

ـ : لا تقولي . . فقد كان يرحمه الله من أصدقائي

يكاشفُني وأُنادمه وعقدْنا المواثيق . . لكنه . .

لست أدري لماذا وكيفَ . .

لقدَّ مرَّ ما مرَّ . . قولي . . ألسْنا نرى مَوْلِدَ
الملكوت بأشكاله من سديم المواثيق ؟!
فـانتظري . . سـوف أنشئُ من ملكوتكِ مـا
شئتِ . .

ـ : ما اسُمكَ ؟!
ـ : أسماؤنا الحركيَّةُ واحدةٌ
فاسمعي أول الشعر فيك :
أنا آخرُ العاشقين . . إلخ .
دمٌ نافرٌ يتوامضُ من ظمأ
ويسيلُ مسيلَ الغزالات في العشب
يعلو ويرفع منديلَه فوق أعمدة الصبح ،
تمشي به الريحُ ، يأخذ بيتَ الإقامةِ في لهجة الفاصلة .

دمٌ نافرٌ والكتابُ يكفْكفُه ويخيط به سرجَ الخيل
يَنْفُثُهُ في القرابة يعْقده ثمراً وعناقيدَ

مخبوءةٌ في كلام النعاس .

دمٌ نافرٌ في الكتابْ
وأنت تنادمه وتُؤاخيه بعد انفضاض الصّحابْ
وبعد فرار رعيّته رهبًا
وامتلاء فرائصها رغبًا
والبلادُ مدى للصدى
وأنت تنادمه . . مرةً بالتحامك مشتبكًا فيه
بالغضب الجلْف أو صارخا بين أصدائه
علّه يتكشّف عن وجهه في المدى
اللغويّ ويفضح نبع القصيدة .
تنادمه أنت . . وهو يهزّ بأعمدة الصبح منديله
اللهبيّ ، وتنظر . .
هل جسدٌ حطبٌ هذه الأرضْ ! !
ها أنت تزْورُّ عنهم وتبدأ :

قمصانُك انفتحتْ عن عراها
فلاذَ بك النخلُ والطميُ،
وهي اشتكتْ وجَعَ الطلق وانهمرتْ
فوق خضرتها الغامضة
سحائبُ مثْقَلةٌ ، واستجاشتْ دماءُ السلالة . .

١٩٧٩/٣/٢٣

غنائيَّة حجر الولاءِ والعهد

-١-

مَن يرحم الحجرَ المقدَّرَ للغوايات انهمار العصْفِ
أسنانِ الرياح مباردِ البحرِ الدءوبْ؟
أقْوى خطى الحجر الوقوفْ
تنأى الحوادثُ عنه ملمومًا . .
فهل تنأى الحوادثُ؟
ها هو الحجر الموطّأ للمطر
تتخدَّد الشمسُ الثقيلةُ وجهه ويَشيعُ من
عجلاتها طحْنُ الصَّريفْ
ومسيرةُ الحجر استقامتْ وجهةً مفتوحةً للطحلب
البريِّ والكيمياء والملح المقَطرَّ
والتحول في الأصابعِ . .
ها هو الحجرُ الملّكُ للبشرْ
نارٌ تَبَجَّسُ أو مياهٌ تنفجرْ

مَن يرحمُ الحجرَ المخَبَّأ تحت ذاكرةِ الطفولة صهوةً

أو في قرابات الصِّبا البيتَ الأليفْ

غيرُ القصيدةِ ؟!

مَنْ سواها

حين يدخلها الحجرْ

متكشِّفًا عن وجهه الحجريِّ ثم يقيم فيها!!

ـ ٢ ـ

دَوَّرْتُ وجهَ حصاتكَ الصوّان أعْلكُها
ـ وشمسُ التيه والظمأ الرفيقانِ ـ
ارتميْتُ على وجوهكَ في الفلاة، تفتَّحتْ
طرقُ التحيُّرِ، نَبْأةٌ سريةٌ تَخْفَى وتُسْفِرُ
حينما سميتُكَ الحجرَ الأمين
يا شعرُ، واستدبرتُ أحلامَ الصِّبا ورؤاه،
وانكشفتْ عن اليأس الرصين
لُمَعُ الشظايا من مياه العمر، واسْتَرْوَحْتُ
رائحةَ التراب يفضُّها مطرُ التذكر
حينما سميتُكَ الحجرَ الدفين
ولَفَفْتُ حولكَ من جراحات القطيفة، وانفطرْتُ،
أشعْتُ بين أصابعي والكاغد المخطوط وشْمَ دمي،
ولَملَمْتُ الرمادَ. طعمْتُه كسَرًا ولُذْتُ به،

وسميتُ الإقامةَ فيه هرولةَ التشكُّلِ

كانت الفوضى المليئةُ بالكلام

صمتًا ثقيلاً

قلتُ للحجر الذي استَسْلمتُ فيه :

أعِنْ دمي ، وافتح عليَّ بوجهكَ

المسكونِ بالقولِ الثقيل

وحين سميتُ الفواصلَ في الكلامْ

حجرًا ، وأعلنتُ الإقامة فيه سميتُ الظلامْ

نجمًا نحاسيًا وفوهَةَ بندقية مُخْبِرٍ ،

وتحصَّنَتْ تفعيلةُ الرَّجز المراهقِ بانتشار

الوجه في جوعِ الزحامْ

وأقمت فيه .

وحين سميتُ البلادَ خريطةً لعناكب الألوان

تنسج كلَّ لون لقمةً للطاعمين وكلَّ

خيطٍ رايةً تعلو فتنقسم البلادُ وتستحيلُ

الأرضُ أسواراً تَنَاسَلُ،

حين سميتُ الولاءَ وحين سميتُ العدوَّ رأيتُ

موتًا ناشبًا بين الجذور يَفُضُّ من عُقَدِ

الحموضة والمياه وشائجَ النسب الصريحِ

ويستقيمُ على محجّتِه قتالُ الأهلِ،

نارٌ تجرفُ الحرثَ،

استْفاضَتْ من عُلُوِّ المدِّ أجناسٌ من الوحشِ

الطيورِ المعدنيَّةِ والخفافيش انهياراتِ السمواتِ

العلا، والعصفُ أجنحةٌ دمٌ

والريحُ تغلي بالغيومْ.

قلتُ: استمعْ . . هذي إضاءاتُ البكاء كتابةٌ

وقراءةٌ في الدمع . .

فاقرأ واستمعْ . .

هذي غواياتُ الحجرْ . .

بعثَرْتَ نفسَك أمْ همو نثروكَ في عصف الولايةِ . .

لا الولاءُ يفجِّر الخبزَ الأمميَّ الجميعَ ولا
الذُّحُولُ تمدُّ أطرافَ الرماح صريحةً
فأقمتَ في الحدَّيْن
فاقرأ واستمعْ :
هذا الحجرْ
تَتَخَرَّمُ الأمطارُ صفحتَه ويذْروه الظلامْ
يعلو ، ويفتح في شقوق البرق صلصالَ الكلامْ
ويعيدُ مجدَ الحلم للشعراءِ
يضْفِرُ من فتوقِ الصمت آيتَه
ويخطو خَطْوَهُ الكونيَّ في النجوى ويُعلن عن
مجيء الشعب في أعقابه . .
قلتُ : استفاقتْ من كراها هذه الزنجيّةُ الحُبلى ،
فَأَلْبَسَها نزيفُ قصيدتي عُقْدًا من الجمْرِ
المؤرَّثِ في دمي
ـ الرَّجَزُ المبلَّل في خشونة ليفه يعدو

وراءَ الهوْدج ـ استَرْخَتْ على حجَرِ البلادِ
وكدَّسَتْ أعضاءَها الزنجيةُ الحبلى
وغابتْ في نعاس الطَّلْق والتجأتْ إلى
أرفاغها كسَفُ النيازك ،
لاذ بالإبطَيْن صوتُ الديك من كل القرى ،
وتَفَتَّرَتْ ، لا الطلقُ يضربُ وقْدَةَ الملكوتِ تحت
حزامها الكونيِّ ، لا انفتحتْ عُرى اللبن الحبيسِ
بقُبَّتَيْها في المشارق والمغارب ، وانسَلَلْتُ ،
وَضعتُ رأسي فوق ركبتها وثَقَّبْتُ الفضاءَ
بنظرةِ الحلم ، ارتقبْتُ تَفَتّحَ الملكوتِ ما بيني
وبين حجارة الفحم المقبَّب ،
قلتُ : ألويةُ الكلامْ
منقوشةٌ . . حجرُ الظلام كتابُها المكتومُ . .
فاقرأ واستمعْ :

ـ ٣ ـ

للقلب آيتهُ المضيئةُ . .

أهلُكَ انتشروا انتشارَ النمل ،

صاحتْ صيحةٌ : يأيها النملُ ادخلوا السَّرَبَ الأمينَ

ـ فما على وجه البسيطة من أحدْ ـ

والأرضُ تنغل بالعراك وغُلمة القتْلِ ،

الحجرْ

مشبوبةٌ خطواتُه من تحت ذاكرة الطفولة ،

لا يكفُّ عن التخلُّع من مقالعه ،

وليس يكفّ عن حرْث البسيطة والقصيدة ،

ليس من حيٍّ يجلْجلُ صوتُه بمراسم الهَدْمِ

المباغت للقبيلة غيرُه ،

لا صوتَ يُرْعِدُ بالبَكاء وقد ترحَّلَت الحبيبةُ أو

تَقَوَّض مضْربُ الأعمام والأخوال غيرُ بكائه ،
لا حيَّ يحمل في مرايا صوته سرْبَ الظباء وهبْوة
الكحل المضيء وفي الحصى المشويّ طعم الأمهات
ثريدةَ الأعراس إلاّ آهْ ،
وفوق جبينه المطحونِ صوتُ الهامة الظمأى
يولول بالقتالْ
وهمو تبددت الرياحُ بهم وللم عنهم الموتُ الحوادث
فالبوادي تحت سلطان الحجرْ
وهو المكابدُ للحوادث وَحْدَهُ .

قدّسْتُ بيعته أقمتُ الحلفَ ما بيني وبين
حضوره السيّال .
عروتُه الوثيقةُ خاتمُ الإرث الأخوة والولاية ،
وهو عاصمتي أزاوجُ فيه بين الصمت
والشعرِ الكظيمْ . .

١٩٧٩

أولُ الحلم آخِرُ الحلم

امرأة ليس وقتها الآن

خضرةٌ تحت جلدكِ مشْربةٌ بالدمِ الطمي جوٌّ
النحاس الصقيل وسمرةِ مرمركِ اللامع
العشبُ يترك لهْوَ الطفولة منسحبًا لجروف الينابيع،
ينْدى بدفء الأخوة والظل بين الذراعين والجذع،
هبتْ من الريح طيبةٌ يتكدَّسُ من مَسِّها رملُكِ
الرخْو مرمرُكَ الأسمرُ، الرعدةُ الملكيةُ
نارٌ تماوَجُ بين الصلابة واللين . .
واندلعتْ في القباب المليئة بالزهو شمسٌ من
العنبر اشتعلتْ في الزبيبِ مفاجأةُ الماء
والرحمةِ الرطبةِ.

اصْدَعْ بما تحلمُ، الوقتُ أوسعه مرٌّ
أضيقُهُ مر، أنتَ تخطّيْتَها :

أربعون من العمر ولَّتْ بلادٌ تولَّتْ
فليتك تُملي ولاءكَ للحلم
هذا تجلّي ولادتكَ الجامحة/

وأسحب صيفًا من الصوف فوقي
معي الشمسُ أبعدُها أقربُ المسّ بيني
وبين القميص، استَفَقْتُ ذهولاً، ونمتُ،
الصحارى تقاطَرْنَ لي بالغضا والشقائقُ للمْنَ
ظلَّ النسورِ المُطيفة
قَدَّمْن لي ورْسَهنَّ وطعمَ الأراكِ
وأدعيةً من عَرار المحبين.
هل باخعٌ نفسك المستهامَةَ في زَجَلِ النِّيبِ والطللِ
المتهوِّسِ بالراحلين
ـ عليهم ـ تفيض عيونُكَ.. تبيضُّ.. يا أسفا!!
أخرجوك من الأرض، كانت حواراتُهم

لغةٌ لستَ منها

الشوارعُ أوسعُها أضيقُ الصرخات بقلبكَ

وحشيَّةُ الجوع آنَسُها يتفصَّد بالرعب

لا تعْدُ عيناك عنهم إذا دخلوا الحلم أو خرجوا

اصْدَعْ بحلمك

هلْ مخرِجُوك همو من خُطاك أم الأرضُ

واللغةُ امرأتان تقاسمتا قلبكَ الغضَّ أم

هذه امرأة جارحة/

ورأسي على ركبتيكِ وعيناي كأسا دمٍ

يَتخثَّر من تحت شمسيْكِ

أسقط ما بين شمسيْكِ

أنزف ماءً وثلجًا وأَدخل أرْوِقة الله،

شمسان:

مصهورةٌ تتشظى بجفنيَّ واحدةٌ،

تتكلم أخرى عن الكائنات المذابة

تجلس في حضرة الدهشة المشْرئبَّة تحت
الظلام، وأدخل أرْوقة الله،

زمَّلَني الصيفُ والصوفُ تحت فضاء السموات،
نمتُ، استفقْتُ ذهولاً، ونمتُ،
تدثُّرني جمرةُ الليل
تفْرِطُ فوقي عناقيدَها اللهبيَّةَ
بيني وبين القميص الخيولُ الصَّواهلُ،
ألْفافُ غاب من الشجر المعتم المتهدِّلِ،
هذي غزالةُ خوفي مطاردةٌ حرةٌ،
أتقلَّبُ
واديكِ يهبطُ
ريحانُك ابتلَّ والعشبُ
رأسي على ركبتين هما الخبزُ والماءُ،
هذي غزالةُ خوفي وخوفي:

هما امرأتان أم امرأةٌ يتقلبُ بين يديْها دمي؟!
الطبقان المليئان،
شمسان من عنبر وزبيب،
وأرضٌ رخاميةٌ الليلَ بيضاءُ
فاصْدَعْ بحلمكَ . .
ناشئةُ الليل مثقلةٌ والكلامُ الثقيلُ الأباريقُ
تزبدُ بالماء والخضرة اللافحة/
على كتفيَّ اليمامُ المطوَّقُ باللهب الأخضر،
الخاتمُ العائليُّ مضيءٌ
وهذي هي امرأتي:
مرْطُها نَشَّرَتْه الرياحُ فلاذَ به الغيمُ
والأنجمُ انتثرتْ والسمواتُ كشَّفن لي زمنَ الفتح،
خيلٌ، وجوهٌ تعرَّفتُ فيها عشيرتي الأقربين لهم
صولةُ الريح وادَّرَعوا الفقرَ
والتحموا جسداً للأخُوَّةِ

فاصدعْ بحلمكَ

هذي عشيرتُك الأقربون دمٌ يكتب السعفَ

الحيَّ والأغصنَ المثمراتِ،

دمٌ يتناسل فيه النبوّاتُ والشهداءُ

الكتاباتُ والصرخةُ الفاتحة/

وهم يكتبون ولا يقرءون

انْتبهْ،

غيرُهم تحت سَبْيِ القراءات مغتصبون

فَبَشِّرْهمو:

أنتَ نسلُ الكتابةِ:

تقرأ
تخرجُ
تُقتلُ
تبعثُ

وحــدكَ

في أمة أنتَ واحدُها
وهي تحتَ السموات
أعضاؤك
انتثرتْ:

فانتبهْ

والقراءةُ بُشَراكَ
أولُها موتُك الآيةُ الواضحة/
وآخرُها أمةٌ تقرأ السعفَ الحيَّ
والأغصنَ المثمراتِ
انتبهْ
لستَ وحدكَ
فاهجرْهمو ـ حان وقتُكَ ـ هجْرًا جميلاً
فكلٌّ بما عنده فرِحٌ،
وتَلَفَّتُّ:
جندٌ، عيونٌ مدجَّجة
والدروعُ السَّوابغُ، والزَّرَد الآدميُّ ارتخاءُ الهلامِ..
تَخَبَّطْتُ بينهمو
والحصارُ يضيقُ
اسْتفقْتُ من الرعب:
كلُّ الجوارح تعدو وتلهثُ،

تَلْقَفُ وجهي ـ يدٌ عَنْدَمٌ وحريرٌ:

هي امرأتي . . يتكسَّر في وجهها الطمي أقنعةً

سبعةً يتكشَّفُ أقنعةً سبعةً،

والعروق على ظاهر الجفن نابضةٌ زرقةً يستريح

بها أرَقُ العشقِ،

ما بيننا يرقدُ النهر دمعًا طريًا

ويفتح بيني وبين الصِّبا خطوةً

ـ : نحن في أوَّلِ الوقت؟!

ـ: بل نحن آخِرُهُ.

ـ : تمكثين إلى مطلع الشمسِ؟!

ـ : هل أفقٌ آخَرٌ تطلع الشمس فيه فأمكثُ؟

ـ : لمْ أتعرَّفْ عليكِ دماً راعفًا بالطفولة،

فلْتمكثي.

ـ : جسدي يَتَفَرَّطُ دمعًا عليكَ ويخضرُّ،

أنتَ بخضرة أعضائيَ السنبلاتُ المليئةُ،

أحمل وجهكَ تحت قناعي وأرحلُ،

فاصدعْ بحلمكَ.

ـ: هل نحن في آخرِ الوقتِ؟

ـ : بل نحن أوَّله.

ـ : والبريدُ المسافر بيني وبينكِ هل

تحمل الريحُ أمطاره؟

ـ : أشتهيكَ كما قد قضى الطميُ بالعشق.

ـ : هذا انهيارُ دم في دمٍ وانفجارُ السموات بالماءِ،

هل ترحلين

أراحلةٌ أنتِ؟!

ـ : ما همّ والوقتُ ليس لنا الآن!!

ـ: ناشئةُ الليل مثقلةٌ بالظلام الثقيل

النجومِ الخفيفةِ والغيمُ يعدو

ـ : الوداعَ
ـ : الوداعَ

اسْتفقْنا ذهولاً :
من الرعب لم ألتفتْ
وهْيَ لم تلْتفتْ

١٩٧٧/٥/٣٠

هل الانتظارُ هو

فهل أملي لكِ وأمْهلُكِ الرّوَيْدَ من شبق البحر
واستنامة الأرض للأجساد الذائبة!
صدوعٌ هي الأرحامُ المولّهة
ورجرجةُ الماء فعْلُ الذكورة
فأمْهلكِ . . أسمع فَوَرَان الأنسابِ
وتلاقُحَ الاختياراتِ

وأملي لكِ . .
أسمع نُضْجَ الدم:
أيد تنبت أصابعُها
أقدامٌ تأخذ شكلَ السعي والطريق
وأصلابٌ بين مطرق الطبيعة الحرةِ وسنْدانِ
اشتقاقِ الأسماء على غير قاعدة
وأنتَ ترقب الأرض ذاتَ الصدْعِ والسماءَ

ذاتَ الرَّجْعِ

وترقبُ الجبالَ تمرُّ مَرَّ السحاب

لا تدخل الحلم ولا تخرج

فإذا أفقْتَ فامسَح النومَ من عينيك

وتفقَّدْ على قافية الرأس العُقَدَ المعقودة

فبأي ناصيةٍ عُقِدَتْ ذؤابةُ الولادة

وألويةُ البحر والأرض!!

لا أنتَ تدخل الحلم ولا تخرج:

للمتوسط زاوية قائمة،

في الشرق والجنوب هندسةُ الإغراءات

والأحمرُ علقةٌ لا تكْتسي، له شكلُ

الزّواحف ولا يسعى

فقيرٌ أنتَ من العائلة فقيرٌ للعائلة

لا تدخل الحلم ولا تخرج، ولموتِها كل سببٍ إلا الموت.

طال بكَ حالُ الرِّباط

لقدمْيكَ ظلٌّ منَحْتَه قداسةَ الثغور وأمانةَ البلاغ

جسدُكَ تهليلةُ السموات والأرض

وما بينهن لائذٌ بكَ، يدخل الأسواق،

يأكل الطعام، يتخفّى

فبالعشائر أنتَ والأمهات

هل يكيدون ويكيدُ الفقراءُ كيدا؟

بل يمكرون ويمكر الفقراءُ:

خيلهمو مجنَّحَةٌ

ممالكُهم لها أسماؤهم ووجوهُهم أفْقُ اللِّواءْ

يترافدون عباءةَ الرُّقَع القديمِة والقديدَ

ونكْهةَ الخبز المشَمَّسِ وامتلاءَ النوم

بالأشجار والصحوِ، امتلاءَ الوقت بالطير

المحوِّم والبكاءْ

والخيلُ بين الصحو والأشجار تَعْتَلكُ الصهيلَ

وتشرئبُّ على اتساع الرمل في شجْوِ الحُداءْ

وتمرُّ بين النوم والأشجار.

لا تُغْري ولا تُغْرَى

وليس لها بمعمورٍ ثواءْ

ديْمومَةُ الريح العصوفِ لجامُها المرْخى،

وأمداءٌ من الكرِّ الفسيح

فلا تراوِغُ لا تُرَاوِغُ،

ترتوي عرقًا وتصهل بين أشْفار المناجلِ والسنابلِ

تضربُ الأرضَ المقيمةَ في نُعاس الحمْل،

تغفو غفوة الرقص المفاجئ في البراري،

يستَجيشُ بها عُلُوُّ المدِّ والموجِ

المزاحمِ تحت مجْروحِ الغناءْ

هل أنتَ تعرفُهم وهل همْ يعرفون؟!

هم يعرفون وأنتَ تعرفُ:

أنتمو وطنٌ يُسَنْبِلُهُ الدمْ السريُّ.

عهدٌ قائمٌ أم قدْ تَفَصَّمَ،

بيننا حَبْلٌ من القسَم المغَلَّظِ بالمجيءْ..

أمْ قد تَصَرَّمَ؟!

فلْتَقُلْ يأيها العَلَنُ الخبيءْ..

أجتمعُ في نفسي على البكاء وكلام الأنهار والشجر

بيني وبين العشيرة الأقربين منازلةُ العشْقِ

وسَفَرُ الحميّة

وكرامةُ الأعراقْ

بيننا ماءٌ للكتابة وجمرةٌ للعناق.

بيننا ماءٌ للكتابة:

لكَ الجبينُ المغسولُ بلبن الأمِّ،

سقطَ الزَّغبُ الأصفرُ وتجلّى وجهُكَ بلون الخبز

تخرج تحت فضاء الليل وتغدو شجرةً هائلةً

يلفُّها الظلامُ المرقَّط

كلما اختفتْ نجمةٌ غادرَ عضوٌ من أعضائك الليلَ حتى

تتكاملَ على فراشك الخشن

للحصير والليف غابةٌ من تآلفات اللمسِ والأحلام

للسموات ذاكرةٌ في عينيك

تعرفُ كم دائرةً تطيرُها الصقورُ والحدآتُ العاليةُ

حتى تصير الشمس في مركز الأقواس

وكم مرةً تلدُ الأبقارُ حتى تشعَّ منها قداسةُ الأمهات،

وتعرف لون المهرة من رائحة السرْج أو حموضة

العرق

للثيران والإبل تمائمُ الصداقةِ وذكرياتُ الأخوّة
والموتُ يرسم خطوطَ الجوار الأليف بين
دفءِ البيت وفطائرِ الرحمةِ للموتى
يتكلم الحصى في يديك
يحكى دخوله في أعتاب الأهل وأضْرحةِ
الأولياء وعَرَصاتِ الخبز
ومدارَ انفلاته من المقلاع إلى وحش الطير
والثمار البعيدة
مسكونةٌ هي الخطى بقرابةَ الخميرة للأرغفة
وقرابةِ القبقاب الخشبيّ لأفرع الجميز
وقرابة الجلباب للعصافير
زيارةٌ هي الشحاذون يفتحون أبواب الفجر
حضورُ الكون وكبرياءُ التكامل هو أذانُ العشاءِ
وكلُّ الطرق دعوةٌ لضيافة مفتوحة.

تعرف كم مرةً تدورُ الساقيةُ فترتوي آخرُ سنبلة

وتحلم بخرْق العادة وتنتظر العجائبيَّ واجتراحَ

المعجزات

فتمتدّ من يديْك الينابيع

وتهاجرُ الطيورُ بآفاتها إلى صوتك السريّ

حنجرةٌ هي الطباقُ السبْعُ

وتمامُ القراءات هي الأرض

والخليقةُ مطويةٌ تتقلَّبُ بين نهارات المتحرك وغسق

الساكن

أمٌ تقوم وتهوي هو جسدُ الإيقاع

المكتوبِ في رياضيّات الحلم.

بيننا جمرةٌ للعناق:

أحلُّ عُراها وأفتح أكمامَها،

ورقٌ مخمليٌّ تقرَّأهُ ماءُ الأصابع، كفٌّ تكابده،
كلما سقطتْ وَرْقةٌ نَفَرَتْ في منابتها فَوْرَةٌ
للطلوع المفاجئِ وازدحمتْ. .
ليس تَهْوي الوَريْقاتُ في ملأ من حرير النعومةِ
والدفء إلا اقترابًا يباعد بيني وبين مزارات
خضرتها، والخطى نحوها أوْبَةٌ. . ليس في الكفِّ
من طَلْعها رجفةُ المسِّ بل رعدةُ الأسئلة/
وجوعٌ تقادَمَ واحتشدتْ في مفازاته الروحُ.
ألْقَتْ عباءتَها المهملة/
وأرختْ نطاقَيْن قَلْعينْ فهي السفينةُ
أعضائيَ البحرُ والريحُ صاريةُ المزْن.
قلتُ لها: قد أقمْتُ مقامي من الوحشة الآهلة/
نديمي دمي، قلتُ: وحدي. . وهمْ كثرةُ غالبون
فقالتْ: هي المحنةُ النعمةُ الكاملة/

وهذا اصطفاؤك، هم صولجاناتُك الخُضْرُ،

هم في مسير الرياح قصيدتُكَ المقبلة/

«فكنْ سماء وحيٍ وأرضَ ينبوعٍ وجَبَل تسكينٍ،

وإذا تحرَّكْتَ فلتكنْ حركةَ إحياءْ»

كرمةٌ أنتَ. . فانظرْ:

أيُّ سلطانٍ لكَ فتنفذَ من

أقطار السموات والأرض!!

لكَ ممالكُ الجنِّ الفسيحةُ وقلقُ الإنسانِ

ومستقبلُ الحلم:

جَوَلانُ النومِ في المدن المهجورةِ وشواهدِ

القلاعِ أو يقظةُ الجلوسِ على العرش.

تستبدُّ بك فوضى الغيوم والأرْجُوانِ المدَمَّمِ في

مملكة الريح

فهل هم الموتى يعيدون أدوارَهم في
صمتكَ المسكون بماءِ التذكر . . فترى كل
شيءٍ شبحًا يهيم بين مرآتيْن؟!
كرمةٌ أنتَ . . فانظرْ:
لكَ الأرضُ، نقشٌ من الضوء والعتْمة
الرطبة، الشمسُ تسقط من بيْن أفرعك الشبكية

ضوءٌ: لعلَّ بلادًا تخامرُها النارُ فهيَ تَوَقَّدُ في السر
ظلٌّ: لعل بلادًا تنام على فَزَعِ الصُّور.
ماءٌ وطينٌ: لعلك نهرُ البكاءِ المجلْجلُ،
علّك تعقد في إصبعيْك العصائبَ والنهرَ،
تمشي فيتبعك الشجرُ الرَّخْصُ،
تمشي على خطْوِكَ الزّلزلة/

هُمْ انسربوا سَرَبَ الذَّرِّ وانتشروا:

لا السمواتُ تبقى كما كنَّ،

والأرضُ تطوى كما طُويَتْ خيمةُ الظَّعْن . .

فاهبطْ إليهم كما يهبط السيل . .

١٩٧٧/١٢/٢٥

امرأة.. إشكاليات علاقة

تَهَدَّتْ ناقةُ الليل، استَطَفَّ لها من

الريح المليئةِ بالظلام الكثرُ،

في اللّحيينْ من جَرْشِ اللّغامِ الرعدُ،

وانتثرتْ من الرَّغْو النجومُ الفَضةُ الماءُ المدَّمُ

والغبارُ الزعفرانيُّ، الرُّغاءُ وشيجةُ

الإيقاع ما بيني وبين الأرض.

وامرأةٌ تُساقِط عن خواصرها النصيفَ تقوم

ما بيني وبين الأرض نافذةً معشَّقَةَ الجوارحِ

بالطيورِ وهمهماتِ الغاب والنهرِ المشاكسِ.

والبلادُ بأسرها انكشفتْ.

مددْتُ يديَّ:

كنتُ سوايَ، ليس النهرُ ما كنا عبرناهُ

عراةً نلبس القمحَ الصبيَّ، الغابُ غيرُ الغابِ،

والطيرُ المراوغُ غير ما كنا سرقْناهُ

صغارًا من عشاش القشِّ،

والأشجارُ ليست ما زرعناهُ

أبي وأنا،

ولا رحِمٌ تشدُّ خطايَ للأرض

المطيفةِ خلفَ نافذةِ الجوارحِ،

هذه امرأةٌ تقوم مقامها بيني وبين الحلم

(معتصمٌ بوجه الحلم معتصمٌ بطوفان القصيدةِ)

هذه امرأةٌ تدبُّ النارُ تحت قناعها الطينيِّ،

يطلع وجهُها السريُّ:

يخطو فوق بلّور النوافذِ

والرياحُ بنفسجُ الصحوِ، الدمُ المخْفورُ من

عهد الطفولة رائقٌ كالماء،

والأفْق الزجاجةُ، والزجاجةُ كوكبٌ

والقرطمُ الشوكيُّ مشتبكٌ بآخرِ ظلمةِ تعْدو. .

الضحى يعلو بأطراف المآذن والقبابِ يَفُضُّ

سنبلةَ المرقشَ في عقود الطير والسعفِ. .

الضحى يعلو. . وأنتَ قضيْتَ ليلتكَ الثقيلةَ عاريًا

تعدو تخوّض بين بارقةِ النعاس وخطْفةِ

الحلم الكاشفِ، أنت قد قَضَّيْتَ ليلةَ عمركَ،

انكشفَ المدى ما بين بارحةٍ وسانحةٍ

وأنتَ تُصاوِلُ الوحشَ الكلاميَّ

المدجَّجَ:

هلْ هولٌ أوسعُ مدىً من صمت النار بين

غلافِ الكتابِ وغلافه الآخر؟!

والأرضُ: كتابُ المسافة وكتابةُ الأفق.

والوحشُ الكلاميُّ المدجَّجُ بالكوفيِّ والنَّسْخيِّ

مندلعٌ في خروم المخطوطات

يُخفي وجهه السريَّ في خشخشة الكاغدِ

ورائحة الرقوق وكثافة الرشاقة في موت

الظِّباء ونكهة الجلودِ القديمة

ويعلن حضوره في طعم الحبر والماء والصمغ

ويسافرُ في صوت الريح المقيم في قَصَبِ الأقلام.

أتَذْكُرُ مخلاةَ العَبَكِ والمقلمةَ النحاسيَّة

ومجمرةَ الرمل وريشةَ النّسر؟!

أتَذْكُرُ شجرَ الزّنجارِ الأخضر ورائحة

الترابِ ومخطوطةَ شرْحِ القُطْبِ على الشمسيَّة
ونحْوَ الأشمونيِّ وسُلَّمَ السَّاويِّ وإيقاعَ
الرَّجَزِ في الألفيَّة !!
أتَذْكُرُ حُمْرَةَ الألِفِ والياء في خطبة جَدِّكَ
عامر للجمعة اليتيمة وزخرفته الباهتَةَ
لهبوب الريح من تِلْقاء كاظمةٍ وإيماضةِ
البرْق في الظلماء من إِضَمِ !!

تلك كانتْ آخرَ العهد بوجه أمِّكَ وجميزةِ
البكاءِ وموتى العشيرة
وآخر العهد بتواطؤات السمْع والبصر والفؤاد
«وكشفنا عنك غطاءك فبصرُك اليومَ حديدْ»
ذلك أولُ العهد بأولياءِ نعمتي

لسانُك مختومٌ بعسل العشق واللهجة الصادقة

ودمُك أولُ الضحى في الكلام الصعب

فَلْيَسكُن النيلُ أعضاءك والفراتان

ولْيَنْبُتْ في جسدكَ القصبُ وتَخْضَرَّ في

صوتك أهْوارُ القصيدة

وليمتلئْ حزنُك بالكشمِش الموْصِليِّ

فقد منحتُك من بناتِ الملوك الأعراب صُغراهُنّ

ووشمتُ وجَهكَ بشمسِ الطابوق

ومساميرِ الكتابةِ في المرمر .

أنتَ في عرس القبائل :

ها هي انتشرتْ مقاصيرُ الحجارة

والرخامُ توهَّجَت منه الهياكلُ والدُّمى

امتدتْ صفوفُ الخيل والفرسانُ مدَّرِعون

حول الساحةِ

الشمسُ النفيرُ وزرقةُ الأفْقِ الصدى والصوتُ

شمسٌ جَنَّحَتْ ألفًا من العربات واندلعتْ

تطيرُ وأفقُها وهْجُ الدروع .

المرمرُ انفكَّتْ طلاسمُه وبارَحَت الكتابةُ

والنقوشُ زمانَها الحجريّ

والأممُ الشعوبُ تكأكأتْ فوضى من الأعشاب

والماءِ، القبائلُ تستعيدُ حرارةَ الأسْجاعِ

بين الهمز واللّمز، الملوكُ أتوا :

تقسَّمت القبائلُ تحت أعلام الطواطم

هاهي الأعلامُ خاتَمُ خِطْبةٍ لبستْه أعمدةُ الرياحِ

الشمسُ نقْعُ الخيل طَمْطَمةُ الجموعِ ،

ومهرتان تشابكتْ بيني وبينهما الخيوطُ،

رأيتُ في خيطين تَقْطُرُ منهما الحنّاءُ في الكعبين

دائرتينْ واسعتين :

عشقٌ بازغٌ أمْ دارةٌ للموت ؟!

كحلٌ زُرْقَةٌ عَسَليةٌ : خيطان تَنْفَتِحُ السماءُ عليهما

أفْقًا من البَرْحيِّ والرُّطب الخيامُ تخلّلَتْها

الريحُ بالغزلِ القصائد وانتحابِ الوشمِ بالذكرى .

الدمُ الفِضّيُّ في المهماز، شمسٌ قطرةٌ

عَلِقتْ بحدِّ السيف :

هذا البحرُ مجتَمعًا تشيرُ إليه عاصمتان من برقٍ؟

سرابٌ؟ صفحةٌ مكتوبةٌ فيها اقترانُ دمي

بماءِ المعدن الخلاق؟!

حَمْحَمَتان تشتبكان :

مهْرَتُها اغتلامٌ طافرٌ ما بين

همهمة الشكيمة واندلاع الماء والنيران في

الكفَلِ المدَمْلَجِ ،

بين أربعةِ الحوافرِ يُولَدُ الإيقاعُ قافيةً فقافيةً

حصاني ـ وهو عاصفةُ الرُّباعيَّاتِ ـ منكتمٌ

تَجَمَّعُ فيه من حِقب الذكورة والجموح رشاقةٌ سريةٌ.

هل كان بينهما الذي بيني وبين حضورها الملكيِّ؟!

في كتفيَّ كانتْ كبرياءُ الفقر حشداً من نبوَّات الدمِ

الشهداءِ والثوراتِ أعتابِ الصباحات المليئةِ

بالغيومِ العشبِ أشجارِ الخليقةِ والبراحِ الطميِ

والقطعانِ.

والأسلافُ يحتشدون بين أصابعي النسلُ

المقاومُ بالمحاريث السيوفِ قصيدةَ الغزلِ

الصريحةِ مستكنٌّ حول مقْبض سيفيَ،

انطلقتْ بمهرتها تَخَطَّرُ . .

دورةً . . ثنتين

قبلي فتْيَةٌ سقطوا . . الأخيرُ أنا

وهفهفت العباءةُ والمطارفُ قد سَتَرْنَ كَشَفْنَ

هل هذا الزواجُ الصعبُ آخرُ بدعةٍ

كتب الملوكُ طقوسَها

أم هذه نُذُرُ احتفاليّات موتي تحت أسيافِ العشيرةِ ؟!

دورةً . . ثنتين

أرقُص والمياهُ تفطَّرَتْ فوق الجبين بسرِّها

الجبليِّ رائحةِ المراهقةِ العريقةِ .

عَطَفَتْ نحوي الشكيمةَ واشرأَبَّتْ نجمةُ المهماز

وانفجرتْ على السيفين شمسٌ . .

ضربةٌ . . ثنتان . . ثالثةٌ . .

تكسرت الشموسُ وهَمْهَمَ البرقُ

استضاءتْ عُدْوَةٌ ما بين بحر الروم والظلمات

رابعةٌ وخامسةٌ . .

تَفَلَّتَ بيننا ومْضُ القرى والنهرِ والأرضِ الأسيرة . .

والمدى اتسعتْ دوائرُه، استراحتْ سَوْرَةُ الخَبَبِ،

استدارتْ فوق مهرتها تَخَطَّرُ واستدرْتُ لها،

البدايةُ صعبةٌ،

عَطَّفْتُ نحو صهيل مهرتها الشكيمةَ

ثم ألقيْتُ الدريئةَ ما ادَّرعْتُ، رميْتُ هُلْهَلَةَ الزُّرودِ

وبيضة الرأس، انكشفْتُ كما أريدُ،

لعبتُ بالسيف المراهق مثلما أتذكّر الصقْرَ

استمالاتِ النخيلِ ومثلما اتذكّر الريحَ الصبيَّةَ،

كنتُ مفتوح القميص غوايةً، شاغلْتُها،

العجبُ العجابُ يطير من تحت القميص،

الوشْمُ وضّاحُ الخرائطِ:

يطلع النخلُ الحروبُ الألفُ

بحرُ الروم يعلو فوق أطراف الحراب

شواهدُ الأسلاف تبرُق بالأهلّةِ والبكاءِ الصعبِ

أرضٌ شقّقَتْها شهوةُ المطرِ

الخيولُ طليقةٌ في الغيم.

أفتح رقصتي بَيْتًا وألعبُ

سيفُها يعلو ويهوي ثم يطعن

مرةً.. ثنيتن.. عشراً..

وانْفَلَتُّ، دوائرُ الموت القريبةُ والبعيدةُ كنتُ

أعبرُها وأرقص بين حدِّ السيف والموتِ الْتقاءِ

السيف بالسيفِ انهمارِ الكشْفِ والأسرارِ

دُرْتُ ودارت اشْتبكَتْ دوائرُنا،

فمَعْرَفَةٌ لمعْرِفَةٍ وأربعُ أعينٍ تتفَتَّحُ

الآفاق تحت عراكها السريِّ

ـ لَمْحَ البرقِ ـ كنتُ أطيحُ من يدها بمقبض

سيفها ارْتكضَ الحصانُ وراءَ مهرتها

جموعُ الصرخة انعقدتْ على وجه القبائل والملوكِ

ونحن في الصَّبَبِ الرباعيِّ انطلقْنا من وراءِ

السّورِ وانْفتحَ البراحُ لنا.

هما في الظل يختَضمان عشبَ الأرض

مَعْرَفَةً لمعْرِفَةٍ وحمحمةً لحمحمةٍ

ونحن نراود الخلق الموحَّدَ.

ـ : تَمَّت النِّعمة/

لكِ العروشُ العليَّةُ وأعمدةُ النهرِ

وخميرةُ اليابسة

«والْتَفَّت الساقُ بالساقِ»

استدارَ الزمانُ على أوَّله كيومٍ بَدَأَ الخلق،

فهل تلدين النهرَ وأرفعُ لك قُبَّةَ الفضاء

وأدْحو كرةَ الأرض ؟!

ـ : فلتبتدئْ زمنَكَ ومعجزةَ يديْكَ وآيةَ

وضْعِ الأسئلة في ألْسِنَة الأحياءِ والموتى

وعسَلِ الحيرةِ والْتفاتِ المعرِفة.

ـ : أثْخَنَتْني الجراحُ كما قد شَهِدْتِ وأثْقلني

الوشْمُ بالميراث والولاية

ـ: حذارِ.. فإن الأفقَ تعلوهُ غَبَرةٌ عالية..

وقبلَ تَلَفُّتي كان العَجاجُ وكانت اللغةُ المفتَّتَةُ

القبائلُ والملوكُ يزاحمون الأفق بالغضبِ

المجانيقِ الصهيلِ ورغوةِ الزّهو المخاتلِ . .

كان رعبُ الوحش شوكًا طالعًا تحت

الأظافر والدم

الأرضُ البَراحُ تفرُّ تحت حوافر الوحشيْن

ليلٌ أرْقَطٌ يلتفُّ أشجارًا تكاثَفُ عوْسجًا

عشبًا من الأشْفار والخوف المجنحِ

تطلع الهُولاتُ

ـ : كم شمسًا تقلَّبت السماءُ بها ونحن

نشقُّ هذا الليلَ ؟!

«صمتٌ مثقل بالرَّعْدِ والصرخات ينطق بيننا»

شمسٌ مفاجئةٌ تفَتّحُ بابها والأرضُ هادئةُ الولادة،

ليس من أحدٍ سوايَ.

«الموتُ أخطأني وأخْطئُه؟!»

الغيومُ ثقيلةٌ والهوَّةُ اتّسعتْ وقام بها عمودُ الصبح

«موتًا تستريحُ به . . الملوك قَضَوْا

وبُعثرت القبائلُ تحت أعلام الطَّواطمِ والطوائفِ»

فوق وجهي يسقط الطابوقُ والطميُ المفتَّتُ،

مرمرُ الأبهاء يُوصَدُ لحظةَ الخلقِ اشتباكِ

الحلم بالوحش الكلاميِّ،

الرخامُ يُعيدُسيرتَه:

الملوكُ على عروش الحفْرِ، صمتُ قبائلِ

الأحجارِ منتشرٌ وأفْق من ملاء الصخر

والأنصاب والأزلامِ.

ثلاثُ نهاياتٍ مُقترَحَة:

ـ ١ ـ

الرُّخامُ يُعيد سيرتَه:

الملوكُ على عروش الحفْر، صمتُ قبائلِ

الأحجارِ منتشرٌ وأفقٌ من ملاء الصخر

والأنصاب والأزلامِ،

يا امرأةً تنام على مَحَفَّتِها الفقيرةِ

أيُّ حرثٍ أنتِ ؟!

هل من أيِّما موت طلعتِ ؟!

الريحُ تلبس خاتَمَ الطير المحوِّم والكتابُ

تقلَّبَتْ صفحاتُه من تحت دوّاماتها

الوْجهُ المحيَّرُ في سموات الضحى والليل.

يا امرأةً أموتُ على محفَّتها الفقيرةِ

أيُّ نومٍ نَشَّرَتْه عليَّ سِعْلاةُ الكلامِ

وحوشُه النسخيَّةُ الكوفيَّةُ ؟!

اعْتَصِمي بوجه الحلم

واعتصمي بطوفان القصيدةِ

قَلِّبي عينيْكِ ما بين الضحى والليل:

هل هذا البنفسجُ والدمُ المخْفورُ من

عهد الطفولةِ راعفٌ في الأفْقِ ؟!

منشورٌ تقلِّبه الرياحُ على زجاج الصحو ؟!

أمْ فَزَعٌ مقيمٌ تحت فرْشتنا سيكتب بَيننا

عَقْدَ القران ولايةَ النسخيِّ والكوفيِّ طعمَ

الصمْغ والجلدِ القديمِ خلافةَ الإيقاعِ في

فَرَحِ الطفولة بالضحى والليل ؟!

ـ ٢ ـ

الرُّخامُ يعيد سيرتَه:

الملوكُ على عروش الحَفْرِ،

صمتُ قبائلِ الأحجار منتشرٌ وأفْقٌ من

مَلاءِ الصخر والأنصابِ والأزلامِ،

يا امرأةً تهدَّلَ شعرُها والتفَّ حِنّاءً

وخَشْخَشَ دفْؤه الليفيُّ والتفَّتْ على

عينيَّ غيمتُه، اشتهاؤكِ رجْفةُ الطمي المبللِ،

والمسافةُ بيننا أدْنى وأبعدُ من

دمِ الصرخات في الحِقْوين

«طلبتُكِ كما اشتهتْ نفسي وأشْرقت

الحدوسُ بين الإمكان والموت . »

العشائرُ أبدعتْ من موتها الحجريِّ إيلافًا ،

لإيلاف العشائر رحلتان :

الصيفَ : مُهْرُ دمٍ وقافلةٌ من

الغيْم الخفيفِ الأفْقُ شَظْيَةٌ مارجٍ يعلو

الرمالُ استْفَّها العصفُ الجزيزةُ صفصفٌ ،

دشداشةُ الزَّهْوِ الجهولِ ، السَّبي يأتي ،

والحرائرُ والإماءُ يجئن والخصيانُ ،

فقرٌ مزهرٌ ، والجوعُ شمسٌ فرفَرَتْ

كالذِّبح في دمها .

الشتاءَ : القهوةُ التبغُ المرايا البحرُ يُزْبِدُ

في الزجاجةِ والزجاجةُ كيمياءٌ للتَّلافيق

القديمةِ والجديدةِ ـ

ها هو شعْبٌ أغلقَتْ دونَه مرْحَمَةُ الحلم ،

له الدمعُ العريقُ ولكتُبِ الصُّفْرُ

له رائحةُ الصمغ واحتماءُ الوشمْ بالكوفيِّ والنسخيِّ

ومن تحت جلده تنْدَلعُ المخطوطاتُ وروائحُ

الزّنجار الأخضرِ وشجرُ الأقلام

وأنتِ بيني وبين الجميع

ساعةٌ للزّلزلة والعصْف المأكول

ولقمةُ المؤاخاة بين النار ونكهة الجلود القديمة

وقيامةُ الإيقاع وأهويةُ المحاريبِ والأفُق . .

- ٣ -

الملوكُ على عروش الحفْرِ،

صمتُ قبائلِ الأحجارِ منتشرٌ

وأفقٌ من ملاءِ الصخر والأنصاب والأزلام.

يا امرأة العشائر عَرَّشَ النخلُ

الرخاميُّ الطيورُ وشمْنَ طابوق السماءِ أهلَّةً

والتمَّت الصرخاتُ ساكنةً على جِصِّ الشِّفاه

بكيْتُ، والشَّعْرُ الغلاميُّ استراحتْ تحت ملْمسهِ

الأصابعُ والمسافةُ بيننا اتَّقَدَتْ

زجاجُ الصحو يَبْرُقُ بالبنفسج والدم

المخْفور من عهد الطفولة

هيِّئي طقسَ المقايَضَةِ المراهنةِ:

البنفسجُ . . كلٌّ واحدةٍ بصَقْرٍ دمٍ يفرٌّ من

الضلوع ويكتب الأفْقَ الأهلَّةَ

والغيومُ . . بكلٍّ واحدةٍ صراخٌ مُشْرَئبٌّ في

الجوارح للمسافاتِ

الخيولُ . . بكل ضربَةِ حافرٍ ملكٌ،

بحمحمة السُّفاد قبيلةٌ،

بطراوة الدمع العشائرُ،

بالندى وروائح الطمي المبلَّل . . كلُّ ما

ولدتْ نساءُ السَّبْيِ .

فارْتعدي . . الضحى يعْلو، البنفسجُ في

صراخ الريح والأفْقُ الزجاجةُ

والزجاجةُ بيننا اتَّقدتْ بصمت زواجِنا

السريٌّ صمتِ عراكنا السريَّ

فانْتبهي ـ . . البلادُ بأسْرِها انكشفتْ . .

١٩٧٧/٨/١٩

محنة هي القصيدة

«ولقد نرى تقلُّبَ وجهكَ في السماء»

غيمةٌ من رُقع الماءِ الفضاءِ الدُّخْنَةِ الباهتةِ

الْتفَّتْ على مِغزلِ شمسٍ ورياحٍ .

ورماديٌّ نسيجٌ فكَّكَتْ عُرْوَتَه حُدْوَةُ طيرٍ ليس

يَنْقَضُّ ولا يعلو ،

اهتراءاتٌ رقيقاتٌ تَبَعْثَرْنَ وفي هُدَّابِهِنَّ

اشْتبكَ الشوكُ المضيءِ القنفذُ السَاطعُ يرعى ،

عنكبوتٌ ذهبٌ يَقطُرُ منه الأرْجُوانُ .

الليلُ في آخرةِ السهل عصافيرُ يُنَفِّضنَ عن

الريش بقايا القطْرِ أضْغاثَ النباتات

هباءَ الذَّرِّ والغُبْشَةِ ، يُسلمْنَ المناقيرَ

إلى دفءِ الجناحين .

النهارُ التمُّ في أعْضائهِ واصّاعَدتْ شَيْبَتُه من

تحت حِنّاء الذُّرَى ،

الصخرةُ تأوي للنعاس الرَّطْبِ والهوَّةُ تثّاءَبُ

والقريةُ جَرْوٌ مرحٌ لاذَ به النومُ البعيدْ .

رجلٌ ، وامرأةٌ تفتح في عُرْوَةِ ثوبيْها الشَّفيفَيْنِ

بخورًا ولُبانًا زاكيًا ، تفتحُ في الطَّوْق هلالاً

خَفَقَ نهدين ، حفيفَ المخْملِ الناعمِ بالحُلْمةِ ،

والمرأةُ تمشي خضرةً معتمةً في

هوْدَجِ الليل ويمشي الرجلُ النائمُ يقظانَ ،

يدانِ انفتحتْ بينهما عَشْرُ عيونٍ يتواشَجْن مياهًا

وارْتعاشًا ودمًا تصهل فيه الخضرةُ الدافئةُ

القمْحُ رَبا للركبتينْ، اخْضَرَّت الطينةُ،

أوراقُ الشفاه اصَّاعدتْ عُلَّيْقَةً عطشى،

اقترابٌ، قُبْلةٌ توشكُ..

عُقْدُ الكَهْرَمانِ اسّاقطتْ حَبَّاتُه وانتثرتْ

تومِضُ ما بين النَّجيل الغضِّ تهوي

ظلمةً لامعةً بين الشقوقِ.

انفتحتْ ذاكرةُ الطير، جناحٌ دافئٌ ينْبُتُ ما

بين الحواسِّ الخمس، عشٌّ لجُثُوم الهدْأةِ

الخالقة الأرضُ وإغراءُ الشقوقِ السنبلُ،

الذاكرة انْصَبَّتْ بما تحمل من إرث وليلٍ

ذَوَبانِ الخلق في الخلقِ انشطارِ الخلقِ

في أعضائه .

أقعتْ وأقْعى

عيَّنا يلتقطان الكهرمانَ

اشْتَبَكَ الماءُ بلحم الأرض في

عشرِ لغاتِ حيَّةِ العُنّابِ

قمحٌ تنْطوي أعوادُه الهَشَّةُ ، قشٌّ ، وبَشَاشاتٌ

تكسَّرنَ ، وعرْشًا يُفْسِحُ الهيشُ ،

اشْرأبَّتْ بهجةُ الجوقةِ بالعشبِ

الأناشيدُ تناوَشْنَ

السماءُ اتسعتْ

والأنجمُ ازْدانتْ بما يرسمه الكحلُ عليها

ازدهرتْ عُلَّيْقَةُ القبلةِ ،

صَلْصالٌ ـ له النعمةُ والمجدُ ـ ارْتوى ،

تحت اللسان احتشدَ الطيرُ وكعكُ الأقرباءِ

السُّكَّرُ الذائبُ في ماء الشَّعيرِ،

احتشدتْ في نكْهة الحلم حروفُ المدِّ والقصْرِ

وصلصالٌ ـ له النعمةُ والمجدُ ـ على يابسة

العرْش وقوْس الأفْق والماءِ استوى

(يفتحُ جَبَرُوتُ الصخر مسالكَه

والحجارةُ تخرُّ صَعِقَةً

فهل لامسَتْها شفافيةُ اكْتساءِ العظام باللحم

أم تتنزَّلُ الدهشةُ من سمواتها العلى

في صيحة كالصاعقة المرسلة!!

الجسدان ينبعان وتتسعُ بهما حدودُ الأرض

وَيزَّحْزَحُ الأفق

حنانٌ كأنه الخوف

ورحمةٌ كأنها جيوشُ الشجر وخيولُ

القرابة الصاهلةِ في ذاكرة المسافر.

جسدان هما الأرضُ بما رحُبَتْ

وأرضٌ هي المسافةُ المقدَّسَةُ بين

العبارة والعبارة

إقامةٌ في القول هي السَّفَرُ على

أطْواف الذاكرة العالقةِ بجريان النهر

ودوَران الريح

والمندفعةِ بين جزُر الرغبة القاسية في

أن يُكتَشفَ المكْتَشَفَ

وفي الامتلاء بالجرأة المتوهِّجة على قولِ

ما قيلَ مجدَّدا

وضَرْبِ الخيمةِ في متردَّمِ القصيدةِ

وباديةِ الحداء . .)

نجمةٌ الصبح على وَشْكِ الطلوع/ بين ماءيْن ،

السحابُ الأصْهَبُ الأشْهبُ أقدامٌ من

السعي الهيوليِّ على وجه المياه/ خطوةٌ

هائلةُ الوجْهةِ

ماءٌ كلُّ شيءٍ

كلُّ شيءٍ ليس ماءً ،

جسدُ الأرض فتوقٌ رخْوةٌ ينهمر السعيُ

الهيوليُّ عليها بالسحاب الأشهب الأصهب ،

قطعانٌ توالي سيرَها المحتشدَ الذائبَ في

غَرِينها الريحُ على وجه المياه/ وجهةٌ هائلةُ الخطوة:

كانت رقصةُ الريح دُوَارًا قُلَّبًا يربط

بين الأفق والطين،

فضاءاتُ الرماديِّ النسيجِ انفسحتْ

يعبُرها وهْجُ الإضاءاتِ،

أنارٌ أفرعٌ؟!

أم غابةٌ من كل زوجين؟!

وهل هذا الفضاءُ/ سيرةٌ للشجر المقبلِ،

مرمىً لرشاقات النِّبالِ، الصيحةُ المرسلةُ

الرَّجْع وإيذانٌ بوقتِ الفتْح؟! هل

هذا الفضاءُ/ قبةُ الرحمة بالخلق أم

الأمةُ قوسٌ ودمٌ ينزف من

أجْوازه مدًا وجَزْرًا، شهقةٌ

سوف تكون الشهداءْ

أمةٌ مستورةٌ هذا الفضاءُ القبةُ ؟!

الأرضُ الخلاءْ/ خطوةٌ في الفلَك

الدائرِ والنارُ المواقيتُ؟!

كلام تحته تَذّاوبُ الأنجمُ والشمسُ

وأمْداءُ الجلاميدِ ولا يحمله غيرُ القصيدة ؟

رجلٌ، وامرأةٌ تفتح في الطَّوْق هلالَ الوجع

الأخضر، في عُرْوة ثوبيْها الشفيفين الرضاعا

بَخُورَ اللبن الحيِّ حفيفَ المخْمل الناعم بالإرث

وبالوارث

تمشي خضرةً مثقلةَ الخطوة بالوقت وتنْأى

وهو يمشي مثْقَل الوقتِ بفوضى الإحتمالات

اشتباكِ الموتِ بالقافيةِ الصعبة والماءِ

وينأى

والمدى بينهما متَّسَعُ الفقْر اكتمالاتُ التواريخ

المدى أسئلةُ الأهل الذين ابتدءُوا

ثم انتَهَوا كي يبدءُوا

هل أحدٌ يعرفُهم فيه وهل من أحدٍ يعرفه فيهم

وهل من أحدٍ يسمع ماءً نازفًا في

طبقات الذاكرة

ليس ماءً كلُّ شيء

كلُّ شيءٍ نبْعُ ماءْ . .

١٩٧٧/١٠/١٤

أوّلُ الحلم آخِرُ الحلم

زرقةُ الشمس، احمرارُ الأفُق الأخضر، بحرٌ

من زجاج الليلِ

ـ : من أنتَ، وماذا يكتبُ البرقُ على

وجه القراءات!! انتظرْ.

حجرٌ يفتح بيتًا ودمٌ تأخذه الرّعْدةُ

أهدابي عليها من رماد المطرِ الغامضِ

ثلجٌ من يدي اسّاقطَ.

ـ : هل يَزّحْزِحُ الأفْق إذا أنْطَقَتِ الرّعدةُ

أحجارَك، هل من قدميْكَ امتدَّ نسلٌ وسبيلْ؟!

حجرٌ يُصغي.

وفي الصمت الثقيلْ

يكتب البرقُ على هام النخيلْ.

حجرٌ يُصغي..

وريحٌ صَرْصَرٌ تَقْلبُ جفنَ الأفْق،

هذي صُرَّةُ الأسماء ملأى باشتباك

الشَّبقَ الخالقِ بالموتِ،

صريرُ الدَّبَق الدافئ يعلو،

غَلَيانٌ طالعٌ

تنْعقدُ الغيمةُ.

بحرٌ من زجاج الليل ينشقُّ وبابُ السفرِ

الصعبِ النبيلْ

تفتح الرعدةُ مصْراعيْه

ـ: ثلجٌ أم دمٌ يغْلي!!

انتظرْ

شهقةٌ للموت تعلو أم صهيلْ

أم هما ضربةُ برقٍ طائرٍ !!

فلْتنتظرْ.

(يَمْزُجُ ماءُ الظلمة الحي

فما سؤالكُ عن ثلج الجمَد وأنتَ مقيمٌ

في عرْش الجمرةِ الحيَّة،

وما سؤالُك عن النار وأنتَ يقْظانُ

النومِ في إجابات الجمَدْ !!

وأوْقفني،

أقْرأني أني الجمعُ بينهما والخروج منهما

ثم أقرأني أني علمُ أسئلةِ النوم.)

حجرٌ يسكنه البحرُ وبحرٌ من زجاج الليل

كانا يُصغيانْ

ـ : هل بلادٌ هذه الخطوةُ في البحر، كتابٌ

هذه الريحُ، الحجرْ/

أمةٌ من أم الماء الذي يمرُج في القاعِ !!

انتظرْ.

حمأ رخوٌ ودفءٌ يابسٌ هذا الغِراءُ اللّزِجُ السائلُ

كالدهن المخاطيِّ وهذا العفن المزْهرُ لحمٌ ناغلٌ

رجرجةُ الدفءِ الظلاميِّ انزلاقٌ مرعبُ المسِّ

ملاساتُ صديدٍ رغوةٌ معتمةٌ في جثةٍ تحت

جحيم الشمس هذي غابةٌ من عطن الجيفة لحمٌ

زنخُ الزُّهْمَةِ هل هذا سِفادٌ من طقوس الأرض

والبحرِ سفادٌ في زجاج الليل إذ يسكنُه البحر !!

انتظرْ،

واقرأ خبوطَ العَلَقِ الدافئِ واسمعْ.

لستُ بالقارئ، أغْفو في كوابيس الكتابات.

انتظرْ. . واحملْ على كفِّكَ شمسًا للقراءة.

(تغسلُ الشمسُ أقدامَها في عينِ حَمِئةٍ

هذا وضوؤها قبل قراءة الفضاءِ والبسيطةِ

والقراءةُ نارُها الدائمة.)

حجرٌ يفتح لي بيتَ الفضاءْ

رعدتي تسكنه دفْئًا ونجمًا لقِرَى الضيفِ،

دمي يكسرُ أغلالَ الحواسِّ الخمسِ

يعطيها خُطى العشب وقاماتِ الشجرْ

فوق أهدابي الطويلات رمادُ المطر الغامضِ يمحو

رؤيةً يكتبُ نهراً من مَرَائي الأرضِ والبحر،

صراخٌ أخضرٌ يطلعُ من قلبي هدوءًا رحمةً عاليةً

يلبسها الطيرُ،

السمواتُ تباعدْن نكشّفْن. الكلامْ/

أمْ من صُرَّة الأسماءِ والأسماءُ ملأى

باشتباكِ الشبقِ الخالقِ بالموتِ. الكلامْ/

أرأيتَ الفقراءَ المقبلين

من دم البحر وطَمْثِ العلق الدافئ؟!

فاسجدْ
ترابُ الينابيع يحمل
تاريخَها وصليل مَجازاتها،
مُدُنٌ تركتْ صوتَها وهْيَ
تُولدُ، والريحُ كانت قماطَ
البدايةِ رفرفةَ الحلم في
راية الكلمات المضيئة،
يحملُ ما تركتْه استعاراتُها
فسحةً لاندهاش القراءات
والفتحِ مملوءةً بالقباب
البريدِ المسافرِ . .
فاسجدْ

واقتربْ
إنه الطبقاتُ من الورَق
الإنحناءُ المفاجئُ في النقش.
تمنمةٌ ليس تكرارُها غيرَ أنَّ
القبائل تزرع أنسابَها الملكيةَ
في الوشْم، أنَّ الذي
جاءَ يأتي . .
اقتربْ . .
وألْقِ دلاءَك
لا تُلْقِها بين أيِّ الدلاءِ،
اقتربْ سفراً، إنها
الطبقاتُ من الورق
انكسرَ النقْش منتشراً
في فضاءِ اكتمالاتهِ.

لوجهكَ غربةٌ هذا الترابِ،
لعينيك برْقُ البساتين في
آخر الأفق والأرضِ.
هل أمةٌ تتنفّس ما بين
وجهكَ والأرضِ؟!
هذا ترابُ الينابيع . .
هذا صهيلُ مجازاته
مدنٌ تتفتحً فيها القراءاتُ
تعلو السمواتُ
بيتُ الفضاءِ انفساحُ القراءةِ
للشمسِ والشمسُ تكتب
وقتًا وتمحو وتثْبتُ

طبقاتٌ من الورق
انكسرتْ والعيونُ تفَتَّحُ،
ألْقِ دلاءَكَ بين الدلاء،
اغتسلْ، لم يحاصرْكَ غيرُكَ،
فاخرجْ عليهم لتدخل أحلامَهم
فالقبائلُ وقتُكَ.
هذي هي الطبقاتُ من
الورقِ انكسرتْ والعيونُ
تفَجَّرْنَ تحت قراءةِ قلبكَ.

تهْوِي وتعلو المدائنُ ما وقتٌ هو السلَّمُ الدائريُّ
بين وقتٍ ووقتٍ المرابطُ بين الكلام
وتهوي وتعلو. وبين الكلام الخطى يَتَفَتَّحنَ،
قلْ،
لوجهكَ هذا الترابُ واقتربْ.
المباغتُ.
ما بين وجهك والأرضِ
حلمٌ لوجهكَ والأرضِ
فاسجدْ
هل تراهم يسجدون الآن في رقصة عشق دموي؟!
إنهم يقتربون
فاقرأ الماء انتماءَ الشجر الأخضر للفقر الصريح
وانتسب للشجر الأخضر والفقر الصريح
إنهم يقتربون الآن. . .
فاسجد واقترب. .

١٩٧٧/٥/٧

فاصِلة إيقاعات النمل

تعاشيق

شمسٌ تميلُ،

وسِرب الطيرِ منْفَرِطٌ ومنعقدُ،

والقمحُ من ذهبِ الأضواءِ يتّقدُ

يأيّها الولدُ

في عنكبوتِ الشمسِ ـ رأدَ ضحىً ـ

عيناكَ من قَبَسٍ والقلبُ يَنْفَئدُ

فاتْرُكْ لنخلتكَ الفَرْعاء ما تجدُ

من خُضرة مَعْجونَة بالطَلْع لا تَلدُ

أو غيمة قد بَدَّدَ الزَّجّاجُ غُرَّتَها

ما بين أقواسِ الزجاجِ الصلب لا ماءٌ ولا زَبدُ

والعشبُ بعضُ سَوافٍ من ذَرُورِ اللونِ يَنْثرُهَا

عصفٌ وأزمنةٌ،

والوجهُ مشتعلٌ، والطينُ لا يَعِدُ

والخيلُ صافنةُ الأشكال ضائعةٌ،

والدّراعونَ هباءُ الذَّرِّ،

لا رمحٌ ولا زَرَدُ

اخلعْ خطاكَ . . فهذي لوحةٌ تعشقُها جَمَدُ

خمسونَ من زَنْك وقَصْدير

أمِ العمرِ الذي ولَّى

أمِ البَدَدُ ! !

خمسونَ أم سَعَفٌ يَذْوي

أم الجسدُ

أمِ رِمةٌ بالشيبِ ترتعدُ ! !

اهبطْ شظايا صرخةٍ شُطَب

واخطفْ فتاتَكَ من بين الشخوصِ

ولا تَحلُلْ جديلَتَها . .

حنّاؤُها الرَّصَدُ

والسحرُ نفثٌ من يد الزَّجّاجِ طَلْسَمَهُ

في نقطة من عنبرٍ

ـ والفنُّ أرَّجَها ـ

فاحلُلْ بعشقك ما بالسحر ينعقدُ

واركضْ بها في الأرض، أضرِمْ في خرائبها

الأشعارَ، وأكْبُرْ،

وابلغا الخمسين فى تعشيقة

زجَّاجُها خمسونَكَ الأبدُ..

١٩٩١/٢/١١

اصْطِلاءُ النشيد

رشفةٌ من قهوةِ الفجرِ،

ورمحٌ من ضرامِ البرق في مَرْشَفِ فنجانٍ،

وجمرٌ زفرةٌ تخبو يُغَطِّيها الرمادْ

غفوةٌ بارقةُ الخطْفَة ترمي الرأس بين الكتفين.

رشفةٌ أخرى..

ووجهُ الفجر ينحلُّ:

غرابٌ من دخان الكحل يعلو

ثم يهوي من مدى الشرق إلى الغربِ،

بأطراف جناحيه الدمُ الساطعُ

والنارُ وعهْنُ الذهب المضفورِ بالزرقة والفضةِ،

مهمازٌ صَدِيءٌ وبقايا زَرَدٍ منّهدلٍ في صمته،

سرجٌ وأوْتادٌ ونصلٌ ضائعُ المقْبضِ،

جمرٌ زفرةٌ تخبو يغطيها الرمادْ.

رشفةٌ أخرى . .

وريقُ البنِّ منسوجٌ بأنفاسِ أبي

المُدْلجِ في النومِ الأخيرْ

وهو في إشراقةِ الحَيْرة . .

ألْقى جسدَ السعي ،

ارتخَتْ أعضاؤهُ فوق سرير السَّنْطِ والجُمَّيزْ ،

ألقى من يدين ارْتخَتا مفتاحَ أهراءِ من

الرغبة والخوف ، الْتَوَتْ في قدميه سبلُ الوحشة

والركضِ المدَمَّى ، ارتعشتْ في ركبتيه سكْرةُ النَّزْعِ

وأهواءُ دم يخبو وطينٍ يُستعادْ .

آه من آخر ما يرجُفُ في الروح من العشق ،

اغتسالَ النصل ما بين لحاء الشجر الرَّطْبِ ،

أنينِ البلطة الصلبِ بأصلاب الجذوعِ ،

الشهقةِ الأولى ،

ووجهِ امرأة يفتح في القلب مغاليقَ البلادْ !!

(أشدُّ على مهرةَ النشيد سرج المطالع

والافتتاحيات:

غَزَلٌ هو القطيفةُ والحريرُ المنمنَمُ ووَشْيُ

الدراهمِ الذهبيةِ وورودِ الصباحات الساطعة.

صيدٌ وطِرادٌ للغزالات والنسورِ هما ليونَةُ

العراك الشبقيِّ مع الأوزان وقوافي

الطبولِ البعيدة.

وإحكامُ المجازوالفاصلة

وإتمامُ النعمة بالحكمة وسيّار المثل.

مراث هي زحامُ الآفاق بمواكب الدم وبطائحِ

الشُهداء ودائرِ الثارات المؤرِّثَة

بكاءُ أطلالٍ هو وشمُ الدمع على هول

التدوير وانفراطِ المكان المنثور

مدائحُ نساجين لم يتركوا خيطًا من الغيم

والأفلاك وعروق السلالات والمصائر إلا

نسجوه في مُخرَّماتِ الغامض المنكشفِ
وسجّادات الحمَّى والحميَّة .
أهاجٍ كطعم السمِّ . . مُرٌّ صدورُها
وأعجازُها الخُطْبان بين الغلاصمِ .)

مهرةٌ من قَصَبِ النايات والحلمِ ،
وغيمُ أشعلتْ أطرافَه هالةُ شمس من
وراء الأفق
والريحُ عزيفٌ فائرٌ من طينة الكون ،
الربابات امتدادُ الرمل . .
تعلو هالةُ الشمس فتعلو في الربابات
مواويلُ المغنين القدامى
وأبي يلتفُّ بالكتّان بعد الغُسْلِ والطّيبِ وحنّاء الحُنوطِ ،
الجوقةُ اصطفَّتْ . . وللمهرة ترجيع الصهيلْ
أيها الشعر الذي يَقْطُرُ بالطَّلِّ وبالدمع . . تَهَيّأ

أيها الشاعرُ في الموت الجليلْ

شُدَّ أوتاركَ وانفخْ دَمَكَ الملهمَ في الناي،

اتَّقدْ، واعصفْ بأبواقك عصف الماء في الطوفان،

جَلجلْ بسلالات قواف من رميمِ الأهلِ،

ها أهلُك في الموتِ يخبُّونَ،

أبوكَ انكشفتْ عن نومه أقْمطَةُ الفجرِ

وعن خطوته البوابةُ انْشَقَّتْ،

وللخطوة إيقاعُ الطبولْ

آه ياوجه أبي الميت !!

هذي مهرةٌ صافنةُ الإنشادِ في الغيب . .

فلا تَعْلكُ إلا صَبْوةَ الشعر ومصْفودَ الغناءْ

قمْ إلى صهوتها وابدأ غيابَكْ

ياأبي . . والبسْ على أكفانك الخضر حديدَ

الزَّرَد الذاهلِ والبسْ

شكَّةَ الصيد الإلهيِّ

اتكئْ في لحظة الدفن على رمحك واخرجْ
بين صفين من الموتى وبعثرْ من هدايا عرسكَ
الفضةَ والكعكَ
اضطجعْ في سرج أعراسك واسمعْ
من تلاقين الصهيلْ
آه يا وجه أبي الميت!!
صبحٌ في احتفاليات موتٍ كلما انْفَضَّتْ أعيدَتْ
مَسْرَدًا حيّا؟! أم «الضُّرَّابَةُ»
امتدّتْ فجميزٌ وسنطٌ يستعيدان الفصولْ
فهما من خشب اللحظة إعْوالُ مواويلٍ يطولْ؟!
أمْ هما من رجفة القافية المُفْتَتَحُ الهائمُ في قول
الذهولْ؟!

كان وجهُ الفجر ينحلُّ ويَذَّاوَبُ في هالة شمسٍ أوشكتْ
وارْفَضَّ معراجُ شراراتٍ

وكانت مهرةُ الإنشادِ تعلو

وأبي يعلو على صهوتها

ظلَّينِ في مَسْرى فضاء الروحِ

كانتْ نجمةُ الصبح على وشْك الأفولْ

وأنا من خطفة الرؤيةِ والرؤيا تلقفتُ حصى

الروح وقَلَّبْتُ دمي

زفرةَ وجْدِ جمرةٍ تخبو

يغطيها الرمادْ . .

رملة الأنجب

١٩٩١/١٠/٣١

تحــــــُـلات

خالٌ على الخدّ مكحولٌ، بومضِ شظايا الروحِ ينتفضُ

نجمًا بأفق دمٍ صَحْوِ

يُراعفُه عشقٌ سحائبهُ

ـ بين التذكر والنسيان ـ

تفتح ماءَ العمر من لجج الإيقاعِ،

تحت وجيب القلب تَنْقبَضُ

والموجُ عينُ فلاة رَقْرَقَتْ ظمأً،

والبيدُ بين ضلوعي سبسبٌ

بسراب الرِّيِّ تُنْتَبَضُ

ما قُبلةٌ نَطَقَتْ إلا بجمرةِ وجْدٍ،

ليس من طُلَلٍ تحت الضفائر إلا لفْحةٌ

بشواظ الشعر تُرْتَمَضُ

بين الجوارحِ والعُرْي المقدسِ.

هل هذا الرخامُ دمٌ تغلي هواجسُهُ

أم هذه دمَنٌ تَلْتَمُّ تحت يد النحات في حُرَقِ التكوين

أم مدنٌ أخفتْ سَلائبَ موتاها إلى زمنٍ
مرموزُه الجسدُ العريانُ
أم ندمٌ تعْوي خوالجُ عار في نعومته
أم رعدةٌ بجنون الكشف والشبق الموتورِ
عاصفةٌ ترنو وتَغْتمضُ !!

كانتْ بمشْتَبَكِ الأنفاس حمحمةٌ،
كانتْ غزالةُ شكٍّ فاتن ومضَتْ بين
الخرائب تَخْفَى ثم تعترضُ
قد أتْلَعَتْ ورمتْ وهْمَ الخَبال بصيادِ الظنون
فلا ينسلُّ من شَرَكٍ إلا إلى شرك :

شمسٌ تبعثر ومْضَ الكحل أم ديَمٌ تَفْتَرُّ في
صخبَ الإيقاعِ أم زَهَرٌ يكْتَمُّ في
عنبِ النهدينِ أم جسدٌ هذي المتاهةُ !!

كانَ السرُّ مُخْتَتِلاً يلْتَمُّ في عُقَدِ الأهواء نَسْجَ دمٍ
باللمسِ يُنْتَقَضُ
والخلقُ ـ أولَّ خَفْقِ الطين فى ظُلَمِ التكوينِ ـ مُرْتَجَعٌ
يَنْقَدُّ من فَلَذِ الأشعارِ قافيةً من بعد قافية حتى
امتلاء ظلام الغَمْرِ بالنظر المحْضِ المحدِّقِ في
مَحْضِ القصيدةِ.

كان الصوفُ والزَّغَبُ المكْنونُ ذاريةً تذْرو
ـ من الشبق الموتور ـ
وَقْدَ دَمٍ ينحلُّ مَحْضَ رُغَاء من حنين لبونٍ
في مدى الظمأ الوحشيِّ ترتكضُ
والإثْمدُ انْتَثَرتْ بين الجفون مرايا فحْمه
أفقًا يمتدُّ فوق شظايا قبلة رَوِيَتْ
فانحلَّ من عسل الأهواء فيضُ رؤىً
تهويلُها بمراقي الروح قافلةٌ

ـ بعد الفتوح وبعد الحجِّ ـ ضائعةٌ بين

المفاوزِ تعلو ثم تنخفضُ

حتى إذا اتسعتْ بالرمل ذاكرةُ الفوضى وهَبَّ

رفاتُ الأهل وانتشرتْ نُؤْيُ المضارب

والْتَمَّ الشتاتُ رعاةً يشْحذون رُدَيْنيَّاتِهمْ غضبًا ـ

أهْوى الكثيبُ على الكفين رَجْرَجَةً

واسْتَوْفَزَ العنبُ المسْوسُ في الشفة الظمأى

وفاحَ عَرارُ الريقِ

والتمعتْ بين السباسب أسرابُ الظِّباء .

وكان السرُّ مختتلاً في شهقة المطر الكونيِّ ينتفضُ . .

القــاهــرة

١٩٩٢/١/٢٦

اكتمِلْ ذبيحاً

كسَفُ الظلمة والعصف كتابٌ من دم الشاهد

إذْ تَسْفي به الريحُ وتعلو في سماء القول

والصرخةِ قبل الأبجدياتِ،

وتذرو شجرَ الأقلام بين الأبحر السبعة من

حبر الظلامْ

هكذا مُرْتَجَعُ الطين إلى مقْدوره قبل الكلامْ

هكذا مرتجع الحرف إلى ظلمته الأولى

فلا الشاهدُ يُسْتَبْقى ولا يَبْقى شهيدٌ،

كان ما كان احتمالاً، لم يكن إلا ظلامٌ صبْوةٌ،

كانت بغايا القول في الأسواق،

فاستَبْدِلْ قراءاتِكَ في ذاكرة المحوِ،

استمعْ - يأيها الراوي - إلى

زلزلة الرَّجْعِ وتأويلِ الكلامْ:

-١-

وقف الشاهدُ فى أبّهة السوق وحيدًا،

كان طفلاً فرَّ من قافلة البدو التي تضرب في

ذاكرة الرمل المقفّى وانْبجاس الدم والثأر وفوضى

الرَّجَزِ الهائم في هَيْنَمةِ اللهجة والخوف،

وحيدًا كان في أبهة الختْل وطقس الحَلفِ الكاذب

مابين

خئون يعرض الصيدَ ولصٌّ يشتري بالرعبِ،

شحّاذون في الساحة، أضواءُ دمٍ من سالف القتل،

سبايا، جوهرٌ من أعين الموتى، عظَامٌ بَلِيَتْ في

قبضة النخّاس، هَرْجٌ، ودخانٌ قَسْطلانيٌّ على

صفحته يشتبك البرقُ وتهوي كسفُ الظلمة

والعصف، ومدّاحون يَحْثُونَ على وَقْع الدفوفْ

حاصبًا من مَرثياتِ المدنِ المخلوعةِ الأبوابِ والمرمرِ،

طيرٌ من شظايا الجمر والفولاذ يَهْوي من تعاشيق
السقوفْ
ينزوي الشاهدُ ما بين فتوق الرجز المضْغَةِ (هل
مُسْتَفْعِلُنْ
كامنةٌ بين قَليبِ الروح والآفاق أم يكمنُ
في مستفعلن ماءُ السلالات ومجدُ الفتح ـ
والوقتُ فضاءٌ دامسٌ بين جحيمين :
رفاتِ الأهل ـ صيدِ الغرباءْ
للقَطا والنوّقِ والآرامِ ! !)

قَلِّبْ أيها الشاهدُ عينيكَ :
بهذا الصيدِ منْ قايَضَ مَنْ ! !
لا ذهبُ التجار أو قَيءْ المرابين ولا
سحرُ الأرقّاءِ بفيض الخرز اللامع يكفي ثمنًا
يَعْدلُ تسبيحَ القطا . .

للخيل والطير وللنوق مَرَاحٌ واسعٌ في سجع كهانكَ

أو في الرجز البازغ والنَّفْثِ الهَيولىِّ بترجيع الحُداءْ

أنتَ في ظلمة غَمْرٍ مُسْتعاد، فابتدئْ، قد أزِفَ الشعرُ،

وأرْجِعْ بصرَ الحيرةِ ما بين الجحيمين،

وأطْلِقْ فزِعَ الصرخةَ من وشْمِ بلاد ورمادْ

يَتَّبِعْكَ الصيدُ من طير ووحش وقواف،

هَيِّجِ المعْجمَ وارصُدْ وترصدَّ مُرْسَلَ الغيمة والقطرِ،

دَياميمُ العراءْ

جسدٌ منكتمُ الصبوة، قاعٌ حَفَّه من غُلمة الخلْق أراكٌ

وغضًا يَلْتَفُّ بالأعشاب والسِّدْر، غُرُودٌ ناهدٌ،

أنصابُ صخرٍ ونتوءاتُ دمٍ من حجر الشهوة،

هذا شبقُ الكون تَعرَّى، فاحْدُ قطعان اشتهاءاتكَ

واخرجْ من فتوق الرجز الغُفْل،

وخذْ من إرْثكَ الداثرِ فَتْلَ الليف واعقُدْ

من حبالاتكَ أشْراك الغوايات وثَبِّتْ وتدَ

الخيمةِ، وافتحْ للصَّبا بابَ النشيدْ

واستمعْ:

أيُّكُما الشاهدْ، من كان الشهيدْ!!

هل تُرى كنتَ وحيداً أم دمُ الأسلاف معقودٌ على

نُطْفته في عُقدة الليفِ

وهل كان الغناءْ

أمةً سيقتْ أمام العصف حتى احتَشَدَتْ في صرخة المشْهَد؟!

أمْ أنتَ احْتمالاتُكَ:

موقوتٌ وبَدْءٌ خالدُ الرهبةِ!!

أمْ أنتَ اكْتمالاتُكَ:

في الرمل وجودُ الرمل..

صرْفٌ من صريح الفقر لا يُشرى ولا يُبْتاعُ،

سافٍ.. ليس تستعبدُه في بَدَد الريح يدُ الرغبةِ،

دَوَّامٌ عَصُوفٌ.. حُرَّةٌ حباتُه بين المدارات،

جميعٌ مكتفٍ، فردٌ ذَرُوريٌّ، قديمٌ قدمَ الدهرِ،
ومن أحواله ينْجدلُ الفجرُ الجديدْ!
فابتعدْ ـ لا هربًا فى كذبِ الظنِّ ـ
انْقطِعْ. . أضْعَفَ ما كنتَ وأضْوَى بَدْؤُكَ
المكتملُ الخطوةِ واللهجةِ،
أقوى ما يكونُ القتلُ والقاتلُ عَوْدٌ أبديٌّ
لاشتهاء الأرض ـ ما بين المحيطين
وبحر الرومِ ـ للمذبحة البكْرِ،
وقَلِّبْ ـ أيها الشاهدُ ـ عينيكَ، وزَحْزِحْ لغةَ الرملِ
وثَبِّتْ وتدَ الخيمة في رمل الكلامْ. .

-٢-

كَفٌّ ظلٌّ كانت النخلةُ،

مَوْماةُ سرابٍ في ابْيضاضِ الشمس،

رَحْلٌ، ورحًى تَسْتفُّ وحْشَ الظمأ المنقضِّ بالطير،

جرادٌ من شظايا الذهب الشفّافِ،

ها أنتَ، وهذا حُلُمٌ يَسْتَرْجِعُ الموتى

أم الموتى حصًى من حسرة الظنِّ وحشدٌ سيقومْ؟!

كيف والأهل غبارٌ لم يكنْ - لَمْلَمْتَ من

شاهدة المقبرة الكبرى خطوطَ المرمر المغسولِ بالدمعِ

وأسماءَ نجوعٍ وقرًى؟!

أم أنتَ في ساحة غيبٍ ذاهلٍ بالقيظ تستقبل تجارَ الأقاليم:

قَباطِيٌّ، حريرُ الموْصلِ، التفاحُ والفلفلُ، أجناسُ جوارٍ،

ميرَةٌ من كل زوجين، سلاحٌ مرهفٌ،

فيضُ كتاباتِ على الكاغدِ والرَّقِّ..

مقامُ الظلِّ في الخَيمة هذا أم غَوَاياتُ التخومْ

بَرِقتْ في خطْفةِ الحلم بما كانَ

أم الخَيمةُ ميثاقُ دمٍ محتشدِ الصبوة

منذورٍ لما سوف يدومْ؟!

- ٣ -

كائنٌ هذا الذي تنظرُ؟! أم هذا الذي تُبْصِرُ في النارِ،

وماءٌ من يقين اللمس هذي المجمرةْ؟!

وترابٌ قائمٌ منتظرٌ في زعفرانِ السَحَرَةْ

أم هبوبُ الريح في طلْع الكتاباتِ؟!

أهذا كائنٌ؟!

فانظرْ - إذنْ - وامسحْ بِشقَ الليل وجهَ

الفجر، أشعلْ في رمادِ الأنجُمِ المُنكدرةْ

شمسَ قُطعانكَ - هلْ غادرتَ من مُتَرَدَّمِ الأهوالِ؟! -

واخرجْ للندى والعشب،

أضيافُك في ضَحْوَةَ هذا الصبح يأتونَ،

ومنذورٌ لسانُ السَّطْوةِ الفُصحى لتُملي خطبةَ العيد

فَهَيِّئْ من ثَريد الضأنِ وامزُجْ لبنَ الناقة بالتمر المصَفَّى،

واملأ الرَّكْوَةَ بالجمر، اتَّكِئ، وانظرْ،

أهذا كائنٌ ! !

فافرشْ ـ إذنْ ـ أبسطةَ الرمل

وقَسِّمْ ظلَّ بيتِ الشَّعْرِ ساحاتٍ :

هنا يصطفُّ كهانٌ وعرَّافون ،

في ميمنة الظل النبيون وفي ميسرة الحشد مقامُ الشُهداءْ

ثَمَّ يصطفُّ ملوكُ الأرض مذْ كانت ومن خلفهمُ

الحراسُ والحاشيةُ ـ الحُجّابُ ـ أخلاطُ قيانٍ ومغنين

العبيدُ الشعراءْ

خلفكَ الأهلون من أسلافك الموتى نسيجٌ في فضاء

الشجرةْ

أغصنٌ في كتب النَّسَّابةِ امْتدَّتْ شباكًا

لاصطياد الغيبِ والأفلاك ،

قُدَّامَكَ أسلابُ ذوي الشوْكة والشكَّة مُذْ

سالَ دمٌ فوق أديم الأرض ، قُوادٌ ،

غَطَاريفُ قلاعٍ ورباطات ، سلاحٌ ليس يُحصى ،

مَدَدٌ من ساقَةٍ . .

هل كائنٌ هذا ! !

فقُمْ في ملأ الحشْدِ ـ إذنْ ـ وابدأ بلاغَ الرمل من قلبك ، أضيافُك يلتفُّونَ في ضَحْوَةِ هذا اليوم أسماعًا وأبصارًا ، لهم مما اشْتَهتْ أنفُسُهم ـ بعد جلالِ الموتِ ـ

هذى الأوجهُ الروَّاغةُ المنْبهرة

فابتَدئْ بالقَهوة المرَّةِ والصبر الجميلْ

وليكنْ إشراقُ عينيك مديحًا رائق النَّبْرَةِ للأرضِ

التي كانتْ وللموت الذي كان

وللخيمة والقَّفْرِ الجليلْ

ـ ٤ ـ

ها أنا . . لا درْعَ لي إلا الوليمةْ

ليس من مُلْك سوى ما خَلَّفَ الرحَّالةُ الماضون من

آثار خيلٍ وقصاعٍ وثريد حَجَّرَتْه الريحُ،

ما من وجهة ـ بعدُ ـ فقد جئتمْ ضيوفًا

والهدايا مُنجَزُ الماضي الذي ولّى

وما من خطوة إلا الإقامةْ

بينكمْ

أسمعُ ما يُلقِي الملوكُ ـ الوزراءُ ـ السفراءْ

ورجالُ الحرب والتجارُ من كل الأقاليم عن الأرض

التي كانتْ رخامًا ليِّنًا تنقشُه المهرةُ بالرقصِ

وعن أزمنة طالتْ بها الأدْهُرُ

كانت خطوتي ميزانَ إيقاعاتها، شالُ العمامةْ

ظَلَّلَ الأصقاعَ واستَنْسج من رِقَّته الأعلامَ فوق

المدن الكبرى وآخَى بين جوف البحر والمحرابِ،

أهْدابُ الغمامةْ

ريشةُ الله على أروقة المرمر، سرجٌ من سُرَى الليلِ،

جوادٌ باذخُ الزينةِ بالكوفيِّ والنسخيِّ يعْدو في

براح الكتب المخطوطةِ،

الآفاقُ والأرضُ على ميزان ما كنتُ به

أوصيتُ من عَقْدِ نكاحاتِ شعوبٍ

وانصهارات دمٍ في أول البهجة بالإنسانِ،

كانتْ عُقْدةُ الأمْشاجِ تَستَفتحُ معيارَ الأقانيمِ،

أمَا كنتُ؟!

وهل هذا الثرى في هَدْأة الوديان إلا

خطوتي في الموت أحقابا،

وهذي الريحُ في أشرعة البحر سوى نفْخة أرْغولي،

وهذا الصخرُ إلا أعظُمي؟!

ما أجملَ الأرضَ

وأبهى دِمَنَ الروحِ

وجَلّتْ هذه اللحظةُ في

مُشْتَبَكِ الأعرافِ بالبشرى!!

لكمْ مجدُ الإغارات وأسلابُ التواريخِ..

وَوَحْدي.. ليس لي درعٌ ولا مجدٌ

سوى عُرْيِ الوليمةْ

في عَراء الرمل والفَصْحى.. وهل غيرُ العَرَاءْ

منبرًا في ضَحْوَةِ العيد وأسماطَ بلاغٍ وثريدْ!!

أضْرِموا النارَ - إذنْ - في رَكْوة البهجة..

ولْيَعْلُ الدُّخانْ

ربما يأوي إلى خيمتيَ الطيرُ ووحشُ الصحراءْ

ربما يلتفتُ السابلةُ الموتى إلى موعدنا المضروب في يوم

القيامةْ

وأنا آخرُ حراس الرِّباطات على باب النشيدْ

أوَلَسْتُ الآنَ؟!

فَلْتَشْتَعِل النيرانُ في مجْمرة الدمعِ ـ إذنْ ـ ولْيتكلَّمْ

صاحبُ الحكمةِ أو فصلِ الخطابْ..

ـ٥ـ

عند باب الخان أرخَيْتُ اللّجامْ

وتركتُ السرجَ، ألقيتُ عن الوجه اللّثامْ

قلتُ: فَلْيَعْرِفْني.. ولأمشِ.. لا سيفٌ ولا

رمحٌ ولا دُرَّاعَةٌ من وبَرِ النوقِ،

وقلتُ: اخْطُبْ إلى أيِّ مليك بنتَهُ

تَسْتَكْمِل الأربعَ زيجاتٍ،

وسُقْتُ الأهلَ من خلفي قبيلاً فقبيلاً

ثم قَدَّمْتُهمو، فاستَعْرضِ الأعمامُ والأخوالُ

ما شاءوا من المحتَدِ والملْك.

ـ فَمَنْ تَطْلُبُ؟

ـ صُغْراهُنَّ..

ـ فلْتَبْقَ زمانًا بيننا

فانصرفَ الأهلُ..

وفي الليل أحاطَ الجندُ والأصْهارُ بي ،

شدُّوا إلى أعمدة القصْر وثاقي

ثم دارَ الطقسُ من حولي ، فهمْ أقنعةٌ تسقطُ ،

في كل يد كـــأسٌ من الرُّبِّ وطاسٌ مُلِئَتْ من عـــسل

الموْسِمِ ،

طافوا ، ثم صبُّوا ما بأيديهم على رأسي وأعضائي ،

وخَلَّوْا بين عينيَّ وبين الشمس حتى لا أنامْ

فَتَداعَتْ حشراتُ الأرضِ :

نملٌ مُرسَلُ الزَّحف قبيلاً فقبيلا ،

العظاءاتُ ، طرودُ النحلِ ، جرذانٌ ، وطيرٌ لاحمٌ ،

أبناء آوى ، البومُ ، دودٌ ، عُمْيُ حيْاتٍ ، هَوَامْ

أخرجتْ أثقالَها الأرضُ فهل من صرخةٍ تُسْمَعُ !!

أبصرتُ العظامْ

تتعرْى من فتوق اللحم ، تبيضُّ قليلاً ، ثم تَجْلُوها

يَدُ الشمسِ فيصْفو عاجُها ، فهي رخامٌ من رخامْ . .

- ٦ -

أنتَ لم تَسْتكْمِلِ البيعةَ فى أوَّل مسْراكَ،

وكنتَ اسْتَعْجَلَتْكَ الريحُ والغيمةُ بالبشرى فلم

تُحكِمْ مجازَ الصولجانْ

كم كتابًا من متون الرمل لم تقرأ!!

فلم تَستَألفِ المزْحَفَ والمكْمَنَ والمجثَمَ والمرْبضَ،

لم تعقدْ مواثيقَ المؤاخاةِ مع الشرْخِ أو الشدْخِ

أو الشقِّ أو الهوةِ،

لم تقرأ كتابَ الكون إلا لمحةً؟!

فاقْعُدْ، أقِمْ بيتَك في خطوتك الأولى ولاعبْ في

فضاء الخيمة البئرَ وما يَرْجُفُ والصِّلَّ وما يزْحَفُ

والجُرذَ وما يكْمُنُ والطيرَ وما يجثُمُ والوحشَ

وما

يربِضُ واقرأ لغةَ الجنِّ وما يُبْلِسُ والإنسِ وما

يَأنَسُ أو يُؤْنِسُ، واقرأ ما به تنتفضُ الأرضُ

ويعلو الفيضانْ . .

أنتَ في بيتكَ . . فاقعدْ مقْعدَ الرؤية والرؤيا،

أزِحْ في ركنك المعْتاد شقَّ الوبر الفوَّاحِ بالخُثْرةِ

والبوْلِ وروْثِ الشّاء والنوقِ،

اتكئْ، هذي زقاقُ الماء، خبزٌ من شعير القفْر،

من تحتك يمتدُّ ثفالٌ لرحى الصوَّانِ أو للدرعِ،

حَدِّقْ واكتملْ في الصمت، رَتِّقْ من سفين الذاكرةْ

ـ بصريح الحسِّ والرؤية ـ ماهَرَّأت الأجيالُ،

قد كان ويبقى الفيضُ من نبع المكانْ

هكذا دِرْعُك مَسْرُودٌ رميمٌ أمِ جاءتْ وراحتْ،

فأقمْ بيتَك في خطوتك الأولى

وأعْلنْ زينةَ العيدِ على ضحوة هذا المهرجانْ

- ٧ -

هكذا ـ يأيها السادةُ ـ لا أملك من

ذاكرة الحرب سوى شَعْشَعَة الأنْواء :

شمسٌ ترسم الوردةَ في صلصالها الكونيّ

أقواسًا وكرْمٌ من عناقيد النجومْ

لألأتْ أسماءَ موتي في التواريخِ ،

أضاءتْ سككَ الأوْبة من كَدْح التجاراتِ

وإبداعِ الدمِ الراصدِ للبحر وأضواء المناراتِ

وخاناتِ التخومْ

قلتُ فَلأعْصرْ لكم من عنب الذكرى . .

فهل أملكْ إلا أدَمَ الرَّقِّ وسجْعَ الأقدمينْ ! !

هل سوى جلد الذبيحةْ

ـ بعد أن ينصرفَ الجزارُ ـ زِقًا وخرائطْ

للسموات وللأرض ! !

إذنْ . . فَلْتكتَمِلْ بعد تمام الذبحِ . .
لا أوْسَعَ من جلد الذبيحةْ
لا ولا أبْلغَ من صمتِ الذبيحْ

القاهرة ـ فاس ـ رملة الأنجب

١٩٩٢/٣/١١

طـرديَّة

بِمُشْتَبَكٍ من بَداهاتِ دهشته كان يطلع

من طينه نَيِّئًا باحتشاد غرائزِه،

عتمةُ الليل كانت مشيمتَه،

بين أسنانه هَبْلةٌ من دماء البهيمة

والفجرُ يدنو برقش الندى والغصونْ

مشتْ آيةُ الليل حافيةً في ذرى الموج ، وانتثرتْ

فوق حصباءَ من صَدَفٍ ومحارٍ ورملٍ بلا آخرٍ،

وجهُه اخْضَلَّ بالظلمات الشفيفة،

برقٌ بعيدٌ يشقُّ الخطى في متون الخليقة،

عيناهُ من غَشْيَةِ الحيوان مُفَتَّحَةٌ في العمايات والرهبةِ،

البحرُ دمدمةٌ للغوايَات مبهمةٌ،

وهو يمسحُ دُهْنَ الفريسةِ عن شَفَتَيْه

ويَرْصدُ ما تُرسل الريحُ من شارة الصوتِ والصيْدِ،

تمتدُّ شطآنُ رمل بلا آخرٍ، صدفٌ ومحارٌ بلا عددٍ،

وعظامُ الهياكل والدَّرَقِ المتعَفِّنِ بين الجماجمِ،

والبحرُ يُلقي رميمَ أوابدِهِ موْجةً موجةً

كان فجرٌ يرفرف فى شُهْبَةِ الغيم والأرجوانْ

وينقشُ خطوتَه واتِّساعَ مـلامـحِـهِ بالطيـور الأوابد في

الأفْقِ،

عصفُ غناء وصيحةُ كونٍ يُفيقُ من الظلمات إلى

أوّلِ الخوفِ والصرخةِ البكْرِ فاندلعَتْ شهوةُ

الصيدِ وانْدفَقَتْ من بداهات دهشته أُلْفَةُ

الوحشِ والطير فابتدأ الركْضَ عريانَ مسْتوْحدًا

خلفَ أسرابها واندفاعاتِ قطعانها ومَسَابعِها

فاستضاءتْ مع الشمس صيحتهُ وخطاهُ،

وشَقَّتْ مرائي الخليقةِ . .

أسماؤُها انكشفتْ

واشتباكاتُ إيقاعها انفضحتْ . .

ليس يدري من الصيد ما يشتهي . . أيَّ أحبولةٍ أو فخاخٍ

وأيَّ الطرائد :

هذي التي تتقلَّبُ بين

السموات والأرض . . أمْ مَحْضَ أسمائها

وانْفلاتِ رشاقاتها ! !

خطوةٌ . . والصباح يقلِّب كفَّيه بين الندى والغصونْ

وينشـــر في ثَبَجِ الموج والرمل والملح عُـــرْيَ خطاهُ

الوسيعةِ . .

كل النفايات مكشوفةٌ فوق رملِ الشواطئِ . .

والبحرُ من أزل الدهر يعلو ويَرْتَدُّ ،

والكائنُ المنتشي بالضجيج ورَجْرَجَةِ العُنْفُوان يحدِّقُ :

هذا الحصانُ من الموج . . أيُّ الفخاخ تُخاتلُه

وهو يعصف فوق الذرى صَبَبًا وصهيلاً ! !

وهذا المدى أيُّ رمحٍ يشكُّ أضالعَهُ ! !

والسمواتُ والشمس في أيٍّ شصٍ وأيٍّ

شباك ستَرْجُفُ نازفةً بين كفَّيَّ!!

يعلو ضبابُ حِوار تَفَتَّحُ بين جِدالاته الروحُ،

ينْجرفُ الكونُ من راهنِ الحسِّ حتى

أقاصي التذكرِ والحلمِ..

ـ ١ ـ

مرتْ رياحٌ وهبتْ بلادٌ وأروقةٌ بُنِيَتْ وهَوَتْ
والمدائنُ مصْفودَةٌ في مقاوِدِ أشكالها
والخرائبُ زاهيةٌ . .
أنتَ ـ يأيها الشاعرُ المنتشي بالخرائبِ والذكريات ـ
وحيدٌ وجُمْجُمَةُ البحرِ قدْ فَغَرْتها الرياحُ على
الرمل وانتثرتْ طَمْطماتُ الدهور مُفَتَّتَةً
في اهتراء المحارات
تَعْقدُ أحبُولَةً من مجازات فُصْحاكَ
تنصبُ أفخاخَ شِعْرِكَ علَّ الطرائدَ تأتيكَ طَيِّعةً من
فجاج السموات والأرض بين انتظار وصمت .
قَـصِـيـدُكَ مُـحْـتَـدِمٌ في حطام المنارات والسُّـفن
المتفككةِ ، الوزنُ تفعيلةٌ من جنون الدم المستباحِ
وصلصالُ أشكاله من رُغام الهزائم . .

فاشحذْ أسنَّةَ صمتكَ حتى تمرَّ الطرائدُ

واقعدْ على مرْصدٍ من متونٍ مقدسة يكتبُ

البرقُ آياتها بالصواعق والنارِ يرسمُها

سمكًا وهياكلَ أحصنة ووعولٍ

وأحطابُكَ انتثرتْ والجُذاذاتُ من خشب الروح تَقْدمةٌ

للقرابين والصيدُ منفلتٌ في براح القصيدْ . .

ـ ٢ ـ

تَأَمَّلْ دَمي . . أيُّهذا النشيدْ

تأمل حطام الخراب المقفّى البهيَّ الجديدْ

ورمّم قوافيكَ بي وانتظرْ في مداخل شطآنك المبهماتِ

وأمواجك المرْسَلاتِ

وذَهِّبْ موازينَ صيْدكَ . .

بحرٌ وشاطئٌ رملٍ تكَدَّسُ بينهما جثثٌ وحصادُ شعوبٍ

ومجد قواقعَ من ذهبٍ

وصخورٌ مُنَمَّشَةٌ بالمعادن والعشبِ ،

جيرُ المحارات مخْضَوْضرٌ يتَحَلْزَنُ فيه وجيبُ الدَّوائرِ

من ذِكَرٍ وحكاياتِ فوضى ووَشْوَشَةِ الغابرينْ

ولا صيدَ لي ـ في صباح الخليقة هذا ـ سوى

غمغماتِ الدويِّ وثرثرةِ البحرِ . .

أيُّ المحاراتِ مقْدورةٌ لاكْتمال الأحاديث في
الروحِ،
أيُّ المحـارات منذورةٌ لافْـتكاك المواريث من
رَصـدِالصـمت والصَّـمَمِ المتـحَـجِّـرِ في رمم
الوارثينْ
وأيُّ المحارات مرصودةً لذهول التفجّعِ والدمعِ،
أيُّ المحارات مكنونةٌ تحت قشرتها صرخةٌ من
خرابِ حكيمٍ يجلجلُ أو صرخةٌ من دم يتشقَّق
في العشق أو صرخةُ الروح في الوجْدِ
أو صرخةُ المنشدينْ
ويأيهذا القصيدُ القديمُ الجديدْ
صباحُ الخليقة هذا تَدَاوَلَهُ الجَدْلُ والفَتْلُ . .
أرْخيْتُه للمحاراتِ أنشوطةً
ومَدَدْتُ الشواطئَ أحبولةً

واصطخابَ الأواذيِّ نَسْجَ شباك

ومَوَّهْتُ بين الخرائب أقنعةً للفخاخِ . .

فيأيهذا القصيدْ

كلانا يخاتلُ أخْيِلَةً . .

ـ ٣ ـ

أينا صيدُ هذي الظهيرة؟!
شمسٌ تُسَنِّنُ حربتَها في الجبينْ
ورملٌ يُجَرِّرُني في نداءاته
والمحاراتُ قَيْدَ الأصابعِ والسمعِ،
قَلَّبْتُهُنَّ على مسمعيَّ:
المجامعُ معقودةُ الحلقات على حكمة
الأقدمينْ
جدالاتُ رحالة وفلاسفة،
وعويلُ ممالكَ تفنى وهَزْجُ ممالكَ تعلو بكل اللغات،
طنينُ القراءات ينقضُ فاتحةً بعد فاتحةٍ والفتوحُ
تصلصلُ ما بين جغرافيا النفس والروحِ،
عَشَّابةٌ بَيْطَرِيّونَ أهلُ مخارق سابلةُ الطبِّ كتّابُ
أحْجِبة وأحاجٍ وقرّاءُ نَوْءٍ وبختٍ وحُذّاقُ

كيمياءَ رَصَّادَةٌ للطوالع مَسَّاحَةٌ لحدود
السموات والأرض حراسُ أقْنيَة وفصول
أراجيزُ أدعيةٍ وانشقاقاتِ رأيٍ وترصيعُ
ديباجةٍ وهوامشُ عَنْعَنَةٍ وشروحٍ،
فما أنتَ مَنْ أنتَ يأيها الحيوان المفتَّتُ
وَشْوَشَةً وكلامًا مخارجُه تتقطَّعُ بين
الهشاشات والخُلْفِ!!
من أنتَ يأيها الوحشُ؟!
لا صيدَ لي في ظهيرةِ هذا الجنونْ
سواكَ..

ـ ٤ ـ

على ظمأ ودم . .

وإهابُ الغزالة ـ زقُّ سقائي ـ بلا قطرة

يتدلَّى على كتفيَّ ،

وغَوْرٌ هي البئرُ ،

شمسُ أصيلٍ تُفَتِّتُ فخارَها الذهبيَّ وتذروهُ ،

أركض حتى أرى نبع ماء ،

أمدُّ إهابَ الغزالة في خُضرةِ الماء . .

أسمع طَقْطَقَةَ العظمِ

والروح ينفخُ أعضاءَها ، تستوي جسدًا

يَتَفلَّتُ من بين كفيَّ تاركةً نبضَها وسخونَتهَا ،

غَسَقٌ من بعيد وطائرُ برقٍ يخطّ هوامشهُ

ظمأ ودمٌ والغزالةُ بارقةٌ تَتَقَصَّفُ بين مسالك عشبٍ

وقَيْدَ الخطى غابةٌ وظلامٌ

فيأيُّهذا القصيدْ

لهذي الطريدة مَنْ غيرُ إيقاعكَ المنْتَشي

ببروق البدايات والوحي ؟!

فانصبْ فخاخَك واشحذْ أسنَّةَ صمتكَ

عَلَّ الطرائدَ تأتيك طَيِّعَةً

أيهُّذا القصيدْ . .

رملة الأنجب ــ ١

٤/١٥

دِرْعِيَّة مديح

تركتم دمي سَبْيًا . . فليس يُجيرُه
عدوٌّ يُداجَى أو صديقٌ يصاولُ

وحُمَّ قضاءُ الليل ظلمًا وظلمة
وقد حُبِكَتْ دون الفِرار المخاتلُ

فبِتُّ على ظنٍّ دمَائي تؤُجُّهُ
وتذروه في الريح البروقُ الصّواهلُ

يقلبني شك ويأسٌ مخامرٌ
وتنحتُ صلصالي الرَجومُ الهواطلُ

فَتَشْخَصُ هُولاتٌ من الرعب شُزِّرَتْ
ولُفَّتْ على الأعناق منها الجدائلُ

أموت وأحيا لحظةً بعد لحظة
وتصرخُ في لحمي الظُّبا والذّوابلُ

أهيِّئُ أكفاني وأصرخ ذاهلاً :
شربتَ سرابَ العمر فيما تحاولُ ! !

فكلُّ بلادٍ ترتضــيــهــا إقــامــةً

فـجـيـعـتُـهـا فـيـهـا، ومنهـا النوازلُ

هزائمُ جــلادينَ تزهـو سـجـونُهـم

وتعلو على هام العـبـيـد المقـاصلُ

فـــأيُّ رثاء يرتضـيــــه مُـــرَزَّأً

وأيُّ مـــديح تَرْتجـيـــه المزابُل !!

نزلنا إلى الأرض التي قــام دونَهــا

من الـثـــأر إرْزامٌ وهـامٌ مـــواثلُ

وآفـــاقُ أجـــداث وهول تَنَظَّرتْ

لوازبَ طين تـصْطفـيـــه القـوابلُ

فـيـبـدأ بَدْءُ الأَرضِ نارَ قـيـامـة

زفـيـفُ تُعَـاليـهـا البـروقُ الجـوائلُ

تضيءُ وتعلو ثم تَذْوي رعـــودُها

وتركضُ في العظْمِ الرمـيـمُ الزلازلُ

ويسْتَـفْتِحُ الهَـرْجَ النُّشُوريَّ نـافـخًـا
ببـوقـاته الـشـعـرُ الـغـويُّ المعـاطِلُ
فـتـعـرفُ مـا تبـغي وتنكرُ مـا ترى
وتسعى على هَوْل السراط القبائلُ
صـفـوفًـا من الموتى يَرُبُّ رفَـاتَهـا
وأكفانَهـا رجْعٌ من العصف شاملُ
فـتـهـوي أعـاليـهـا وتعلو وهادُها
وينطق مكظومٌ وتَبكي الثـواكلُ
فَـشُـدَّ بأوتار المدائح نَغْـمـةً
يرتِّلُهـا الدمعُ الحَـرُونُ المناضلُ

-١-

أيا جارتا . .

كنا من الرمل نطفةً

وقبضةَ جمرٍ في حديث مُرَجّمِ

ورؤيا سلالات من الشعر أوْقَدَتْ

بأوتادها الأسبابَ . . فالأفقُ ملْعَبٌ

يطير به صقرٌ من الطين والدَّمِ

يظلله بيتٌ من الكون شاسعُ

أليفُ الذُّرى بالضوءِ والريحِ ،

دافئٌ بمجهوله المجهولُ ،

والسرُّ ساطعُ

يخط خوافيه عُلُوَّ رَمِيَّةٍ من البرقِ

تعلو فى بهيمٍ مُرَقَّمِ

ويا جارتا . .

كنا من العشق قبلةً

تطاوَلَ في راووقها الدهرُ سكرةً وأرضَ

غوايات ودرعًا مُفاضَةً تَحَدّرُ

من جيلٍ لجيلٍ، أديمُها

صفائحُ مسبوكٍ من السعي ينتمي

لعرقِ عروق الأرض من عهد آدمِ

هي الدرعُ..

ليس الكونُ إلا مُنَمْنَمًا

من النقش والتصوير تُرغى رسومُه

وتُزْبدُ مخضوبًا من الوشي والصُّوَى:

طِباقُ سموات أضأن كواكبًا، وأنجمُ أفلاك

سَرَيْنَ، وقفرةٌ من الأرض يعلوهَا

نجيعُ الملاحمِ

تطيرُ شراراتُ السيوف تشقُّها

وتحفر في قلب الصعيد المدمَّمِ

فجاجًا لمن يسعى، وسحرًا لمن يرى،

ونبعَ مياهٍ من صفا الصخر فُجِّرتْ

وسالت مَسيلَ النارِ والشعر والرؤى

ووَقْد جنونٍ في غرامٍ مُكَتَّمِ،

ووِدْيانَ يَخْضُورٍ من النَّبْتِ بازغٍ

وأضغاثَ أعشابٍ وألفافَ غَيْضَة

وقطعانَ رعيانٍ ونقعٍ تكَشَّفَتْ غَوارِبُه عن

هجرةٍ بعد هجرةٍ.. فأخلاطُ أعراقٍ

وأمشاجُ نطفةٍ

وهُجْنَةُ أوْشابٍ وجوهرُ رؤْيةٍ

تُفَتِّح في ليل الكلام المجَمْجِمِ

أوائلَ أشكال الحروفِ..

فهل سَرَتْ وعولُ مسامير الكتابةِ،

غَرَبَتْ، وشَرَّقَ من وادي الملوك مُحَفَّرٌ من

الطير والحيات حتى تلاطمتْ على الدرع من

ماء المرايا غمامةٌ ورُقْيَةُ ترْياقٍ بكأس مسَمَّمِ؟!

ظمئنا فلم نشربْ ؟! أم المشهدُ الذي نرى سحرَ

فوضاهُ دبيبُ قيامة ؟!

أم الدرعُ من حَتِّ الدهورِ تقشَّرتْ

زخارفُ رؤياها . .

فشفَّ مجازُها بحَيْرةِ مرموزٍ ومرمرٍ هائلٍ

من الوحش والثيران يُرخي جناحَه ويُقعي على

باب القيامة ناظرًا إلى الغيب والأفلاكِ يُحصي بمقلةٍ

من اللؤلؤ المكنون والشَّذْرِ أمةً تجيءُ وتمضي

بين موت ورجْعة؟!

أم الدرعُ مَذْخُورٌ من الموج مُقْلِعٌ بمُسْتَحْصَدِ الرايات

حربًا وغيلةً

وخَتْلَ خيانات وقَتْلَ حُبالةٍ

تُريغُ إلى خوفٍ وظنٍّ ومَبْهمٍ ؟!

-٢-

هي الدرعُ . . .

هل شيءٌ سوى الدرع شاهدٌ

يشعُّ بوجه الله مجْلًى وخلْقَةً

وهل حَلَقُ الفولاذِ إلا مجرَّةٌ وتَدْويرُ أفلاكٍ

وترصيعُ أنجمِ؟!

هي الجوهرُ الأبقى ،

هي العنصرُ الذي تَحدَّرَ منه الشكلُ

في كل صورةٍ . . فرفرفَ فوق الغمر منها مُقَدَّرٌ

من الخلق والتكوين فالعرشُ قائمٌ ،

يجلجلُ مَتْنُ الروح . .

كلُّ قراءةٍ بلادٌ وتأويلٌ ونارُ كتابةٍ

فيا جارتا . .

هل هذه الدرعُ فكرةٌ تأوَّلها الإبداعُ

من لحم معجمٍ،

أقامتْ بمكنون المدائح ثأرَها وترجيعَها المكظومَ في

كل آية تجلجل في صمت الرّواق المهدَّمِ؟!

متونًا من الفولاذ . . حَفَّتْ شروحَها وشعَّتْ

تقاليبُ النسيجِ المنمنمِ

وذَيَّلهَا من كل عصرٍ مُشَطَّبٌ من الطعن وانهلَّتْ جراحٌ

قديمةٌ تجددها في كل رَهْجٍ بلاغةٌ هي الزحفُ

والإدبارُ والبعثُ والبلى وخَصْفُ أضاليلٍ

وكشفُ مغَيَّب من العار، والموتى فرارًا ورهبةً،

وجرحُ شهيدٍ لا يجفُّ، وصرخةٌ من النقش

تعلو في خرابٍ مُحوَّمِ

فيصحو من الزِّنْجَفْرِ ينبوعُ خضرةٍ من العشب والنوّار

يسرحُ نحلُها، ويسرح عشابون أهلُ كهانةٍ

وطبٍّ وأسرارٍ وسحرِ كتابةٍ يطير بها الجعرانُ

والصلُّ يلتوي مُذَنَّبَ مرجومٍ من الجنِّ،

ماردٌ من الإنس يشوي الحوتَ في عين كوكبٍ

بعيدٍ ويرعى الخيلَ في حَرْجِ ظلمة

ويشحذُ نصل السيف فوق مُسنَّن من البرق

والأنواء يلقطُ جمرةً يثقّبُ مزمارَ الفضاء المُقَسَّمِ

على سلم الأنغام في الكون دائبًا تشدُّ

رياضيّاتُ أدوارِ رقْصه

بناءَ سموات وكرَّةَ مغْزلٍ ورعدةَ مكظومِ النشيدِ بأعظمي

ويا جارتا..

هذي هي الدرعُ فانسجي

مدائحَ فولاذٍ مَرِنٍ منغَّمِ..

-٣-

على الدرع كانت لأمَةُ الحرب ثُلَّةً
مُعمَّمَةً بالموت صبراً وحسْبَةً،
وظلٌّ عُقابٍ تحته الأرضُ ليِّنٌ من الطين
مطبوعٌ بصورة غابرٍ
من السعي:
ورّاقون تحت مُقَرْنَصٍ من المرمر المكتوبِ،
خيلٌ تحمَّلَتْ سفوفَ بهارات
ومخطوطَ حكمة
وشرحَ نصوصِ الفتح صلحًا وعنوةً،
وثلةُ صيادين يُخْفون خلسةً أمام جيوشِ الغزو
أعشاشَ قُبَّر ومَزْحَفَ حياتٍ
ومَرْعى قَنافذٍ،

وحـامِلُ أختـام الملوك مُـقَلِّبٌ بكفيـه أسـمـاءَ العصور،
وراجلٌ يقود حصان الريح هَوْجاءَ أو صَبًا رُخاءً،
وحـفَّـارون في الشكل غـامـروا إلى مكْمن الصلصال
حلمًا ونفْخَةً
لعلَّ ذراري الروح تصطفُّ أمةً
تغادر مَتْنَ الدرعِ .

بحرٌ، ونائمٌ من الكَلَلِ الدهريِّ يصحو لغفْوةٍ
يُرَجْرِجُهُ بحرٌ من الوجد قُلَّبٌ
وصبوةُ مكظومٍ من المدْح
نافخٍ بأبواق مدّاحين
جُنّوا بما رأوْا .

رملة الأنجب

١٩٩٢/٦/٧

نَوْبَةُ رجوعٍ

ثَقُلتْ عليَّ عباءةُ الدم والرمادِ

وثَقَّبَ الرملُ الطريُّ جروحَ أوسمتي

بمعجون النياشين الصديئةِ والرميمِ

الهشِّ من عظمٍ وفولاذٍ،

وكانت في فجاج الروح قافلةٌ،

وسبعةُ إخوةٍ ماتوا صغاراً،

والتميمةُ فوقَ صدري سبعةٌ من حَبٍّ ما

حصدَتْ يدُ الأعمام والأخوالِ:

جوهرُ حنطة، خَرَزٌ من البرسيمِ،

والرزُّ المقشَّرُ، كهرمانُ العَدْسِ،

بُؤْبُؤُ حبةٍ سوداءَ، والذُّرَةُ الرفيعةُ،

والتماعُ السمسمِ المبثوثِ،

هَوْدَجُ ناقة ويدان يقطر منهما العُنَّابِ والرِّيُّ

المقطَّرُ في حُشاشة عاشقٍ. .

ثَقُلَتْ عليَّ عباءةُ الدمِ والرمادْ

والصبحُ يَجْلو في عظام المحجرين مشاهدَ الجسد الذي
يَرْفو فتوقَ الروح ثم يُنَفِّرُ الطيرَ الجواثمَ في
مُنَمْنَمَةِ التذكر ثم يعلو قبةً من أغصنِ
اللَّبخِ المسجَّعِ باليمامْ
واللهُ من خلل الغصون يمدُّ شمس يديْه
ينسج خضرةَ الذهبِ الحريرِ،
يشدُّ قوسَ الأفق، يرمي سبعةً
من أعطياتِ سهامه:
نَفْحَ الصَّبا قبل الغروبِ، مسابحَ الأسرابِ عائدةً
إلى الأعشاشِ،
والكُحلَ المُسَفْرَ في عيون الصحب من
بقرٍ وجاموسٍ، ونومَ الحَبِّ في العنقود قبل
قطافه، وأنينَ أخشابِ السواقي، والملاحمَ
في رباب الشاعر الجوّال، رائحة مُنَشَّرَةً على
الملكوت من ثوب الأمومة والعجينِ وطلعة

الفجر المَنَدَّى بالتراب وسكرِ النعْناع والرُّزِّ
المفَلْفَلِ والكوانين المضيئة في عَشاءِ السبتِ
والكتبِ القديمة والمصاحف،
كنتُ تحت هواطل النَّبْلِ المقدَّسِ أتّكي وأكلمُ
الحصباءَ والجروَ المشاغبَ والحمامْ
وأعيدُ سَبْكَ ملامحِ الموتى وتَهْجئَةَ الحروفْ
وأعيدُ سَرْدَ تهَجّد الأبوين بالقرآن ما بين
العشيِّ وركعتيْ فجرِ يُطلُّ من الكُوى في السقفِ،
أنْسلُ من لحاء التّيل، أفْتلُ ربْقَةً
وأشدُّ معقودَ اللجامْ
وأعاهدُ الموتى، وأضحكُ إذْ أراني أمةً ـ وحدي ـ من
الخلف الكثيرِ، وأحْبكُ المقلاعَ، أخْتلُ
للشّوارد من مُصَعْلكة البهائمِ والبناتِ
وخطفَةِ الغربانِ للكيزان والثمرِ المبشّرِ،
كنتُ مابين الضحى وكتابةِ القرآن في الألواح إذْ

سقطتْ من الصدر التميمةُ . . فالبلادْ

حرثٌ وحراثون، والأرضُ التميمةُ، والحصادْ

ميراثُ أهلٍ ينسِلُون من الغمام إلى الغمامْ

في الخبز طعمهمو وفي الألواح رائحةُ الفواصلِ

والرغيفْ.

ثقُلَتْ عليَّ عباءةُ الدم والرمادْ

والريح تَصْفِرُ في بوالي العظم . . أدَّكِرُ التصاريفَ التي

عُلِّمْتُ من لغة الصفير إلى البهائم والحمائم والكلاب:

فَنَفْخَةٌ بين القواطع لاستقاء الخيل والأغنام،

أخرى - بين تقطيعٍ ومدٍّ - فالحمائمُ وُقَّعٌ

فوق الذراعِ،

ونَفْخَةٌ في هيئة التَّقْبيل تَصْفرُ من مقام العشق

فالأبوابُ تُفتح والنوافذُ،

بين إبهامين فى الشفتين أو سبَّابتين يَهرُّ كلبٌ

أو تفرُّ دجاجةٌ أو تُؤْذِنُ النوقُ العصيَّةُ

بالحليبِ أو السُّفادْ.

ثَقُلَتْ عليَّ عباءةُ الدمِ والرمادِ وقَضْقَضَ الزلْزالُ

هيكلَ مَجْثمي والريحُ تصْفرُ في

بوالي العظم نَفْخَ الصُّورِ..

هودجُ ناقةٍ ويدانِ يَقْطُرُ منهما وَرْدُ الدِّهانِ

ومهرةٌ صهلت من الآبادِ،

طيرُ الذكرياتِ مُنَفَّرٌ،

«وَشَّجْتُ أعراقي بأعراقِ الثرى»، وتَنَفَّرتْ

أمشاجُ ما عُلِّمْتُ أوَ أُنْسيتُ،

مُنْحَلٌّ الجدائلِ من أصيلِ الصيفِ منسكبٌ،

يدايَ على حريرِ الأخضرِ الذهبيِّ،

أنْصتُ، ثم أرقبُ سُبْحَةَ الأطيارِ عائدةً،

وأنظرُ في ذُرَى النخلِ البعيدِ غلالةً هُدَّابُها

رَهَجٌ مُعَصْفَرَةٌ فَتائلُهُ،

وكفٌّ الله تُغمد سيفَه الكونيَّ في غمد الظلامْ

ثَقُلَتْ عليَّ عباءة الدم . . والصهيلُ مُرَجَّعٌ . .

يا مهرة البلدِ البعيد . . بعيدةٌ،

وبعيدةٌ نارُ المَضارب والخيامْ . .

روتردام ـ رملة الأنجب

١٩٩٢/٦/٢٩

فاصلة إيقاعات النمل

غموضُ دمٍ هاربٍ يتقلّبُ في صفحةِ الوجه،
يخبو وينبضُ،
خيطان من طائف الشك يشتبكان . .
التواريخُ تمحو التواريخَ،
نَمْلٌ من الذِّكَرِ الباهتة
يدحرج ما لم يكن في تراب الذي ربما كان،
كوبٌ مِن الشاي يَطْفو على سطحه ورقُ «العطْر»
أخضرَ ملتمعًا في شفافيةٍ من بخار وعطر يشفّان
عن قبلةٍ صبْغةٍ في أديم الزجاجِ
وصيدُ الكلام يفرُ ويدنو،
وأنتَ تفتّشُ في نَبْرَةِ الصوت
تعلم عِلْمَ اليقين وتجهلُ، تخبطُ خَبْطَ الذبيحةِ
بين عماءِ دمٍ، وترى طائفَ الشكِّ
واللهجةَ المستريبةَ نملاً يدبُّ دبيبَ الملامح في
عاصفٍ تتكسر تحت غرائزه الروحُ،

نملٌ تنَشُّرُ أرْسالهُ الحبَّ من مكمن الظلمات وتقضمه
عله يتكتَّمُ خبءَ تحوله وانكشافاته ،
وتلملم من زينة الشكل خطَّ الحـواجب والكحلَ
والأحمرَ المتآكلَ فالوجهُ تسفي معالُمه ،
ليس يبقى سوى زفرةٍ تتهدم في دمعةٍ صامتة .

(هاهو . . تقوده الرائحةُ ويقودُكَ
الإيقاعُ وأهْوِيَةُ المحاريب وخفاءُ المجازات ،
يكْتُمُ أشكالَه في أرْسال خيطية ، أسودَ
ورماديًا وبين بين ، أشْقَرَ وأسْهَلَ وأصْهَبَ ،
ولا يعلن عن حضوره في عرق الرسامين والنحاتين ،
وهو الموكَّلُ في توالي الدهور بنقل الأهرمات
ورمادِ المومياوات وأقواسِ النصر وهياكلِ
الحضارات ـ ذرةً ذرةً ـ إلى خلاء الشكل
وأبدية الفراغ المنبسط الذي تعود إليه

التراكيبُ ونضالاتُ المعانى من مُسْتَنْبَتِ
الكون فى الحروف . .)

هي انتشرتْ من ملامحها ،
أنتَ قَيْدَ الذراعين ، هل ضَمَّةٌ عَلَّ هذا الجنون
من الوجد يكشفُ بين الهلاوسِ والفزعِ المنتشي
بالنبوءات والوهْم عن مَسْرَبِ النمل حتى
قراه البعيدةِ فى ليلة الروح والجسد المتآكل
والنظرة الميتة !!

هيَ التَمَّ منها الرُّفاتُ وقد نَفَضَتْ عن جوارحها
وممالك عشاقها كلَّ ما خلَّفوا من صدى قُبَلٍ
وارتشافاتِ ريقٍ ولمسةِ جمرٍ على كُحلِ نهدين
عشاقُها لم يكونوا ،
ولا فَرْعُها لانَ تحت الندى والدموعِ ،

ولا عُشْبُها ابتَلَّ،

والزهْرُ لمْ يرتعدْ بين أكمامه مُلْهَمُ النحلِ،

عشاقها لم يكونوا

ومجْدُ احتراقاتهم لم يكن غير مَحْضِ زجاجٍ تشعشعُ

نظرتُها عبره،

أنتَ قَيْدَ الذراعين . . سانحةٌ تَدَّريك

وأخرى تعَرِّيكَ، والنملُ يكتبُ عُرْيكَ . .

أنتَ تَقَرَّيْتَ نبرتَه وخطوطَ اندياحاته

(نقاطٌ من الأحبار الكونية المتسرِّبة

بين سطور الكائنات ومتون الخلائق،

تَهَبُ غيرَ المكتوب شفافيةَ الانتقال إلى

أجناس النطق،

تزيدُ وتنقصُ أقلَّ القليلِ فتدبُّ عواصفُ

الممكناتِ في كل شيء،

واختلاساتٌ مرحةٌ وتَفكُّكاتُ إرادات تنقلُ
القبلةَ قتْلَةً والجسَدَ حَشْداً وتَفتُّحَ الرعيَّةِ
تَقيُّحُ الرَغْبةِ والغدرَ عذراً . .
وتَلْتَفُّ جموعُها ببصيرة الزلزال واشْتباهات
المسالكِ في الممالكِ فتستبدلُ مواقعَ
الأصوات في عَماءَ الحلوق :
عُتلٌ علَّةٌ وجيشٌ شجًى ورحيقٌ حريقٌ
وشَغْبٌ شَغَبٌ يلْحسُ ما يَسْلحُ في لذة
مُذلة ولوْ ترى إذْ فَزعوا فلا فوْتْ
وتقْلب من تواريخ العشق الفراشَ أشْفاراً
والبكْرَ العوَانَ كرْبًا ونواعي يَنْدُبْنَ
أسفاراً ترسفُ من قَيْد إلى قوادة
ولا ملجأ فملاذُ النملِ أكرمُ على نفسه
من عماءات الإمَّعات الجيَف
ـ بعد أن أسْنَتُوا بجرادِ الكذب وهَلكوا

بالرُّعاف وتبدَّدُوا ترابًا في أحذية الأمم ـ
فهى الموكَّلةُ بأسرار الأرض وغيوب
الظلمة وباطلِ الليلِ والنهارْ)

أنتَ تهوي على ركبتيْكَ نداءَ دمٍ واتكاءَ خرابٍ على بعضه
وتُهيلُ على الرأس مَرْمَدَةَ الظنِّ والحسراتِ
وتلطُم وجْهَكَ من رهبةِ الظلمات وأزمنةِ
الدمع والأسئلة
وتنظر سجادةً لم تكن تتأملها أو ترى ما تَنَاظَرَ
فيها من الشكل واللونِ . .
هل كنتَ مَحْضَ خيالٍ ونَسَّاجَةٌ أبْدَعَتْكَ على
نَوْلِها واشْتَهَتْ نَقَضَ ما نسجتْ فهي في نشوةٍ
من فساد العناصر ترقبُ وجْهَكَ تنحلُّ لُحْمتُه وسُداهُ؟ !
أم الوقتُ بَدْءُ انحلال بسجادة الكون
والنملُ بينكما دعوةٌ لامتثال الهشيم

لأقداره الفاصلة
وهذى الرسومُ التي نَصَلَتْ برزخٌ بين موتين،
أم أنتما قبضةٌ من زُبال المواريث والعشق
والنملُ يَعْتلُها بَدَدًا فى الخراب العميمْ؟!

(تكَافَأْتَ والسَّقَطَ الذى يَسْفى ولمْ
تُناظِر الريحَ ولا صرخة لَكْ
وَأرسَالُ النمل يتكافأ بينها الدم والخطرُ
تكافؤَ الكفاف وزهادة الشهداءْ
وإذْ تقول نملةٌ نكرةٌ للنَمل المعَرَّف بالنداء
والتَّنْبيه والتعريفَ فيتعلم الجنُّ والَنبيُّ
والملَكُ وحشودُ الجَند، وتَمتَثلُ الجماعةُ
ـ امتثالَ ضربات القلب للعاشق ـ
أرسالاً أرسالاً فَيُسْتَنْقَذُونْ . .)

سَرتْ من أعالى البروق الإشاراتُ؛

مُتْهِمَةً أم شآميَّةً أم يمانيَّةً أم

شظايا دمٍ يَتَضَفَّرُ بين الفُراتَين والنيلِ !!

لا أفْقَ إلا الصراخُ الجليلْ

يُدَمْدِمُ في حُبِّكِ من سماء تَهَدَّمُ بين مشارقها ومغاربها،

أنت لم تَحتَملْ،

وهي لم تحتمل،

كان نملٌ بلا عددٍ يتسلل منكَ وفيكَ،

قبائلُه ـ في ضراوة زحمته ـ فككتْكَ

وبينكما شهقةٌ ومسافةُ دمعٍ ذليلْ

(في البدء كان قتالُها، وفي البدء أبدًا يكون:

قبيلةٌ تَستاق قبيلةً، لكبارها القتلُ

ولصغارها أزمنةُ أسرٍ تُدَرَّبُ فيه على

قتال العبودية المأجورة باستكانة الجوع

وسخرية الأبواق،

وهكذا . . يدور مِغْزَلُ الدم بين مشارقها ومغاربها .)

وبين مشارقها ومغاربها كنتَ تسفي :

جوارحُك الريحُ أعضاؤكَ الرملُ ،

والموتُ بوقٌ يجلْجلُ ،

كان الشتاءُ البَهيمُ يبعثر عُرْيكَ فى السجن ،

وهي بكامل زينتها انتظرتْكَ ،

تسلل ـ عبر الصفيح وأعمدةِ الصَّاجِ والصُّلْب ـ

بارقُ أقراطها وخلاخِلها وظباء التَّخَطُّر

مابين عريٍ ووشي زخارفَ ،

هل مستحيلٌ يلَوِّحُ أم ممكنٌ أبديٌّ نهاياتُه بدْؤُه !!

واستباقاتُ نملِ الطلائعِ مستدفئٌ في الضلوعْ ؟!

(هاهو . . رِعْدَةٌ فى الجسد تَصَعَّدُ وتهبطُ

يُغريها صمغُ الشجر والعسلُ المتَفَطِّرُ من

المنِّ والأنساغ التى تَرُبُّها أمسياتُ
الحلمِ والغناء الكظيمِ . . فاتحةً سبلَها
لاكتمال الليل حتى آخره . .
وها هو . . من مكامنِ دفْئه المظلمِ يرسلُ
طلائعَه بشارةً بالانقلاب الفلكيِّ وعلّةً
شعريةً لأوائل النوّارِ وأزهار المشمشِ
والخوخِ خَصْفَ الورقِ على مكامنِ
الغرائز في الشجر ،
حتى يتَعْتَعَهُ جنونُ الانتشار حول مشافرِ
التين المتهتِّك وحَلَمات التوتِ وإغْواءاتِ
العناقيدِ وحرائر القطيفة من
طَلْعٍ وحَبٍّ حصيدْ)

رملة الأنجب ـ القاهرة

١٩٩٢/٧/١٧

احتفاليات المومياء المتوحشة

إهداء

إلى طفلتي رحمة..

لم أكن ألتفت لشيء سوى يديك النائمتين

حول «الدبدوب» المحدق بعينيه اللامعتين

ولم أكن أخاف شيئًا سوى يقظتك بمفاجأة

الجحافل وهي تلتقطني.

أما الأثر الدامي على عظام الأنف الذي

لا تكفين عن السؤال حوله: فهذا هو الجواب:

زيـــــارة

-١-

«كان هناك أميرٌ» يغْفو من تعب التجوالْ،

يصحو، يُحصي إيقاعات الريح وتفعيلات الفوضى

والتدويرَ النازفَ من عاصفة الصحْراء،

ويَلْفُق مُجتَثًا سلالته بالهزَجِ الراقصِ بين

جيوش الغزو وبين سموات الموتى،

ينثر مُقْتَضَبَ الدمع على قافلة الرُّجّاز

القتلى ومراثي الأطلالْ

كان يقلِّب في لهجته الرثّة جمرَ ملامحه بالبَرَد

الأسود والخَبَب الشتويِّ فتنبضُ بالأشلاء

البركُ الأرصفةُ وأيدي الأحياء الموتى . .

قلتُ: اركضْ في متداركِ موتكَ،

لَملْمْ وقْعَ خطاكَ وغادرْ سرَّ الشجرِ النائمِ

واسْتَرْجِعْ بعضَ رمادكَ،

أنت رمادٌ ثرثرةٌ يتساقطُ من كتب الأنْواءِ،
فلم تُقْتَلْ بين القتلى،
وهشيمٌ أنتَ تَذَرّيه الريحُ على تفعيلة
أكوان تتهدَّمُ في حُمَمِ الأهوالْ
«أرضُك مفْتَرَقٌ تتَّسعُ به أرضُ الأغْيارِ،
وتعبره أممٌ وجيوشٌ،
للأقوى وعبيدِ الأقوى ميراثٌ أنتَ لمن يرثون،
على كتفيكَ تكسَّرت الأمواجُ تواريخَ مجاعات
وطغاة منكسرين ومَزْهُوّين
بتدْليس الأبَّهة البيزنطية.»
الليل صقيعٌ، وروائح لحم الإنسان المشويِّ طرائدُ
مُنْسَرِحِ الريحِ، الشاعرُ يَتَلَقَّطُ جمرَ جوارحِه،
ويميلُ إلى المقهى يُحصي مُنْهَلَّ الدمعِ،
يرتِّبُه أوزانًا أوزانًا، يتحيّر في وتدٍ مفروقٍ أو
مجموعٍ، يسترجع آثارَ يديه الراعشتين عن

الأكواب وأيدي الأصحاب وحبر الصحف وقرص
الهاتف والمنديل الورقيّ، ويرقُبُ أعينهم
ـ كانوا أربعةً بصاصين وجلادينَ ـ:
عُتُلٌّ منْهدلُ السِّمْنَة يلمع سالفُه من تحت
الصلعة . . يَسْلَحُ في كل صبيحة «مايو» أو
يلْحسُ ما يسلح من كذب الأوغاد المأجورين،
ولصٌّ الأشعارِ الضائعُ في أوهام قزامته
يَتَخَلَّلُ لحيته بأصابع من دخّان الشيشة أو
لفتات وقاحته الهشّةْ
كان الثالثُ ـ من تسع سنينَ ـ يَتَسمَّعُ أو
يتشمَّمُ وقْعَ خطاي . . بقامته الفارعة المشدودةِ
والعينين الجاحظتين وأرنبة الأنف الذئبيّة
(كانتْ تنفخ فقّاعات البيرة فى أكواب الحفلات
الخيرية .)،
رابعُهم جروٌ مفروقُ الشعر ، خفيفٌ، ينصتُ

في ركن منفردٍ من أرصفة المقهى، يُغوي
الشعراء المبتدئين بسمْتِ بلاهته المندهشةْ.

خَرَزٌ من فحم الماءِ يرخُّ ويلمع فوق زجاج المقهى ثم
يَسِحُّ خيوطًا يتموَّج فيها البرقُ..
مي الآفاقُ أعاليها انقَلَبتْ،
ريسحُّ دمٌ،
والشاعرُ يركض.. علَّ المطرَ
الأسودَ يغسلهُ ويذيبُ
جوارحه في البرق وينْشره خَرَزًا..

-٢-

أَسْلَمني «الدَّبْدوبُ» النائمُ بينَ ذارعيْ «رحمةَ» والفجرُ
المنفوشُ الصوفِ إلى سنَةٍ من غضبِ اليأسِ
وفَزَعِ الرؤيا،
فانْتَبَهَتْ أعضائي في حلم المذبحة الكونيّةِ:
أبتدُئُ الركضَ لآخذَ موضعَ أسمائي الحركيةِ
والعلنيةِ في قافلة المذبوحين وقائمة الأسرى . .
أيقظني الفولاذُ الباردُ،
كنتُ أميراً يمرقُ في «تَشْريفة» صفينِ من
الأشباح، وكانتْ شاحنةُ السجن تُرَضْرِضُ
فوق ثعابين الأسفلت فيُسْلمني الإيقاعُ
إلى سنَةٍ من خَدَرِ المجهولِ الفاضحِ،
كانتْ رائحةُ الغيطانِ المبلولة إغواءَ دمٍ تَتَفَتّقُ
شهوتهُ ركضاً في النومِ وتعرية لظلام الخضرةِ في

الأحلام وعصْف الروحْ:

جَسَدٌ شَفّافٌ كَفَّنة طميُ الأرض وغطَّتْهُ الأعشابْ

أسْمعُه يتنفّسُ . .

هذي رائحةٌ مما تركَ الرَّبُّ أوانَ الخلقِ،

وأضْوَأ ما كان النورُ بأروقةِ الشجر العالي والنومِ،

وأنتِ مُذَوَّبَةُ الأعضاءِ وكاملةُ الزينةِ في

أبْهاءِ الدمع الغامضِ بين جنونٍ لم يُسعفْه الوقتُ

وبين النزوة في عبث الوقت المجنونْ

ها نحن مواجهةً،

نَتَقَلَّبُ تحت رماد الفجرِ . .

ضفائرُكِ انعقدتْ بالطّلِّ المورقِ،

غُبْشَةُ كحلك غيمٌ أثْقله الماءُ المكنونْ

وأنا عريانُ الدهشةِ والوحشةِ:

هل أنتِ، وهلْ جئتُ أحلُّ ضفيرةَ مائكِ،

أصرخُ أم تصرخُ في حنّائك جلجةُ العصفِ،
أم الشاعرُ يَحْدو قافلةَ الموتِ إلى أعتابِكْ ؟!

رملة الأنجب - الفجر الأول ٩١/٣/٢

١٩٩٣/٧/٣

طقوسٌ متقابلة

«أقسى من الموت ارتعاشُ الموت في الشِّلْو الذبيحِ»

كتابةٌ سلفتْ وهذا وقتُها المقْدورُ

فاقرأ ما ترى ـ أولا ترى ـ من معصميْكَ لكاحليكْ

كابدْتُ وَجْدَكَ أيها النحاتُ:

لي عشقٌ قديمٌ، والصخورُ إلى نفادْ

أشْبَهْتَني بي أيها الليلُ المصوِّرُ:

إنني الظمأ المرفوفُ في رخامٍ لا يبيدُ،

فليس من شيءٍ لشيءٍ غيرُ عصْفِ الروح في عصف الرمادْ

مُستَحْدَثُ التعذيب بالكيمياء يكْشِطُ من ظلامك طينةً

للخلق فالملكوتُ يَسْطعُ،

والحشودُ المبْهماتُ، وأنْهرُ الدمِ، والملوكُ،

على الأرائك يتَّكي الجلادُ منتظراً سقوطَ الصقرِ

محترقًا بجائشِ حلْمه،

لما يَزَلْ وَهْمُ البلادِ هو البلادْ.

وخمسون ارتمتْ عنها مهلْهلَةُ الثياب
وصَرْصرٌ هبَّتْ فخشْخَشَت الضلوعُ
وهبَّ موتى الإخوةِ الصبيانِ بين أبي وأمي
يُضْرمون النارَ في خشبِ المواقدِ والكوانينِ القديمةِ
واصْطَلَيْتُ كما اصْطلى صوتُ المؤذِّنِ في جليد الفجر
وامتدَّ الحِرامُ الصوفُ،
في سنَة الرُّقادْ،
لَقَى إليَّ «بروجلُ» القرويُّ منْجله ومذْراةَ الحصادْ
فركضتُ من قشٍّ إلى قشٍّ،
وكان «بْرُوجِلُ الأعمى» يقودُ جماعة العميان في
نَوْءٍ من العصفِ الملَبَّدِ والوحُولْ
لوَّحْتُ من هَلَعِ الذهولْ
وصرختُ . . فابْتَدَرَتْ يدُ الجلاد ناصيتي وشَدَّ
وثاق عينيَّ المشاكستين بالرؤيا
ومكْنونِ التذكرِ والعنادْ

فرأيتُ جوهرةَ الظلام على قوائم عرشه انْفَجَرتْ
نهاراتٍ مُضَوَّأةً،
وأشْهدني مقامَ الذلِّ تحت يد الأذلاءِ المهانينَ:
الدهورُ تَفَجَّرَتْ أجداثُها بالثأر،
فالأممُ المؤبَّدَةُ الذُّحُولْ
هَبَّتْ دفائنُها وقامَ الوحْشُ وانْتشرَ الجرادْ
وتخَشَّعَتْ أممُ الحشائشِ والهوامشِ والخواء المستَذَلِّ
تفاصَحَتْ في الموت أعلامُ الذُّبولْ
وتَحَلَّلَتْ إرَمٌ وعادْ
في الغائط الكلبيِّ والنفط،
البلادُ وظلمةُ الملكوت عهْنٌ طائرٌ،
وَتَخطَّفَتْ جسدي المناسرُ والعصيُّ
معلَّقًا ومثَبَّتَ الرسغين في الأفلاكِ.
في أقصى الظلامْ
كانتْ «أرينا» الأرضِ واسعةً وأضيقَ من

عيون الثورِ،

كان الثورُ عاصفةَ الغرائز والترابِ

وكان «جويا» ممسكًا بالثورِ من قرنيْه،

ناوَرَ ثم داوَرَ ثم لَوَّحَ بالرداءِ القرمزيِّ ولَفَّ

مُنْعَطفًا وسَدَّدَ . . فاستجاشَتْ ثم

غادرت الرسومَ شَوَائهُ «النزواتِ» والأمثالِ»

فالأجواءُ غربانٌ وبومٌ

والخلائقُ مَحْضُ قَيْءٍ من جحيم الروحِ

والهُولاتُ ترقص في فضاء الرعبِ . .

أوْقَفَهُ ـ وإصبعُهُ على صُلْبِ الزِّنادْ ـ

في ثالث الأيام من مايو . . وسَدَّدَ . .

كان جويا واقفًا ويهمُّ بالطيران في ألوانه

ما بين زنْكٍ معتمٍ ودمٍ اتّقادْ

وتقلَّبتْ «دوشيسُ دالْبا» بين عريٍ واكتساءٍ . .

آه يا مارْياتريزا !!

كيف تنْفلتينَ في هذا العراءِ وأنت عاريةٌ !!

خُذي كَفَّيَّ من قبْد الحديد ألَمْلمْ الشَّفَّ المشَقَّقَ،

كان جلادٌ بكعْب حذائه يَهْوِي عليَّ فَطَقْطقَتْ ضلعٌ

ولَعْلَعَت الرصاصةُ فارْتمى جويا

ارتميتُ

وليس من وطنٍ سوى هذا الرمادْ . .

لاظوغلي ثالث أذان للفجر

الموافق ١٩٩١/٢/٤

القاهرة ١٩٩١/١٠/١٣

هلاوس ليلة الظمأ

غبَشٌ يُبَلِّلُه دخولُ الليلِ ،

والغيطانُ تسْحبُ من بدايات النعاسِ

تَنَفُّسَ الإيقاع منتظمًا على مدِّ الحصيرةِ والمواويلِ ،

ـ الزمانُ كأنه فجرٌ قديمٌ مستعادْ ـ

قد كنتُ مضطجعًا أعابثُ شَعْرَ بنْتَيَّ . .

الصغيرةُ أفزَعَتْها قشرةُ الدّمِ والصديدِ على

عظام الأنفِ

ـ أهْذي أمْ هيَ الزنزانةُ انفتحتْ على زمنْينِ

واتَّسَعَتْ على هوْلِ المكانْ ؟ !ـ

رِيقٌ وجمرةُ حنْظَلٍ ، تَتَشَقَّقُ الشفتان :

ـ : يا عبدَ العليمْ

ما للجرارِ ادَّحْرَجَتْ والقلة الفخّارِ عَفَّرَها الرمادُ

والملحُ ، والنهرِ القريبِ مشققًا ،

مـا للتّـحـاريقِ ارْتَعَتْ بـالجـمـر والنسج المهلهلِ

أعظُمي

وأديمَ هذا الليلِ . . يا عبدَ العليمْ !!

أهْذي وألهثُ أمْ هيَ البنتُ الصغيرةُ من ظلام الغيمِ

تخرجُ في يديْها الكوزُ والإبريقُ تلمعْ في

نحاسهما الزخارفُ بالعناقيد المُنَدَّاة ؟!

الْتَفَتُّ . . فراعَها أنَّ القيودَ تعضُّ

لحمَ المعصمَيْن فيرشحُ الدمُ

فاستدارتْ وارتمتْ في عثْرة الرَّهَبُوتِ

ـ: قد نَبَّهْتُ «رحْمَةَ» أن يكون الماءُ

والفخّارُ مشْموليْنِ بالسُّعْدِ المفَوَّحِ واللُّبانْ .

قال المخَنَّثُ للمـخنَّث : إنَّ هذا الأهْبَلَ المجنونَ يَهْرِفُ بالكلامْ

(فعرفتُ أنهما هما . .

والجسرُ بين الصالحيَّة والرشيد مُرَجِّعٌ

للبلغم الدهنيِّ في صوتيهْما)

قال المخَنِثُ للمخَنَّث : «إنَّ نوبةَ نوميَ اقتربتْ فأخرسْ
صوتَه بعصاكَ»

فانفجرتْ برأسي الصاعقةْ

كان الصدى مَتَشَظِّيًا بدم الهلاوسِ

آه يا عبدَ العليمْ

لم يترك الأهلون من نُبْلِ العصا في

لعبة التَّحطيبِ ميراثًا لأوغاد الزمانِ النذْل . .

هل رجلٌ وضربتهُ تجيءُ من الوراءْ ! !

أدْرِكْ دمي بالبُنِّ بعد الماء يا عبد العليمْ

كانوا ثلاثةَ أصدقاء

والموتُ رابعَهم ، وأيديهم تُجمِّعُها قصاعُ الفَتِّ في

ليل الموالد بعد رقص الذِّكْرِ والتَّخْميرِ . .

كان أبوكَ يهْدُرُ في

مقام الحشْدِ تأخذه الجلالةُ ،

وجْههُ الطينيُّ يلمع ، والعصا في إصبعيْه

تدورُ مثل مغازلِ الأفلاك،

يا «جملَ المحاملِ» ـ إنه جملٌ يُطَمْطِمُ من

ضِراب الرقص في أعضائه

ا «أمَّ هاشمَ» . . ثم تنكسرُ العصيُّ على عصاهْ

انيهمو يَنْشَقُّ عنه الحشدُ:

قُفْطانٌ يضيءُ بياضُه الزَّهريُّ،

ـالشالُ المرفرفُ، بَسْطَةُ الأفيونِ، والقَدُّ النحيلْ

كا لخيزُرانَة، والعصا ليستْ تُرى من كَرِّها بين اليدين،

يَفِحُّ، يصفُرُ، يرتمي وتدًا،

يلينُ وينثني كالصِّلِّ . . آه وألفَ آهْ

هي نقْرَةُ الطَرفِ الرشيق من العصا بفُجاءة التلْميحِ

والتصرْيحِ . .

لا تُجدي مصاولَةٌ ولا يُجدي دفاعُ اللاعبينْ

يعلو ضجيجُ الحشد ما بين الصهيل الحرِّ والفوضى

وإنشادِ الذهولْ

مَسٌّ وطائفُ بهجةٍ ورؤى جنونِ الوصْلِ تُوصَلُ
نشوةَ الملكوتِ بالإنسان في وجْدِ الجنونْ
حتى إذا اقتربتْ خطا عمي «معوَّض» بالعصا حطَّ
السكونْ
هو صخرةٌ قُدَّتْ من الأهواء والخمر الرخيص
فأفردَتْه العائلةْ
هَجرَتْهُ زوجتُه وفَرَّ بنوهُ في تسْعينه الأولى
فزوجتُه الزجاجةُ والعصا والذكرياتُ مع النساءْ
كفْاهُ كالمذراةِ ساعدهُ عروقُ السَّنط خُطْوَتهُ
انصبابُ السيلِ،
كان الحشدُ يُنْصِتُ وهو تَغْمزُ عينُه ببقيةٍ من
كحلها المعتاد من عسلٍ وشَشْمٍ،
دارَ ملْتفتًا إلى ركن النساء على السطوح
وحاجباهُ يراقصانِ الشمسَ والحناءَ والذِّكَرَ الغَوِيَّةَ،
ثم مرَّ اللاعبونْ

وتَخَلَّعَتْ أعضاؤه خشبًا وفولاذًا ورقصًا عاريَ الإيماءِ

كان اللاعبون أمامه لُعَبًا تطيشُ عِصِيُّهُمْ

وتطيرُ من أيديهمو

والكحلُ في عينيه يغمزُ للنساءْ

والليلُ يطوي خيمةَ الصبحِ المعَفَّرِ لانعقادِ الذِّكْرِ والتَّخْميرِ . .

واشتبكتْ أصابعُهم بدفءِ الفَتِّ واللحمِ السمينِ ،

ورابعُ الأصحاب يَرْقُبُهُم . .

يُطيفُ على الرءوس مرفرفًا كالصَّقْرِ ،

ينسج من تواشيح الصَّبابةِ والولايةِ

مَدْرَجَ الكفن الحريرْ . .

لاظوغلي رابع أذان للفجر

الموافق ١٩٩١/٣/٥

رملة الأنجب ١٩٩٢/١٠/٢٥

الموت والدرويش

شمسٌ تكادُ تُلامسُ الأيدي . .

يذوبُ بنفسجُ الألوان في ذهب وجمرٍ باردٍ ،

وأنا صبيٌّ ، والجموعُ على المحطةِ ،

والقطارُ يمرُّ بعد دقيقتينْ

فكأنَّ دهرًا من دبيب غامضٍ في الأرض يُشْعِلُ

في دمٍ ـ لَمّا يراهِقْ بعدُ ـ أخيلةَ الرِّباطاتِ الجريحةِ

وانكسارِ الخيلِ والأرضِ المقيمةِ في هزائمِها

ورِعْدَةِ عارِها وهوانِها المكتوم .

بعد دقيقتينْ

يعدو الصبيُّ من الصِّبا . .

كان الدخانُ يرفُّ في أفقٍ من الكافور والنخل البعيدِ ،

ودَمْدَمَ الإيقاعُ ـ مقتربًا ـ بلحم الأرضِ ،

أنْظُرُ :

إنهم شجرٌ يلوِّح فى النوافذ

والهتافُ يمامةٌ خضراءُ حَجَّلها انفطار الصبحِ

تعلو،

ثم تعلو الشمسُ،

ثم تدبُّ فيها النارُ، فالشجر الملوِّحُ والوجوه

بشارةٌ أذنَتْ بموعدها المكتَّمِ في دم الموتى،

وكنتُ على الرصيفْ

والأعينُ اتَّقَدَتْ بومْض حنينها الدهريِّ:

أهلي من شقوق الأرض كانوا يَنْسِلُونْ

خَصَفُوا جريدَ النخل والصَّفْصَافَ. .

وانْصهرتْ دماءُ الحاكميَّةِ في جلال الدمع والرؤيا،

وكنتُ على الرصيفْ

مَرَّ القطارُ ولم يقفْ إلا هنيهةَ بارقٍ في الروح تَقْدَحُ

في تراب الأرض والزمن المكدَّسِ نارَها

ـ كانتْ جموعُ الذاهبينَ إلى ولادةِ أمةٍ في الحربِ

تَنْسَلُّ انسلالَ الغيمِ في الآفاقِ ـ

وانكشفتْ مجازاتُ الولايةِ

فِي حرائقها وتحت رمادها انْدَلَعَتْ شفافيةُ القراءةِ

في الدمِ المكتوبِ . .

كان السَّامرُ انْفَضَّتْ مجامعُه . . وكنتُ على الرصيفْ

يَعْـرَى الصِّبـا مني وتضطرمُ المراهقـةُ الفـقـيـرةُ بالرؤى

والشعرِ ،

قلتُ : اغْرِسْ خطاكَ بهذه الحُمَّى

فأنتَ على رباط الروح ،

والأرضُ المقيمةُ في دماكَ وفي خطاكَ الثَّغْرُ . .

فاشْحَذْ فَقْرَكَ الملكيَّ واسمْع كبرياءَ

جلالكَ المدفونِ في خرَقِ الرَّثاثة . .

أنتَ منذ اليوم مسكونٌ بوجْدِ الأنبياءِ

وحكمةِ الإيقاع في الفَلَكِ الجليلْ

لكَ من بلادك قبضةٌ من نِّيءِ الدمِ والترابِ ،

وخطوةٌ في غربة الموّال ،

والخبزُ المشَعْشِعُ بالقرابةِ وانتظار السيلِ . .

أضْيقَ ما تكون الأرضُ أوْسَعَ ما تكونْ

فاعْقدْ حزامَ النهر في حِقْوَيْكَ،

رابطْ في خطاكَ

فموعدُ المنفى ووَعْدُ الفتح يتَّقدان:

ظلٌّ من حضور الماء والرمل المرَطِّبِ كان أرْوِقَةً،

وجمرٌ في رماد الرِّكْوةِ،

انْعقَدَتْ من اللغط الجميل سحابةٌ

تَنْهَلُّ حين يعودُ أجْنادُ القرى من معْمعان النصرِ

ـ إن عادوا ـ

وكنتُ على رصيف الذاكرةْ

خمسين عامًا . .

كلما نَضِجَتْ جلودُ الميتين تقلَّبوا في الجمر . .

واتَّسَعَتْ مسافاتُ الحريقْ

الأبيضُ المتوسط انفجرتْ زعازعُه بفيض الدمع والدمِ

ـ ليس من نصرٍ يجيءُ ـ

وكانت الصحراءُ تُشوَى ثم تُرْسلُ في خوابي الزيتِ

من بلدٍ إلى بلدٍ،

وأهلوها هم الأشباح والرمم التي

تنْحلُّ في كيمياء زنزاناتها،

خمسين عاماً.. والدمُ المسطورُ يُقرأ في كتاب

الأرضِ:

نخلٌ من صراخ الروح،

تكْفيتٌ من الشذْر المدمّى في المحاريب،

الحطامُ من الرخام وفضّة التّعْريق في طلل المآذن،

مرْمرٌ ينْتلُّ في نافورة القتلى بصحراء النزيفْ

خمسين عاماً.. كنت شاهدها الضحية

والمقاودُ جرّرتْ فولاذها الريحُ العفيّةُ،

عسكرُ الثوار، حفارو القبور، المخبرون،

نُخاسةُ الأفكار في الزيف الأجير.. فخدّدتْ في

نازف الأرضِ الطرائق للخيول وشاحنات السجنِ

وَسَّعَت المسالكَ للمدافنِ والنعوشِ
وكنتَ تسمعُ أو ترى . .
قلتُ: انْغرسْ في ظل خطوتكَ الأسيرةِ
وانْغرسْ في هذه الحمّى
فأنتَ على رباط الروح والطميُ المذَوَّبُ في
دماكَ وفي خطاكَ الثغْرُ والدَّرَكُ المؤبَّدُ،
أنتَ من جنسْ الدراويش الذي انْدَثَرَتْ
مراقعُه وأبْلَتْه الحتوفُ
أَنْصتْ ـ إذن ـ لدماكَ تنزف من فتوق الذاكرهْ
أبناؤك التفّوا ـ وهم ذِبْحٌ سينضجُ وقتُه ـ
فاجْدلْ منادمةً من الدم والكلامْ
هل ثَمَّ شيءٌ كائنٌ إلا نزيفُ الذاكرةْ
ومسابِحُ الدم والكلامْ !!

ـ ١ ـ

الليلُ تحت عَصَابَة العينين مكْحَلَةُ الشظايا،

والغبار أسنَّةُ الذهب التي انْغَرَسَتْ وضَوَّأت

الفضاءَ وشَقّقَتْ لحْمَ الجفون فهبَّ من مكنونها

الدمويِّ قطعانُ التذكر والمراثي:

النخلُ والصَّفْصافُ خُلَّبُ بَارقٍ من لؤلؤ

الدم والطبولُ تدقّها شمسُ التذكرِ

والبلادُ مسافةٌ تمتدُّ ما امْتَدَّتْ شظايا المرْمرِ

المغروسِ فوق شواهد الأمواتِ..

هل كان الرِّباطُ على ثغور الموتِ!!

هل كانتْ خطايَ وشيجةَ الرحم التي

تتسمَّع الأصوات في صمت التراب.. لعلَّ

أمي أوأبي أو إخوتي الموتى يشقّون

الظلامَ ويسهرون معي على وهْج الحرائق في
رميم الشرق !!
كان الليلُ تحت عَصَابَة العينين ينبض ملْحُهُ المسنونُ
بالبرق المفتّت والدخان ومشهد الموت الأخيرْ:
طاقيّةُ الحاخام، طقسُ ذبائح الصبّيان، تابوتُ
الوصايا، الفَيْلَقُ النِّسْويُّ، والكهانُ بالأبواق
يَمْرُجُ عيدهُم في مَشْعَرِ السعي،
الذبيحُ وأمُّه رملٌ وصرخةُ حاصب بين الصّفا والمروة،
البئرُ المعطَّلةُ، القصورُ، ومَرْمَرٌ يعلو فتعلو من
رخامِ الموت شاهدةٌ ومئذنةٌ يؤذِّن فوقها الجزّارُ:
Ave Maria (١)
ومريمُ كانت اتّكأتْ تهزُّ النخلَ لا رطبٌ ولا نجمٌ
سوى الفولاذ منصهراً يَئزُّ يؤُجُّ يَهْطلُ،
والدخانُ معارجُ الموتى وقافلةُ الحجيج . .

ـ ٢ ـ

صوتُ المؤذِّنِ من رفات «العامريَّة»[٢] طالعٌ متوضِّئٌ
بالللحمِ والدمِ وانصهارِ الرملِ والفولاذِ بالموتى . .
وأنتَ تَخُبُّ في عارِ النجاةِ تُقَلِّبُ الكفين من
مقهًى إلى مقهًى ،
ومن عارِ الحداثيين في لغْوِ القراءات الدنيئةِ
والضمير المسْتَرَقِّ ، من المهارشة الخَصيَّة ،
من مصارعة الديوك على بقايا الغائط النفطيِّ
و«التنوير» في ظل النعالِ . .
وأنتَ في عار النجاة تَخُبُّ ،
والصوتُ المؤذِّنُ رائقُ التَّرْجيعِ
كان يُثَوِّبُ[٣] الموتى فينبعثون من روح الظلامِ
جماعةً ، يَتَقَطَّرُ الدمُ من وضوئهمو ومن
قتلى الظهيرةِ في الميادين التي امتلأتْ كتائبَ من

سَرايا الأمنِ، تبدأ ركعةُ الموتِ المعادِ على
ربوبيَّات لاظوغلي ونَهْشِ الكَهرباء على
المعاصِم والمحاشِم . .
أنتَ في ذُلِّ النجاة مُقَدَّرٌ لكَ أن تَموت وأن
تعيش على أذان الفجرِ
فاسمعْ ثم متْ واسمعْ وقمْ وانشرْ
قماطَ الموت واسمعْ . . كلُّ ما هو كائنٌ
ويكونُ أو سيكون متكئٌ على ليلين بينهما
وضوءُ العامريَّةِ والأذانْ . .

-٣-

تحت العَصَابة كان وقتٌ من دمٍ،
والأفقُ مشتعلٌ بوهْج حريقه الممتَدِّ،
أنتَ تهزّ رأسَكَ. . تستفيق من المخَدِّرِ وانْتهاك الذاكرةْ
شيئًا فشيئًا. . تُخْرِجُ النهرَ المخَبَّأَ تحت جلدكَ،
والسماءَ الأرْجُوانَ وخضرةَ القمر الذي
ينسلُّ تحت عصابة العينين. .
أيُّ سكينة هذي التي ابتلّتْ بروح الماء!!
جَلْجَلَت المآذنُ، قلتَ: مسرجةٌ وحبةُ ظلمةٍ في
خيطِ مسبحة الدهورِ،
وغيمةٌ تَرْغُو أم الإبريقُ صلصلةٌ من
الظمأ المفضّضِ في العراءْ؟!
قلتُ: اغسلِ القدمين والرسغين، أطْفِئْ جمرةَ
الفولاذ تحت أساور الصلب المحبِّكِ،

وارتختْ في القيد أطرافي،

وكنت أفيقُ من خلْط المخدِّرِ وانْتهاكِ الذاكرةْ

شيئًا فشيئًا . .

قبل أن تَبْتَلَّ أطرافي انْتَبَهْتُ على فحيح الموت

يفْهَقُ في العصيِّ وفي كُعوبِ الأحذية :

ـ : قمْ، طأطئِ الرأسَ، استدرْ، واصعدْ، وقفْ.

كان الهواءُ رطوبةً وحرارةً وزُهومةً تعلو عفونتهُا،

ورائحةُ الشّواء كأنها نَتَنُ الخليقة في سهوبِ الموتِ،

(تَذْكُرُ قولَ أمِّكَ: إن أسرابَ الطيور الطائرة

كانتْ ترفُّ قتيلةً،

تهوي وتسقط من أعاليها إذا انْفَتَقتْ نُبالُ الرائحةْ

من جلدِ أيّوبَ . .)

وكان القيدُ في الرسغين جمرًا نابضًا . .

ـ: هيِّئْه، واحذَر أن يموت «فعهدةُ الأفراد»

كاملةُ الدفاترِ . .

كنتُ مشبوحًا وسِلْكُ الكهرباء على يديَّ،

وكان برقٌ من وحوش الطير ينْهش ظاهرَ الكفين،

تنْبِشُ ثم تلقط . .

لا دمي يكفي ولا يكفي طَحينُ العظمِ،

(فانظرْ . . هل ترى !! لا شيءَ يبقى من بلادك

غيرُ جيرِ العظمِ،

هل وطنٌ سوى هذي المسافة بين لحمك في

الجحيمِ وبين سلك الكهرباءْ !!)

تحت العَصَابة كان من مرْوِ الحجارةِ والرخامِ صدًى

يرفُّ بصرخة الموتى ودقّات الطبولْ،

أمٌ من الأشباح تعلوها المشاعلُ

ـ كان وحشُ الطير ينْثرني رمادًا في مباخرهم ـ

وكانوا يُنشدون غوامضَ التّرجْيعِ،

يبتعدون فى الصخب الجليلْ

ناديتُ ـ بين تَخَلُّعِ الرسغين والجمر المؤرَّث في
الأصابعِ ـ
أيها الموتى . . بحقِّ قرابَةِ الأشباح درويشٌ من
الأموات يركض في سهوب الموتِ فانْتَظِروا . .

الطبولُ بعيدةٌ،

تخبْو المشاعلُ،
والظلامُ الحيُّ تنْعَسُ في عباءته السهولْ . .

محرقة لاظوغلي ـ سادس أذان للفجر

الموافق ١٩٩١/٣/٧

رملة الأنجب ـ القاهرة

١٩٩٣/٦/١٤

إشارات:

١ـ Ave Mary أو Ave Maria :

ترتيلة كنسية في تحية وتمجيد العذراء مريم، وهي الصيحة التي أطلق السفاح شوارتسكوف على بركتها أول صاروخ في حرب الخليج.

٢ـ العامرية: ملجأ أو مخبأ العامرية في بغداد، قُتِلَ به مئات المدنيين، من بينهم أكثر من أربعمائة طفل، بصواريخ المجزرة الأطلسية في حرب الخليج.

٣ـ التثويب: هو قول المؤذن في صلاة الفجر: «الصلاة خيرٌ من النوم». وبهذه العبارة كنت أعرف أن يوما آخر قد مر عليّ وأنا معصوب العينين تحت التعذيب في «باستيل» مصر المعاصرة «لاظوغلي».

وجوها يتنطف الدم

«قصيدة ليس من
طبيعتها أن تكتمل»

الراحلونَ همو أم أنت مرتحلُ

أم هم إقامةُ ظنٍّ في مرابعِه تسفي الرياحُ

فلا صيدُ النميمةِ يمتدُّ الكلامُ به،

والصمتُ مَحضُ شتات الروح في دِمَنِ الأحقابِ

ياملكًا يبكي على عتبات الشعرِ:

هل نَغَمٌ إزميلُه دمُه ؟!

هل طينةٌ جُبِلَتْ تفعيلةً لُججًا والبحرُ مرتَجَلُ:

هذي خرائبُ ما تحوي المعاجمُ مما خَلَّفَ السَّلَفُ

هل أبجديَّتهُمْ كانتْ ستعصفُ صلصالاً إلى

الأفق الأعلى

وقبل بدايات الرؤى انْعصفوا !!

هل هذه لغةٌ

أم أنتَ آخرُ لَغْوِ الناطقين بها

أم أنتَ من ظمأ الأجدادِ همهمةٌ قبل الكلامِ

وبرقٌ في سلالة طينٍ سوف ينكشفُ !!

فاخْرجْ أميرَ بلادٍ بتَّ تنكرها

واخرجْ أميرَ قوافٍ

من نشائدِها يَرْفَضُّ وحيُ هجاءٍ طالما

اسْتَترتْ من شمسه الجيفُ

واسَّاقَطَ الكفنُ المعقودُ من خرَقِ الأحلاف ألويةً:

مجدٌ ولا شرفُ،

والشعبُ تحت عراءِ العارِ يرتجفُ!!

قد يَسْلَمُ الترفُ المأبونُ في زمنٍ دَيُّوثُهُ الصحفُ.

ها أنتَ تحت سياط الكهرباء وبين القيد والظلمات السودِ

ـ : تعترفُ؟

ـ : . . إن الكلابَ ملوكٌ، والملوكَ دُمًى،

والأرضَ تحت جيوش الروم تنْجرفُ. .

فاخرجْ طريدَ بلادٍ كنتَ تحرثُها

حَرْثَ العبيدِ،

وغادرْ إرْثها مدنًا مجدورةً بعشاش النملِ

ساطعةَ الفجرِ الكذوب بكلْسِ الزيفِ والسغَبِ

وامسحْ جبينكَ بالنسيان وابْتَدرِ المنْهَلَّ من

دمكَ النضّاحِ :

راعفُهُ من بعد ما عَصَبوا عينيك يُنْتَطَفُ

فالعينُ يملؤها من ومْضه السَّربِ

أشباحُ ما عشقَ المشبوحُ من بشرٍ ولَّوْا ومن كتبِ :

«عَدَّاسُ» يمنح مجروحًا على ظمأٍ هَدْيًا من العنبِ

والكرْمةُ انفرطتْ ظلاً ومَسَّ ندًى

والجرحُ ملحُ دمٍ . . فالضوءُ بارقُ وَمْضٍ في

لعالعه تهوي مخايلُ حنّاء وصرخةُ آياتٍ

تجلجل تَثْويبًا ومرْحمةً في صوته الرَّطبِ .

أفقُ النَّجيعِ ، ورأسٌ من تَشَهُّدِهِ

رَتْقُ الغيومِ ورجْعُ الماءِ في السحبِ

كان الحسينَ . .

وكانتْ خطوةُ الشجرِ المكتوبِ في دمهِ

تهوي . . فَأَلْقَفُ نسغًا من براعمهِ .

شيخ القوابل من «دلْفي» إلى شَغَبِ الغوغاء

مُرْتَهَنٌ ، يُصغي إلى صخب الأمواج عَلَّ صدًى من

بوقِ موْعدهِ

يَذْوي فيطلق أسْرَ الروح والجسدِ :

نُبْلُ الإشارة ضوءٌ شَعَّ من يَدهِ

و«الشَّيْكُرانُ» بكأس السمِّ ذَوْبُ ردًى

يصفو التذكّرُ في مسْراهُ

فالأزلُ المطمورُ منكشفٌ في شرفة الأبدِ

زَحْزَحْتُ في هلَعِ النعذيبِ قَيْدَ يدي

فـاشْتَـدَّ . . وانْهـدمـتْ ـ في قطرةٍ عَلقَتْ تحت الجفـون ـ سماءُ

الله . . فالْتقفتْ رأسَ القتيلِ جروحُ الصَّدْعِ في كبدي .

والشيخُ يرقدُ في خُرْجِ الأتانِ

وعدْلَ الجثّة انْهَدَلَتْ أسفارُه ،

فمتونُ الشرحِ صامتةٌ ،

والفقْهُ يَدْمَعِ في راحاتِ «قرطبةٍ»

ليستْ تُكَفْكِفُه إلا سياحةُ «محيي الدين» بين

فتوح الروح واللهبِ المكْنون تحت جلالِ الخلقِ من

شَرَقٍ بالرملِ أو بهطول الماء مُتَّقَد

شقَّتْ يداهُ قَماطَ الموت فانْدلعتْ نارُ البَدَارة في

رَقٍّ «المقدمة» . . استَصْرَخْتُ ملحَ دمي :

هذي الدماءُ إلى يوم القيامةِ ؟!

قالْ «النفَّريُّ» : أجلْ

«يارُبَّ همٍّ تبيتُ الليلَ ساهرةً

عينُ الفتى منه والآراءُ في خُلُفِ

إنْ رامَ هُدْءًا أثارَ الهمُّ هَدْأتَهُ

أو رامَ وقْفًا على الأشجان لم يقفِ

حيران لا يتهادى بين عزْمته

إلا عمًى مثل جُنْحِ الليلِ ذي السُّدُفِ»

فاخرجْ بعريك لا تأملْ ولا تَخَفِ

وادْرأ بيأسك ما كان الزمانُ به يُغْوي ويُوهِمُ

واركضْ في هجيرِ سرابٍ طالما التمعتْ منه

السَّمادرُ أعلامًا مرفرفةً في الأفقِ

يا ملكًا يبكي على عتباتِ الشعرِ :

هل نغمٌ إزْميلهُ دَمُهُ ! !

واركضْ . . فإن فلاةَ الروح واسعةٌ

والموتَ ظَبْيٌ قواف ربما انْفَتَقَتْ منه الجوارحُ

في عينيك فانْهمَلَتْ هذي الوجوهُ

ـ: فهل هذي الدماء إلى يوم القيامة ؟!

قال الراحلون: أجَلْ..

فاعرُجْ إلى شَفَقٍ دامي السحائبِ

واهْطلْ كلما انْتشرتْ بين السلاسلِ

والجلادِ

قافيةٌ..

حجز لاظوغلي ١٩٩١/٣/١٢

معتقل طرة

رملة الأنجب

١٩٩١/٨/٧

إيقاعات الوقائع الخنوميّة

«اللهُ يعلمُ أني لا أحبكمو
ولا ألومكمو ألاّ تحبّوني
لو تشربون دمي لم يَرْوِ شاربُكم
ولا دماؤكمو جَمْعًا ترويِّني»

ـ ذو الأصبع العدواني ـ

كيفَ هناك:

يَتَنَخَّلُ الوطنُ فتْيَتَه الطالعين من عكارةِ
البلهارسيا وصَمَمِ الأمية وحيوانية الجوع
ورهبةِ العبيد وطاعةِ الإماء وجبروتِ الوحشِ،
ثم يَنْتقي:
أجسادٌ قُدَّتْ من صخرةٍ واحدةٍ على قالبٍ وحيدٍ
فلا استثناءَ في شيء
وجوهٌ مسْفُوعَةٌ بصُفرة الشمس المعتلَّةِ
وغبار الأحذية

عيونٌ تختلط فيها حُمرةٌ بصفْرةٍ براووق البُنِّ المتخثِّرِ

ولا يشبهها شيءٌ إلا عيون الكلاب الميتة في

مجرورِ النهر ومستنقعات النَّتَنِ الدهريِّ

كأن «خنُوم»[1] كان يدَّخرُها في فواخيرِه الأزليةِ

حرسًا سرمديًا لفراعنة كلِّ الدهور

وسوى خنوم لا آلهة هناكْ ! !

ـ : ما الأسماءُ الصريحةُ لرفاقك الإرهابيين :

سقراطُ وابنُ رشد والسَّمَنْدلُ[2] والنفريُّ

وأورفيوس[3] والسعلاةُ[4] . . إلى آخرِ ما وجدْنا

في أوراقك من أسماء حَرَكيَّة ؟ !

ـ : . . . .

ـ: سنعرف كيف تنطق حين نواجهك باعترافاتهم

صوتًا وصورةً . .

وحين وُوجِهْتُ بتقارير المخبرِ أفلاطون،

وجدالاتِ التهافُتِ ومناهج الأدلَّة، ونارِ الطقْسِ

المبدئِ المعيدِ، وبشارةِ الإيذان بالوقتِ،

والملابسِ الداخليةِ لأوريديكي[٥]، ورَمْزَمَةِ

السِّفادِ في بوادي الجنِّ،

وسمعتُ تسجيلاً لصرخات الهلع من زرقاء اليمامةِ

اعترفتُ بأدَقِّ التفاصيلْ. .

- ١ -

العنكبوتُ كأنّه وَرَلٌ(٦) يدبُّ إلى مراعي الضّأنِ،

خيطٌ من شعاع الشمس يقْطعه إلى نصفين،

فالأطرافُ تنبض بالدم القاني وتترك نقشَ

رقصتها الذبيحةِ في سقوف الأرضِ،

نسجٌ هلهلتْه الريحُ في أفق البلادْ

كان المماليكُ العتاةُ الأقدمون المحدَثون

يَتَنَزَّلون خلائفًا من هَيْلمان الجوع والفوضى،

وفي أفق المدينةْ

نافورةٌ تعلو وتَنْفَسِحُ امتداداتُ الهواجسِ في

انتشار رمادها في الريحِ،

والأجواءُ تَبْرُقُ،

هذه الشمطاءُ عاريةٌ. . تفحُّ جدائلَ الدخّان والحيّاتِ

هذا المغْزَلُ الكونيُّ من نُذُرِ القيامة أمْ
هو العصفُ الذي تنْحلُّ فيه الروحُ والرؤيا
وتَنحَلُّ البلادْ
جميزةٌ تَتَغَاصَنُ الأهوالُ والكسَفُ المضيئةُ والظلامُ
بشكلها الممتدِّ في الآفاقِ ؟!
هل كانتْ بلادَك أمْ جنونَك ـ هذه ـ ؟!
أم أنتَ من فجرِ الخليقة لازبُ الطين المقدَّرِ
للغوايةِ والجنونْ
متقَلِّبُ الأشكال بين يديْ «خنومٍ»
طالعٌ من وَقْدَةِ الفاخُورة العظمى،
ومُصْطَفٌّ صفوفًا كلما بَلِيَتْ أعيدَتْ في بَراحِ
العصفِ والخلقِ الرَّميمِ المسْتعادْ؟!
ـ : اخْلَعْ ثيابك . .
(لفحةُ الخوفِ المشَوَّشِ بالحياءِ وزمهرير الفجرِ،

صفان خنوميان تلمع في أكفِّهما عصيُّ الخيزُرانِ،
وحارسان يصلْصلان برجْفَةِ الجنْزيرِ:
كلبٌ في علوِّ البغل يُقعي، آخرٌ في
هيئة الوحش الخرافيِّ اشْرَأبَّ. .)
. أدرْ إلى الجدران وجهَكَ. . لا كلامَ ولا تلفُّتَ. .
(لا كلام سوى دَوِيِّ الإرْثِ من
ليل القراءةِ في دم التعذيبِ، والهوْلِ المؤبَّدِ
في بلادك والخنوميِّين في منفى التواريخِ التي
أبقَتْ دم القتلى يبيدُ ويُستعادْ.
هل كلُّ مجدِك يا خنومْ
هذي الدُّمَى الفخّارُ تذْروها الهشاشةُ في
رياح السجن والتعذيب من جيل لجيلْ
حشداً يكسِّر بعضُه بعضًا فلا يبقى سوى
دِمَنِ الوجوهِ ورَهْزَةِ الغوغاءِ والأمِ الطلولْ!!)

حَدَّقْتُ في وسخ الزجاج فروَّعَتْني نظرةُ «الشخص» المحدِّقِ،

عنكبوتٌ ملهمٌ في الركن يبني ثم يهدمُ

في انتظار الصَّيْدِ.

(أيُّ فراشةٍ سترفُّ أيُّ ذبابةٍ ستحطُّ مثل

دمي المخثَّرِ فوق منسوج الجوارح والعروقْ!!)

في نوبة البوق النحاسيِّ استْجاشتْ رهبةٌ بين المفاصلِ

ـ : إنه «الباشا» وبوقُ الصبح في «عَرضِ التّمامْ».

ـ ٢ ـ

شعبٌ خنوميٌّ، وجيشٌ مشتَرى من صيد نخّاسين،
والباشا يقدِّم في رَطانَته جَلائبَهُ[٧]:
الطواشيَّ، القضاةَ المخبرين، السادة الخصْيان،
أعيانَ التَّسوُّل، جلْجَلُوتَ المنبريّاتِ الزَّواني،
البَزْرَميطَ[٨] المدَّعي..
درعٌ من الشرق المفَتَّتِ
والسيوفُ مباعةٌ كيْ يملك الغربُ الرقابْ
بين الرُّمَيْلَةِ وانفساح القلعةِ انتشرتْ وحوشُ الطير..
(إن دم الذبائح يستثير الطير قبل ملاحم الموتِ)
البنودُ على رءوس الجندِ
(هل يدري الخليفةُ أن هذا السيفَ مُرْتَهَنٌ: مَعَهْ
زمنًا، وأزمنةً عليه!!)

ـ: طأطئْ ولا تنظرْ وراءَكَ واحتبسْ أنفاسَكَ. .

(الزمنُ انفجارُ الرعبِ. . هل سيمزّقُ الكلبان

لحمَكَ من وراءٍ أو أمامْ !!)

في الركن. . كان العنكبوتْ

من مغزل الدأْبِ المجنَّحِ بالغرائز وانتظار الصيد يبني ثم يهدمُ

(هذه كانتْ حدودُ «العبقرية في المكان» :

سجنٌ وجلادون، أدْوارُ الخنوميين ما بين

الهزائمِ والخرابْ

في الأرض من أقصى غواياتِ القناصلِ وابْتياعِ

السيفِ حتى الموتِ في خَتْلِ الكلامْ.)

- ٣ -

ليلٌ وكأسٌ من دم الموتى تَرُبٌّ به البلادُ رفاتَها ،
ورخامُ عرّافين ينشر من جعارين الكتابة جيشَه السحريَّ
فالطينُ المقدَّرُ فوق نار من تعاويذِ الرُّقى يغْلي
وينضجُ لحمهُ الدهريُّ جارحةً فجارحةً
فَيَصْطَفُّ الخنوميّون
(هل يدري الخليفة أن هذا الحشدَ مُخْتَلَقٌ
وأن السيفَ مرتهنٌ: مَعَهْ
زمنًا، وأزمنةً عليه؟!)
الشمسُ جمرٌ ذائبٌ في أعين الموتي ،
فلا اسْتَلموا ولا طافوا ولا انْتَسَبوا لزمْزَمَةِ السلالة
فالجزيزةُ صَفْصَفٌ والرملُ مشويٌّ،
سرابٌ من دم الفصحى يرفّ على مياه البحرِ ،

ترتيلٌ من الملح العصيِّ يؤُجُّ في لحم المصاحفِ

ثم يَبْرُقُ في انْدلاع الحبرِ

ثم يدبُّ في رمم القراءات الحريقْ

ويعفِرمُ(٩) الباشا ويضحكُ،

ثم يبتعثُ البريدَ على ظهور الخيل بالبشرى

(فهل يدري الخليفةُ أن هذا النصرَ أولُ ذَبْحِهِ !!

ضَرِيَتْ(١٠) كلابُ الصيد فانتظر المواسِمَ . .)

عَفْرَمَ الباشا وقَهْقَه . .

والخنوميّون محضُ فكاهةٍ حُبلى بشمسٍ

من صديد الجرح، ينسلّون عبر البحر والصحراءِ،

ينتشرون في جوع القرى كالقَمْلِ والبلهارسيا

والنهرُ موالٌ من الدمع المقَطَّرِ في الظلامْ . .

- ٤ -

ضَرِيَتْ كلابُ الصيدِ . .

صيادون من كل البلاد تَحلَّقوا

فوق الحشايا والزرابيِّ الدِّمقْسِ :

حثالةُ الماسون ، تجارٌ ، جواسيسُ القناصل ،

باعةُ الوهْمِ ، السماسرةُ ، المرابون ، الحجيجُ

وثُلَّةُ التجوال بالسم البطيءِ ،

وشيشةُ الباشا تكَرْكُرُ أو تُعَفْرِمُ تحت تلِّ الجمرِ

والتّمباكِ وهو على الأريكة غائبٌ في

حلمه الأميِّ بالجبروتِ والسلطانِ . .

حاشيةُ الحثالة في طقوس الصيْدِ هَرّاجون بالفوضى

ومحبوكون في لغْوِ من الزور المضَفَّرِ ،

إن فيض السوق مندَفقٌ :

..

طرابيشُ العبيدِ، ويَشْمكُ السَّبي البغيِّ، ومَسْبَكُ
الفولاذ، والبارودُ، سمسرةُ التراجم، خطةُ
الحربِ،
الطَّواقِمُ من قيادات الكتائب والسفائنِ . .
جنةُ الإستبرقِ البرسيمِ، والخيلُ المطهمةُ الصهيلِ،
وطينةُ الوادي اسْتجاشتْ تحت شمس الجوع والخَبَلِ
الخنوميِّ . .
الحثالةُ والجلائبُ والجواسيسُ القناصلُ قادةٌ
للزحفِ،
تخبو شيشة الباشا فيُهْرَعُ أمردٌ بالجمر والتمباكِ
وهو مُعَفْرِمٌ ومكركرٌ بإشارةِ الحرب الدنيئة . .
والخنوميُّون أوْبئةٌ وجوعٌ بين وقْدِ الرمل في
آسيا وبين الثلج في البلقان . .
يا ربي أمانْ . .

كانتْ جعارينُ الكتابة والرُّقى ينْحلُّ فيها السحرُ والنفْثُ

الخنوميّ:

الفلولُ وآخرُ الموتى وقطعانُ الخنوميين ترجع من

ظلام النصر والفوضى إلى الوادي وماء النهر

ثم تُعيدُ سيرةَ طينها دهراً فدهراً . .

آه يا ربي أمانْ . .

ـ : الْبسْ ثيابَ السجن، لا تنظرْ وراءكَ،

لا كلامَ ولا تلفُّتَ . .

(لا كلامَ سوى دويِّ الإرْث من ليل القراءة في

دم التعذيب والهولِ المؤبَّد في بلادك والخنوميين

في منفى التواريخ التي أبْقَتْ دمَ القتلى يبيدُ

ويُستعادْ . .)

معتقل طرة ١٣/٣/١٩٩١

رملة الأنجب ـ القاهرة ٢٦/٤/١٩٩٣

إشارات:

١ ـ خنوم: إله صناعة الفخار وتشكيل الطين في مصر القديمة.

٢ ـ السمندل: حشرة خرافية يقال إنها تعيش في النار.

٣ ـ أورفيوس: شاعر أسطورى من تراقيا كان لشعره وموسيقاه أثر سحري على الكائنات، تشكلت باسمه نحلة وتنظيمات سرية من أهمها جماعات الفيثاغوريين.

٤ ـ السعلاة: حيوان خرافي متوالد من سفاد الجن مع الحيوانات.

٥ ـ أوريديكي ـ أوريديس: حبيبة أورفيوس.

٦ ـ الورل: حيوان صحراوي زاحف، يقول البدو إنه يلف ذيله المكون من عقد قوية حول سيقان الأغنام ويرضعها حتى يدميها.

٧ـ الجلائب، الجلب: العبيد والمماليك.

٨ـ البزرميط: عامية شائعة تعني خليط البشر المهجنين الذين لا يعلم لهم وطن أو أصول.

٩ـ عفرم يعفرم عفرمة: اشتقاقات شخصية من لفظة الاستحسان التركية «عفارم».

١٠ـ ضريت: أصبحت ضارية متوحشة.

الإخوة الخمسة

تهبُّ شماليَّةٌ من أصيل الصَّبا ،

والسهوبُ امتدادٌ لمروحة العشب ،

تبطئُ تحت جسورِ «بني سُوَيْفِ» خطوةُ نيلٍ

تذوبُ به الشمسُ في صفرةٍ حائلةْ

وغيمٌ نديفٌ تشبُّ به جمرةٌ من أذان الغروبِ ،

وفي الركن طبليةُ العائلةْ

عليها نقيعٌ من التَّمر تَنْدَى أباريقه ،

وهي لائبةٌ تتلفَّتُ حول المداخلِ

لا خطوُها يرتخي بالوضوءِ

ولا شَبَكُ الصيد فوق مناشره مُنْبِئٌ بالخطى .

بالوصيدِ ارتخى رأسُ كلبهمو واشرأبَّتْ معاطسُه . .

عَلَّ رائحةَ الخطوةِ الموحِلَةْ

تفوحُ اشتهاءاتُها

افْتَرَشَ الشيخُ سجادةً من نسيج القلوع المرتَّقِ ،

وامْتشَطَ اللحيةَ المرْسَلةْ

بكفَّيْه لملمَ ذَرْوَ السّعوطِ بعلْبته،

اسْتعرَضَ الأفْقَ . .

همْ خمسةٌ . . فلأيِّهمو انْشَقَّ إرْثُ الرّضاعةِ

واصْطرخَتْ شهقةٌ ثاكلةْ

وَوَلْوَلَت الدمعةُ الذاهلة!

وهم خمسةٌ . .

وقفوا في اصطفافِ الصلاةِ بزنزانة السجنِ :

أوجُهُهُمْ من نقاء الحَليب وعافيةِ الدمِ ،

أصغرُهمْ قالَ : شيخكمو في انتظارِ الأذانِ ،

السعوطُ بعلبته ليس يكفيه سهْرَتَه ،

اغْتَسَلَتْ أحرفُ الآي بالدمعِ . .

كان الهلالُ تُعَرْجنُه الغيمةُ الآفلةْ

وترتيلةُ الدمع تَرْغُو رُغاءَ الجنائبِ ،

والمُعْصِراتُ انْعَقَدْنَ حنانًا من الوحي

والليلُ في إثْرِه الليلُ . .

كلبهُمو بالوصيدِ اشْرأبتْ معاطسُه :

خاتلتْه الرؤى . . فالطرائدُ

بارقةٌ والسوانحُ سائبةٌ في مدى الدَّوِّ،

ريحًا من الريح يطوي المسافات :

عمقُ السماءِ نُباحٌ

ومُتَّسَعُ الكون ضَبْحُ العواءِ المرَجَّعُ،

في الفجر يُلقي طريدتَه بالوصيدِ :

هريرٌ من الغضب المستباحِ،

وكانتْ صُدَيْرِيَّةٌ يتوقّد بين زخارفها

ما تبقّى من الدم والصرخة الزِّلزِلَةْ . . .

١٩٩١/٤/١٣

معتقل طرة

هذا الليل يبدأ

دهرٌ من الظلمات أمْ هيَ ليلةٌ جمعتْ سوادَ

الكحل والقطران من رَهَجِ الفواجع في الدهورْ!!

عيناكَ تحت عَصابَة عُقَدَتْ وساختْ في

عظام الرأس عقدتُها،

وأنتَ مجندلٌ ـ يا آخر الأسْرى...

ولستَ بمفْتَدَى..

فبلادُكَ انْعَصَفتْ وسيقَ هواؤُها وترابُها سَبْياً ـ

وهذا الليل يبدأ،

تحت جفنْيكَ البلادُ تكَوَّمَتْ كرتيْن من ملح الصديدِ

الليلُ يبدأ

والشموسُ شَظيَّةُ البرق الذي يهوي إلى

عينيك من ملكوته العالي،

فتصرخُ، لا تُغاثُ بغير أن يَنْحَلَّ وجهُكَ جيفةً

تعلو روائحها فتعرف أن هذا الليل يبدأ،

لستَ تُحصي من دقائقه سوى عشرِ استغاثاتٍ

لفجرٍ ضائعٍ تعلو بهنَّ الريحُ جلجلةً

لدمع الله في الآفاق . .

هذا الليل يبدأ

فابْتدئْ موتًا لحلمك وابتدعْ حلمًا لموتكَ

أيها الجسدُ الصَّبورْ

«الخوفُ أقسى ما تخافُ» . . ألمْ تَقُلْ ؟!

فابدأ مقام الكشف للرهبوت

وانخُلْ من رمادكَ، وانكشفْ عنكَ،

اصْطفِ الآفاقَ مما يُبدع الرخّ الجسورْ . .

١٩٩١/٣/٢٧

معتقل طرة

زفرة البدء والمنتهى

* كيف تنفخ - أيها الشاعر - فى ناى الدهشة والغضب،

وقـــد تـرصـــدتك لدائن الأشــــبــــاح التي لا تفنى

ولاتستحدث،

وكيف ترهف السمع للصدى ولا فضاء هناك

وكيف يتسلق خيالك نخلة لا يعلو جذعها غير ليف

الصرخات ولا يتهدل غير تمر الخرز الساقط

من جيد الأم الذبيحة

ولا رمل هناك ولا رجز رعاة ينجدل بحنين النياق حتى

تغدو القصيدة جاهلية !!

* كيف وهناك:

لا هو في السماء فيفعل بهم فعل القدرة

فتنقض أسماؤه بالصاعقة إذ يفعلون بالخلق

فعل السدنة المتحلقين حول أبواب الجحيم

ولا هو في الأرض فيفعل بالخلق فعل النار بالقش فتنفخ
رياحه بجمرات الغضب في الأحطاب ـ الرقود
*كيف و«هم» شهود غيابه إذ يستلّون ما نفخ في الخلق
من روحه المطلول بالبشرى ومرحمة الأسماء والندى *
وكيف هو لا في وعد ولا وعيد
إذ هم مطلق الفعل وخالص اليقين ولا أسئلة هناك !!

كان يختل لك في هيولى من الهلوسة والحلم
فترتعد في شبكته ارتعاد سمكة الروح الحية في مجمرة
الحواس .

رقم الإيداع ١٠٣٠٧ / ٩٨
الترقيم الدولى I - 0482 - 09 - 977

مطابع الشروق

القاهرة :٨ شارع سيبويه المصرى - ت.٤٠٢٣٣٩٩ - فاكس:٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت : ص ب' ٨٠٦٤ -هاتف' ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣ - فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٠١)

دار الشروق
القاهرة : ٨ شارع سيبويه المصري ـ رابعة العدوية ـ مدينة نصر
ص.ب : ٣٣ البانوراما ـ تليفون : ٤٠٢٣٣٩٩ ـ فاكس : ٤٠٣٧٥٦٧ (٢٠٢)
بيروت : ص.ب : ٨٠٦٤ هاتف : ٢١٥٨٥٩ ـ ٨١٧٢١٣ ـ فاكس : ٨١٧٧٦٥ (٩٦١)